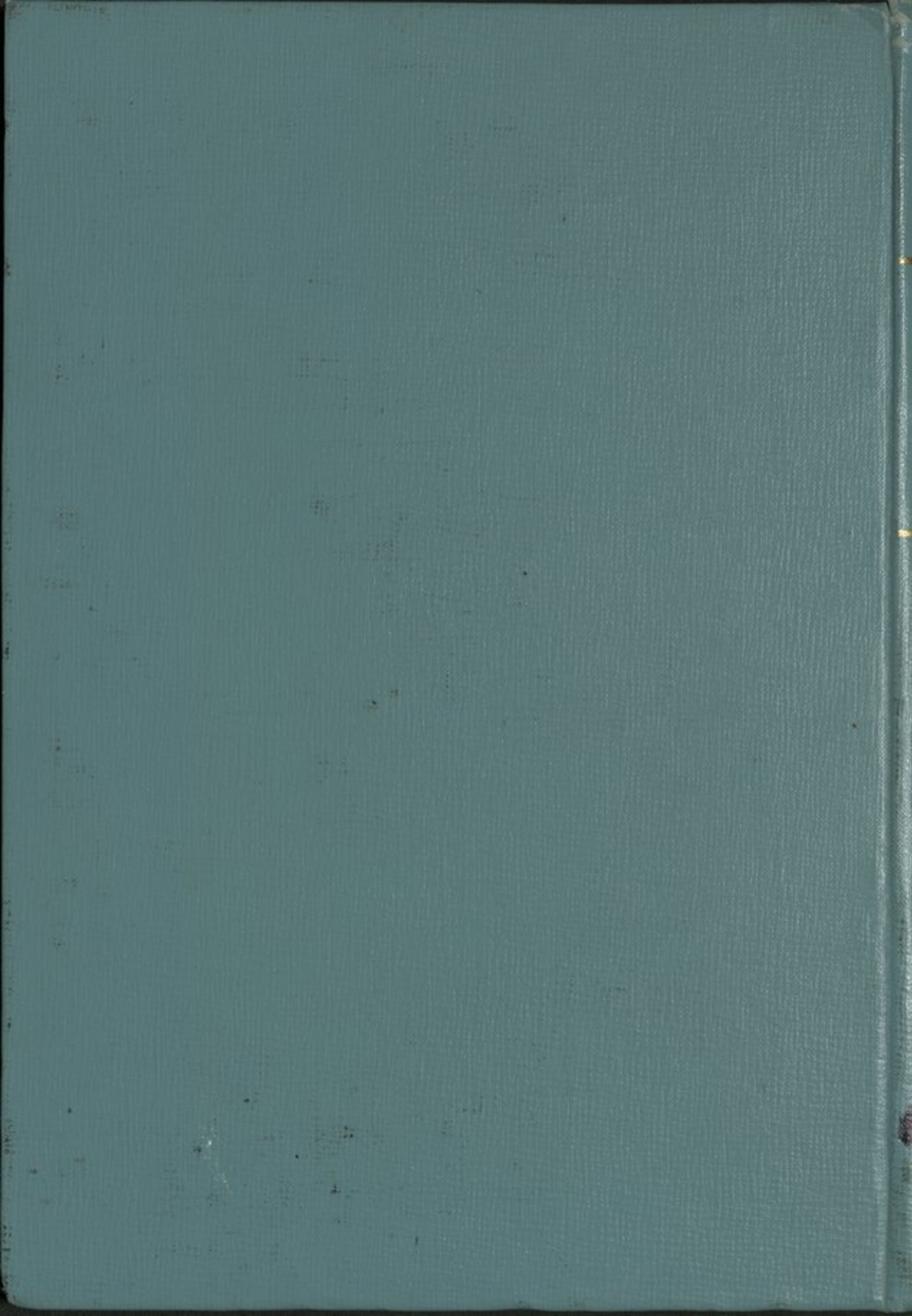




AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



22

11

(1.)

123

122

22

129

104

123

22

4.

12

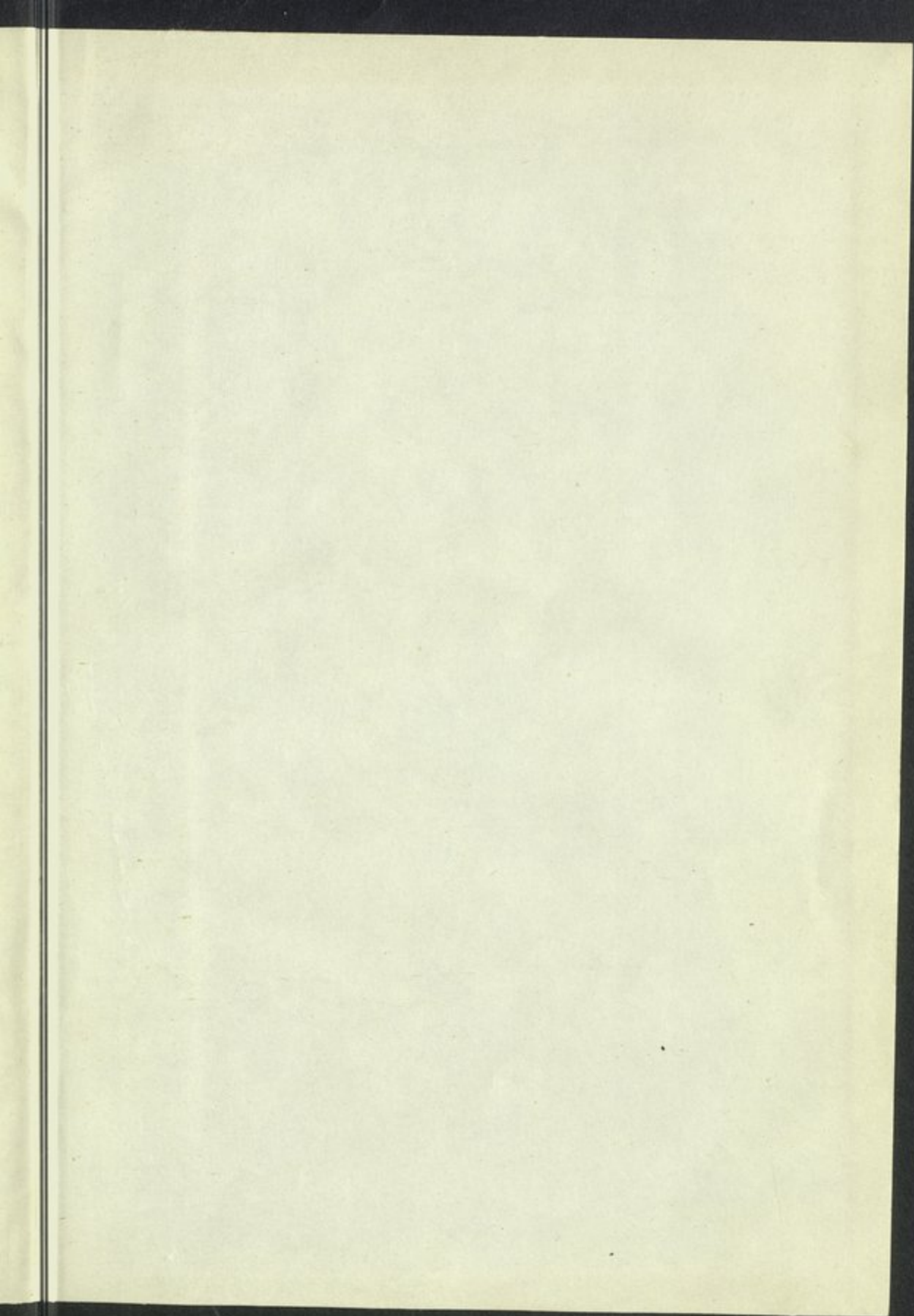
12

212

CCP

فجلید صالح الدقو

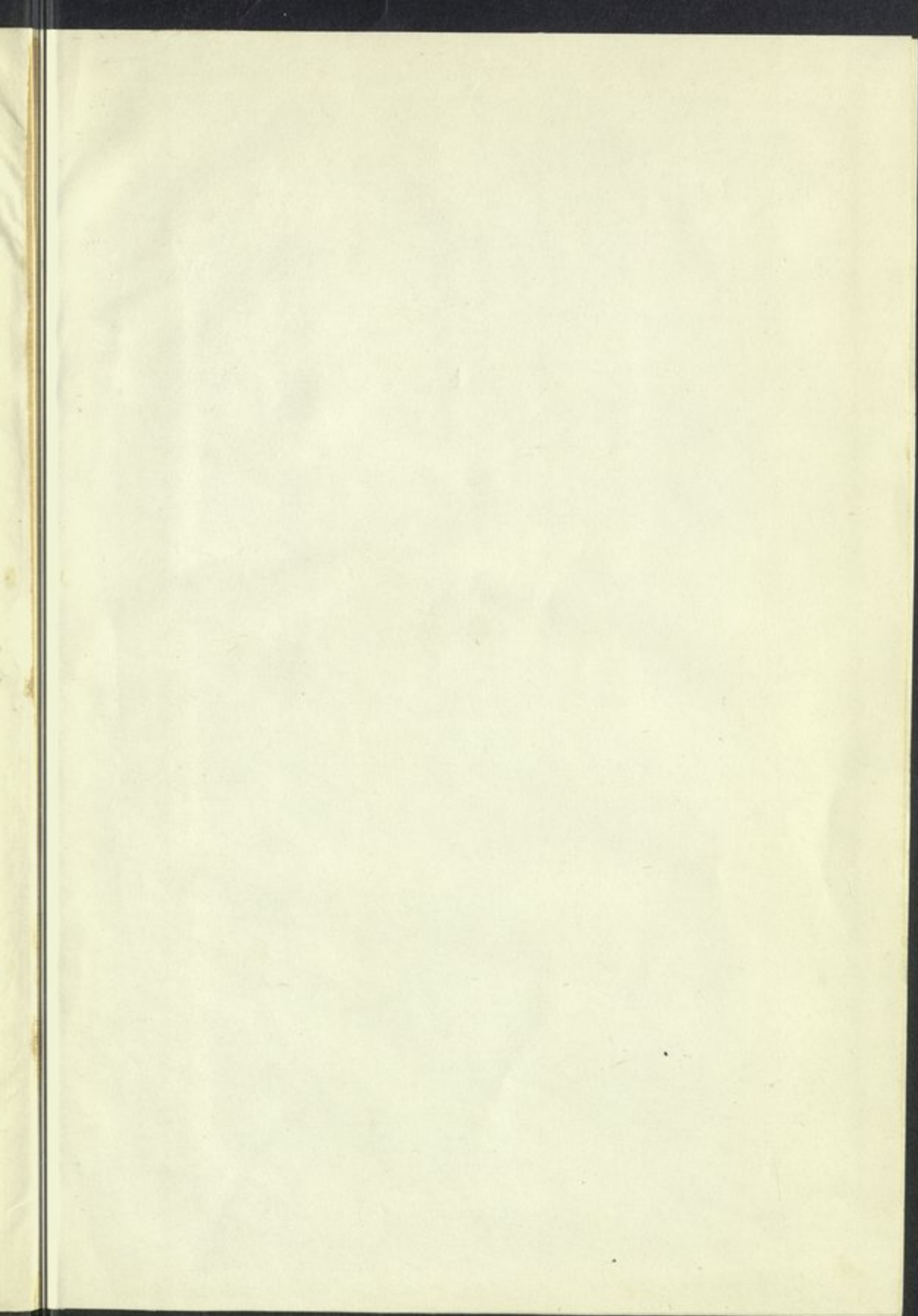
٧٢٢٩٧٧ تلفون



الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله



297.8
Sh532f5A

الابن عبد المحسن شرف الدين الموسوي
قدس الله سره

الفصول المهمة

في تأليف الامامة

وبليها الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء (عليها السلام)

للمؤلف أيضاً

(الطبعة الخامسة)



تنبيه

توسعنا بالفصول المهمة في هذه الطبعة ، إكمالاً لفوائدها ، وإتماماً لمقاصدها ، فظهرت اليوم بغير مظهرها أمس حتى كأنها غير الأولى ، فننبه المطلعين على تلك الى أنها لا تغنيهم عن هذه (وفي الحمية معنى ليس في العنب) .
وما أحق كتابي هذا بأن اخاطبه بقول ولي الدين يكن :
فما بك من اكذوبة فأخافها ولا بك من جهل فيزري بك الجهل

تنبيه آخر

لما كانت الكتب المتكرر طبعها مختلفة في عدد الصفحات لم تقتصر في مقام النقل عنها في هذا الكتاب وغيره على تعيين الصفحة فقط بل عينا معها الباب أو الفصل مثلاً ، ليرجع اليه من لم تكن صفحات النسخ التي عنده موافقة لصفحات النسخ التي عندنا ، فاحفظ هذه الجملة واتبه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله
الميامين (١) .

لا تنسق أمور العمران ولا تستتب أسباب الارتقاء ولا تنبث روح المدنية
ولا تبزغ شمس الدعة من أبراج السعادة ولا نرفع عن أعناقنا نير العبودية
بيد الحرية إلا باتفاق الكلمة واجتماع الأفئدة وترادف القلوب واتحاد العزائم
والاجتماع على النهضة بنواميس الامة ورفع كيان الملة ، وبذلك تهتز الأرض
طرباً وتمطر السماء ذهباً وتتفجر ينابيع الرحمة من قلب المواساة فتجري في
سهوب الترقى وتتفرق في بيد (٢) العمران وأخاديد الحنان والاتحاد ، فتشر
روح الانسانية من أجداثها وتحشر الملة الفطرية من رفاتها ويتبلج القسط
بازغة أنواره ويستوسق نظام العدل خافقة بنوده ويتفقد الحاكم أمر رعيته
تفقد الوالد العطوف أمر ولده ، وعندها تجب مؤازرته في إحياء مواتها وعمارة
فلواتها ورتق ما انفتق واصلاح ما فسد وارشاد من ضل وجهاد من بغى واعانة
من ضعف وتعليم من جهل .

أما اذا كانت الامة أوزاعاً متباينة وشيعاً متباغضة لاهية بعبثها غافلة
(١) بسم الله الرحمن الرحيم . يقول ناظم عقد هذه الفصول عبدالحسين
شرف الدين الموسوي : لما فقدت الطبعة الأولى من هذا الكتاب التمس مني
من لا تسعني مخالفتهم من المؤمنين من أهل سوريا والعراق وغيرهما أن أعيد
طبعه وأن أتوسع فيه ليتضاعف نفعه ، فأجبتهم الى ذلك وعلقت في أسفل
صفحات الكتاب تعليقة نافعة جداً . والله نسأل أن يكون الكتاب وتعليقته
خالصين لوجهه الكريم إنه الرؤوف الرحيم .
(٢) جمع بيداء كبيض جمع بيضاء .

عن رقيها لتكونن حيث منابت الشيخ ومهافي الريح أذل الامم داراً وأجذبها قراراً ، مذقة الشارب ونهزة الطامع وهدف السهام وقبسة العجلان ، في باحة ذل وحلقة ضيق وعرصه موت وحومة بلاء ، لا تأوي الى جناح دعوة ، ولا تعتصم بظل منعة . فحذار حذار من بقاء الفرقة وتشتت الألفة واختلاف الكلمة وتنافر الأفئدة » ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم » ، « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ، « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ، إنما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » .

ألا وإنا في عصر العلم ودور الذكاء والفتنة ، قد تفجر لذوي العصر ينبوع الحكمة وتقشعت عن أبصارهم غياهب العشوة ، فزهر كهرباء النور من أفكارهم وأشرقت شمس الفضل من وجوههم ، فهلا شرعوا خطي أقلامهم وجردوا صوارمها ووتروا قسي أفكارهم وناضلوا بشواقبها فأزهقوا نفس العصبية ومحقوا آثارها وصدعوا بوظائف الانسانية ورفعوا منارها وهتفوا بدعوة التمدن واعتنوا باتحاد التشيع والتسنن بخطابة تملأ مسمع الدهر وملامة تقلل جلاميد الصخر ، فمتى يطلقون عنان براعتهم ويحملون على جيوش التوحش بيراعتهم ، وينهضون باجتماع الاملاء ويصدعون بأسباب التمدن والارتقاء ويحذرون الامة مما يضطلم حوزتها ويفرق جماعتها ، فإن الله سبحانه يقول : « ولا تنازعوا فتفشلوا » .

وإني صاعد بهذه المقالة شارع بعون الله تعالى في تصنيف رسالة سميتها (الفصول المهمة في تأليف الامة) . « إن اريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه انيب » .

« فصل »

٦

في نبذة مما جاء في الكتاب العزيز والسنة المقدسة من الترغيب في
الاجتماع والالفة .

قال الله تبارك وتعالى : « إنما المؤمنون اخوة » ، « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » ، « محمد رسول الله والذين معه » الى أن قال عز اسمه في وصفهم : « رحماء بينهم » ، « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم » ، « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ، « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » ، « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » الى غير ذلك من الآيات الكريمة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنون حتى تحابوا ، أو لا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم افسوا السلام بينكم .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : الدين النصيحة . قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامةهم ، والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم وهم يد على من سواهم ، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ،
ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا
تباغضوا وكونوا عباد الله اخواناً ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام .
وقال صلى الله عليه وآله وسلم : المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ،
ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج
الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مؤمناً ستره الله يوم القيامة .
وقال الصادق عليه السلام : المسلم أخو المسلم ، هو عينه ومرآته ودليله
لا يخونه ولا يخدعه ولا يظلمه ولا يكذبه ولا يغتابه .

وقال عليه السلام لجماعة من شيعته : اتقوا الله وكونوا اخوة برة
متحابين في الله متواصلين متواضعين متراحمين ، تزاوروا وتلاقوا وأحيوا أمرنا .
وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن أقربكم مني مجلساً
أحسنكم أخلاقاً المواطؤون أكثافاً الذين يألفون ويؤلفون .
وقال صلى الله عليه وآله وسلم : المؤمن إلف مألوف ، ولا خير فيمن
لا يألف ولا يؤلف .

وفي حديث آخر : إن أحبكم الى الله الذين يألفون ويؤلفون ، وإن
أبغضكم الى الله المشاؤون بالنسيئة المفرقون بين الاخوان .
وقال صلى الله عليه وآله وسلم : المتحابون في الله على عسود من ياقوتة
حمراء ، رأس العسود سبعون ألف غرفة يشرفون على الجنة يضيء حسنهم كما
تضيء الشمس ، عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم المتحابون
في الله .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ينصب لطائفة من الناس كراسي حول

العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون ، أولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون • فقيل : من هم يا رسول الله ؟ فقال : هم المتحابون في الله •

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله تعالى يقول : حققت محبتي للذين يتزاورون من أجلي ، وحققت محبتي للذين يتبادلون من أجلي ، وحققت محبتي للذين يتناصرون من أجلي • وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي •

وعن باقر علوم النبيين عن آبائه الخلفاء الراشدين عن جدتهم سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين من حديث طويل قال : إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين جيران الله جل جلاله في داره ؟ فيقوم عنق من الناس فتستقبلهم زمرة من الملائكة فيقولون لهم : ماذا كان عملكم فصرتم به جيران الله في داره ؟ فيقولون : كنا نتحاب في الله وتبادل في الله وتزاور في الله عز وجل • قال : فينادي مناد صدق عبادي خلوا سبيلهم لينطلقوا الى جوار الله بغير حساب •

وعن عبدالمؤمن الأنصاري قال : دخلت على الامام أبي الحسن (الكاظم) عليه السلام وعنده محمد بن عبد الله الجعفري ، فتبست اليه فقال عليه السلام : أتجبه ؟ قلت : نعم وما أحببته إلا لكم • فقال عليه السلام : هو أخوك ، والمؤمن أخو المؤمن لأبيه وامه ، ملعون ملعون من اتهم أخاه ، ملعون ملعون من غش أخاه ، ملعون ملعون من لم ينصح أخاه ، ملعون ملعون من استأثر على أخيه ملعون ملعون من اغتاب أخاه •

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الثناء على الاخوة في الدين :
من أراد الله به خيراً رزقه خليلاً صالحاً إن نسي ذكره أو ذكر أعانه ، ومثل
الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تفسل احدهما الاخرى ، وما التقى مؤمنان
قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيراً •

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : عليكم بالاخوان فانهم عدة في الدنيا
والآخرة ، ألا تسمعون الى قول أهل النار : « فما لنا من شافعين • ولا
صديق حميم » •

وعن جرير بن عبد الله قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
على اقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم •

والأخبار في هذا متواترة والصحاح متظافرة ، وإذا راجعت حديث
الفریقین رأيت الصبح قد أسفر لذي عینین، وفي هذا كفاية لمن له من الله هداية.

« فصل »

٢

في بيان معنى الاسلام والايمان اللذين بهما ينال العبد غاية الرضوان ،
وعليهما يكون المدار وبوجودهما تترتب الآثار •

دعاني الى بيانها اقناع أهل العصبية والتنديد بهؤلاء المرجفين على
حمية الجاهلية ، فأقول : أجمع اخواننا أهل السنة على أن الاسلام والايمان
عبارة عن الشهادتين ، والتصديق بالبعث ، والصلوات الخمس الى القبلة ،
وحج البيت ، وصيام الشهر ، والزكاة والخمس المفروضين ^(١) • وبهذا تعلن
(١) وربما بعضهم فرق بين الاسلام والايمان بفارق اعتباري ، والذي
يظهر من قوله تعالى : « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا »

الصحاح الستة وغيرها :

ففي البخاري بسنده قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من شهد أن لا إله إلا الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم .

وفيه أيضاً بالاسناد الى أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله ، فلا تخفروا (٢) الله في ذمته .

وفيه بالاسناد الى طلحة (٣) بن عبيد الله قال : جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل من أهل نجد ثائر الرأس نسع دوي صوته ولا تفقه ما يقول حتى دنا فاذا هو يسأل عن الاسلام فقال رسول الله (ص) : خمس صلوات في اليوم والليلة . قال : هل عليّ غيرها ؟ (٤) قال : لا . إلا أن تطوَّع . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : وصيام رمضان . قال : هل عليّ غيره ؟ قال : لا . إلا أن تطوَّع . قال : وذكر له الزكاة قال : هل عليّ غيرها ؟ قال : لا . إلا أن تطوَّع . قال : فأدبر الرجل وهو يقول :

إن الاسلام عبارة عن مجرد الدخول في الدين والتسليم لسيد المرسلين وإن الايمان عبارة عن اليقين الثابت في قلوب المؤمنين مع الاعتراف به في اللسان ، فيكون على هذا أخص من الاسلام ، ونحن نعتبر فيه الولاية مضافاً الى ذلك - فافهم .

(٢) الاخفار تقض العهد . وهذا الحديث والذي قبله مقيدان بما يدل على اشتراط الصوم والزكاة والحج كما لا يخفى .

(٣) هذا الحديث موجود في صحيح مسلم بهذا الاسناد أيضاً .

(٤) يعني من جنسها ، وكذلك المراد من قوله « هل عليّ غيرها » بعد ذكر الصيام والزكاة .

والله لا ازيد على هذا ولا انقص . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أفلح إن صدق .

وفي صحيح البخاري أيضاً بالاسناد الى نافع ان رجلاً أتى ابن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن ما حملك على أن تحج عاماً وتعتصر عاماً وتترك الجهاد في سبيل الله وقد علمت ما رغب الله فيه ؟ قال : يا ابن أخي بني الاسلام على خمس : إيمان بالله ورسوله ، والصلاة والخمس ، وصيام رمضان ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت .

وفيه أيضاً بالاسناد الى أبي هريرة قال : كان النبي صلى الله عليه وآله بارزاً يوماً للناس ، فأتاه رجل فقال : ما الايمان ؟ قال صلى الله عليه وآله : الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وتؤمن بالبعث . قال : ما الاسلام ؟ قال صلى الله عليه وآله : الاسلام أن تعبد الله ولا تشرك به ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان — الحديث . وآخره ثم ادبر (يعني السائل) فقال صلى الله عليه وآله : ردثوه ، فلم يروا شيئاً ، فقال : هذا جبرائيل ، جاء يعلم الناس دينهم .

قلت : وأخرج هذا الحديث مسلم أيضاً في صحيحه بطرق مختلفة وأسانيد متعددة ، بعضها عن عمر بن الخطاب ، وبعضها عن ابنه عبد الله ، وبعضها عن أبي هريرة ، وفيه شيء ما من زيادة أو نقصان .

وأخرج البخاري في عدة مواضع من صحيحه بالاسناد الى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله قال لو قد عبد القيس (لما أمرهم بالايمان بالله وحده) : أتدرون ما الايمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، وان محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء

الزكاة ، وصيام رمضان ، وإن تعطوا من المغنم الخمس - الحديث (٥) .
والأحاديث في هذا المعنى لا تكاد تحصى ، فمن أرادها فعليه بمطائنها من
الصحاح الستة وغيرها ، ولا سيما كتاب الإيمان من صحيح مسلم ، فإن
فيه أبواباً كثيرة تفيد القطع بأن الإسلام والإيمان عند أهل السنة ليس إلا
ما ذكرناه ، على أن ما سنورده في الفصلين الآتين صريح في ذلك أيضاً ،
فتدبر ولا تذهل .

« فصل »

٣

في نبذة مما صح عند أهل السنة والجماعة من الأحاديث الدالة على أن
من قال « لا إله إلا الله محمد رسول الله » محترم دمه وماله وعرضه ، أوردناها
ليتنبه الغافل ويقنع الجاهل ، وليعلم أن أمر المسلمين ليس كما يزعمه أخوان
العصية ، وأبناء الهجوة ، وحلفاء الحمية ، حمية الجاهلية ، الذين شقوا
عصا المسلمين وأضرموها نار الفتنة بينهم ، حتى كانوا أوزاعاً وشيعاً ، يكفر
بعضهم بعضاً ، ويتبرأ بعضهم من بعض ، من غير أمر يوجب ذلك ، إلا ما
نفخته الشياطين ، أو نفثته أبالسة الانس الذين هم أنكى للإسلام من نسل
آكلة الأكباد ، وهذا عصر العلم ، عصر الانصاف ، عصر النور ، عصر التأمل
في حقائق الأمور ، عصر الاعراض عن كل تعصب ذميم ، والأخذ بكتاب
الله العظيم ، وسنة نبيه الكريم ، واليك منها ما عقد الفصل لذكره :

(٥) وأخرجه مسلم أيضاً في عدة مواضع من صحيحه . ولا يخفى ما فيه
من الدلالة على أن الخمس ركن من أركان الإسلام كالصلاة والزكاة ، فيكون
هذا الحديث مقيداً لجميع الأحاديث المطلقة بالنسبة إلى الخمس ، ولا غرو فإن
الكتاب والسنة يقيد بعضهما بعضاً .

أخرج البخاري في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن : إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فإياك وكرائم أموالهم - الحديث (١) .

وتراه ينادي بشبوت الاسلام لهم بمجرد طاعتهم له بذلك ، بحيث تكون أموالهم حينئذ فضلاً عن أعراضهم ودمائهم محترمة كغيرهم من أفضل أفراد المؤمنين .

ومثله في باب فضائل علي عليه السلام من الجزء الثاني من صحيح مسلم (٢) قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله (وفي رواية أخرى هي في الصحاح أيضاً ويحبه الله ورسوله) يفتح الله على يديه . قال : عمر بن الخطاب : ما أحببت الامارة إلا يومئذ ، فتساورت لها رجاء أن أدعى لها . قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب فأعطاه إياها وقال : امش (١) وأخرجه مسلم في صحيحه بالاسناد إلى ابن عباس أيضاً . ولا يخفى تقييده بما دل على اشتراط طاعتهم له في الصوم والحج والخمس من الصحاح الآخر .

(٢) وهو موجود في باب غزوة خيبر من الجزء الثالث من صحيح البخاري ، وفي باب مناقب علي عليه السلام من الجزء الثاني منه أيضاً بنوع ما من التعبير في الألفاظ .

ولا تلتفت • قال فصار علي شيئاً ثم وقف ولم يلتفت ، فصرخ يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس ؟ قال : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم •

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن اسامة بن زيد قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الحرة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقنا أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غشينا قال : لا إله إلا الله ، فكف الأنصاري عنه فطعنته برمح حتى قتلتها ، فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وآله ذلك فقال : يا اسامة أقتلتها بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ قلت : كان متعوذاً • قال : فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم •

قلت : ما تمنى ذلك حتى اعتقد أن جميع ما عمله قبل هذه الواقعة (من إيمان وصحبة وجهاد وصلاة وصوم وزكاة وحج وغيرها) لا يذهب عنه هذه السيئة ، وأن أعماله الصالحة بأجمعها قد حبطت بها • ولا يخفى ما في كلامه من الدلالة على أنه كان يخاف أن لا يغفر له ، ولذلك تمنى تأخر إسلامه عن هذه الخطيئة ليكون داخلاً في حكم قوله (ص) : « الإسلام يجب ما قبله » • ونأهيك بهذا دليلاً على احترام لا إله إلا الله وأهلها ، وإذا كانت هذه حال من يقولها متعوذاً فما ظنك بمن انعقدت بها نطقته ثم رضعها من ثديي أمه ، فاشتد عليها عظمه ونبت بها لحمه وامتلا من نورها قلبه ودانت بها جميع جوارحه ، فليسته أهل العناد عن غيهم وليحذروا غضب الله تعالى وسخط نبيه صلى الله عليه وآله وسلم •

وفي الصحيحين بالاسناد الى المقداد بن عمرو أنه قال : يا رسول الله

أرأيت ان لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا فضرب احدي يدي بالسيف فقطعها ، ثم لاذ مني بشجرة فقال أسلمت لله ، أقتله يا رسول الله بعد ان قالها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تقتله ، فان قتلته فانه بمنزلك قبل ان تقتله (٣) وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال (٤) .

قلت : ليس في كلام العرب ولا غيرهم عبارة هي أدل على احترام الاسلام وأهله من هذا الحديث الشريف ، وأي عبارة تكايله في ذلك أو توازنه ، وقد قضى بأن المقداد على سوابقه وحسن بلائه لو قتل ذلك الرجل لكان بمنزلة الكافرين المحاربين لله ولرسوله ، وكان المقتول بمنزلة واحد من أعظم السابقين وأكابر البدرين الأحدين ، وهذه أقصى غاية يؤمها المبالغ في احترام أهل التوحيد ، فليترك الله كل مجازف عنيد .

وأخرج البخاري في باب بعث علي عليه السلام وخالد الى اليمن : أن رجلاً قام فقال : يا رسول الله اتق الله . فقال صلى الله عليه وآله وسلم : ويلك أأستأحق أهل الأرض أن يتقي الله . فقال : خالد يا رسول الله ألا أضرب عنقه ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : لا ، لعله أن يكون يصلي (٥) .

(٣) يعني انه يكون من عدول المؤمنين ، لأن المقداد كان كذلك .
(٤) يعني انه يكون بمنزلة الكافر الحربي ، لأن المقتول كان كذلك قبل أن يقول كلمته التي قالها .

(٥) وأخرجه أحمد بن حنبل من حديث أبي سعيد الخدري في صفحة ٤ من الجزء الثالث من مسنده . ومثله ما نقله العسقلاني في الإصابة في ترجمة سرحوق المنافق من انه لما أتى به ليقتل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : هل يصلي ؟ قالوا : اذا رآه الناس . قال : اني نهيت ان أقتل المصلين اه . وكذلك ما أخرجه الذهبي في ترجمة عامر بن عبدالله بن يساف من ميزانه بسند ضعيف عن أفس قال : ذكر عند النبي (ص) رجل فقيل ذلك كهف المنافقين

قلت : أعظم بهذا الحديث ودلالته على احترام الصلاة وأهلها ، وإذا كان احتمال كونه يصلي مانعاً من قتله ، وقد اعترض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم جهرة وكاشفه علانية ، فما ظنك بمن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم الشهر ويحج البيت ويحلل الحلال ويحرم الحرام ، ويتعبد بقول النبي (صلى الله عليه وآله) وفعله وتقريره ، ويتقرب الى الله تعالى بحبه وبسوالاة أهل بيته ويرجو رحمة الله عز وجل بشفاعته متمسكاً بثقله معتصماً بحبله ، ويوالي وليه وإن كان قاتل أبيه ويعادي عدوه وإن كان من خاصته وأهليه .

وأخرج البخاري في باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان ، حيث ذكر مقتل عمر «رض» والحديث طويل ، وفيه : يا ابن عباس انظر من قتلني ؟ فجال ساعة ثم جاء فقال : غلام المغيرة . قال : الصنع ؟ قال : نعم . قال قاتله الله لقد امرت به معروفاً ، الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الاسلام ، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة . فقال : ان شئت قتلناهم . قال : كذبت بعد ان تكلموا بلسانكم (أي أقروا بانشهادتين) وصلوا قبلتكم وحجوا حجتكم .. الحديث .

والظاهر من قوله « الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الاسلام » - بقرينة ما سنتسمعه من رواية ابن قتيبة وابن عبد البر - انه كان يخشى أن يكون قاتله مسلماً فيغفر له بسبب اسلامه ، فلما عرف أنه ممن فلما آكروا فيه رخص لهم في قتله ثم قال : هل يصلي ؟ قالوا : نعم صلاة لا خير فيها . قال (ص) : إني نهيت عن قتل المصلين . قلت اذا كانت هذه حاله مع المنافقين المرائين بصلاتهم فما ظنك بالمحافظين عليها والخاشعين المخلصين لله فيها .

لا يدعي الاسلام علم ان الله آخذ بحقه على كل حال ، وفي هذا من الدلالة على حسن عواقب المسلمين ما لا تسعه عبارة •

ثم اذا نظرت الى إنكاره على ابن عباس ، وقوله له مع جلالته «كذبت» الى آخر كلامه ذلك ذلك على احترام أهل الشهادتين والصلاة والحج كيف كانوا •

وفي صفحة ٢٦ من كتاب الامامة والسياسة للامام المجمع على فضله ابن قتيبة المتوفي سنة مائتين وسبعين : أن عمر لما أخبر أن قاتله غلام المغيرة قال : الحمد لله الذي لم يقتلني رجل يحاجني بلا إله إلا الله يوم القيامة • وروى الحافظ أبو عمرو يوسف بن عبد البر القرطبي في ترجمة عمر من الاستيعاب أنه قال لولده عبدالله : الحمد لله الذي لم يجعل قلبي بيد رجل يحاجني بلا إله إلا الله اه •

قلت : اذا كان صاحب لا إله إلا الله بحيث لو قتل عمر بن الخطاب وهو الخليفة الثاني لحاجه بها فأمر أهل التوحيد اذن سهل يسير ، فليقتل الله أهل الشقاق ولينهض رجال الاصلاح بأسباب الوئام والوفاق ، فقد نصب الغرب لنا حباله ووجهه نحونا قنابله وأظلمنا منطاده بكل صاعقة وأقلمنا نفقة بكل بائقة واحاط بنا اسطوله وضربت في اطلالنا طبوله ، ولئن لم يعتصم المسلمون بحبل الاجتماع ويبرأوا الى الله من هذا النزاع ليكونن أذلاء خاسئين وأرقاء صاغرين (أينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا) •

وأخرج البخاري عن أنس « رض » قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : امرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فاذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا حرمت علينا دماؤهم

وأموالهم اهـ •

قلت : هل بقي بعد هذه الأحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة ملتبس لشغب المشاغب أو مطمع يتشبث به الناصب ؟ كلا ورب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ان دين الاسلام بريء مما يزعمه المرجفون ، مناقض لما يحاوله المجحفون (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) •

وفي الصحيحين بالاسناد الى ابن عمر « رض » قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو بنى - قد أشار الى مكة المعظمة - : أتدرون أي بلد هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم • قال : فان هذا بلد حرام ، أتدرون أي يوم هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم • قال : إنه يوم حرام ، أتدرون أي شهر هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم • قال : شهر حرام • قال : فان الله حرّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا اهـ •

والصحيح الستة وغيرها مشحونة من هذه الأخبار ، وهي أشهر من الشمس في رائعة النهار •

فليت شعري أي عذر لمن اعتمد عليها ، وانحصر رجوعه في أحكام الدين اليها ، ثم خالف في ذلك أحكامها ونبذ وراء ظهره كلامها (٦) بلى انهم مرجفون والأمر على خلاف ما يظنون •

(٦) كالشيخ نوح الحنفي حيث أفتى - مع وجود هذه الصحاح وأمثالها - بتكفير الشيعة ، وأوجب قتالهم ، وأباح قتلهم وسبى ذراريهم ونساءهم ، سواء تابوا أم لم يتوبوا ، فراجع فتواه هذه في باب الردة والتعزير ، من كتاب الفتاوى العامدية الشهير ، وسذكرها بعين لفظه في الفصل التاسع من هذه الفصول ، مزيفين لها بالأدلة القاطعة والبراهين الناصعة ، فراجع ذلك الفصل

« فصل »

٤

في يسير من نصوص أئمتنا عليهم الصلاة والسلام في الحكم باسلام أهل السنة وأهم كالثيعة في كل أثر يترتب على مطلق المسلمين ، وهذا في غاية الوضوح من مذهبنا لا يرتاب فيه ذو اعتدال منا ، ولذا لم نستقص ما ورد من هذا الباب ، اذ ليس من الحكمة توضيح الواضحات وهاك ما عقد الفصل للإشارة اليه :

قال الامام أبو عبدالله الصادق عليه السلام في خبر سفيان بن السمط :
— الاسلام هو الظاهر الذي عليه الناس ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت وصيام شهر رمضان — الحديث .

وقال سلام الله عليه في خبر سماعة : الاسلام شهادة أن لا إله إلا الله ، والتصديق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبه حققت الدماء ، وعليه جرت المناكح والموارث ، وعلى ظاهره جماعة الناس — الحديث .

وقال الامام أبو جعفر الباقر عليه السلام في صحيح حمزان بن اعين من جملة حديث : والاسلام ما ظهر من قول أو فعل ، وهو الذي عليه جماعة من الناس من الفرق كلها ، وبه حققت الدماء ، وعليه جرت الموارث ، وجاز النكاح ، واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فخرجوا بذلك عن الكفر واضيفوا الى الايمان اهـ .

واعلم أن الفصول الثمانية التي قبله انما هي مقدمة للرد على هذه الفتوى القاسية ، وما ألفنا هذا الكتاب إلا لهذه الغاية ، إذ لم أجد أحداً قام بهذا الواجب ، والحمد لله على التوفيق لأدائه كما يجب .

الى آخر ما هو مأثور عنهم في هذا المعنى مما لا يمكنني استيفاءه ولا يسعني استقصاؤه ، وهذا القدر كاف لما أردناه موضح لما قصدناه .

« فصل »

في طائفة مما صح عند أهل السنة من الأحاديث الحاكمة بنجاة مطلق الموحدين ، أوردناها ليُعلم حكمها بالجنة على كل من الشيعة والسنة ، والغرض بعث المسلمين على الاجتماع والتنديد بهم على هذا النزاع والتنبيه لهم على ان هذا التدابير بينهم عبث مخض وسفه صرف بل فساد في الأرض وإهلاك للحرث والنسل ، ضرورة انه متى كان الدين حاكماً على كل منها بالايان معلناً بفوزهما في أعلى الجنان لا يبقى لنزاعهما غرض تقصده الحكماء أو أمر يليق بألباب العقلاء ، لكن مثني المسلمون بجماعة ذهلوا عن صلاحهم وغفلوا عن حديث صحاحهم ، واليك منه ما عقد الفصل لذكره :

أخرج البخاري ^(١) في صحيحه عن أبي أيوب الأنصاري « رض » ان رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : أخبرني بعمل يدخلني الجنة . فقال القوم : ماله ماله . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (إِرَبْ ماله) فقال : تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم ذرها . قال : كأنه كان على راحلته وأخرج أيضاً بسنده أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : دلني على عمل اذا عملته دخلت

(١) وفي صحيح مسلم من هذا النوع أحاديث وافرة ، فراجع منه باب الايمان الذي يدخل به الجنة في الجزء الأول منه ، وباب من لقي الله بالايان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرّم على النار ، وهو في الجزء الأول أيضاً تجد فيه من البشائر ما تقر به عين المؤمن بالله واليوم الآخر .

الجنة • قال صلى الله عليه وآله : تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان • قال : والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا • فلما ولّى قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا اه •

قلت : ظهر لي من أخبار آخر أن هذا الأعرابي إنما هو مالك بن نويرة ابن حنزة التميمي (٢) •

وفي صحيح البخاري بالسناد الى عبادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل (٣) •

(٢) وكان رجلاً سرياً نبيلاً يردف الملوك ، وهو الذي يضرب به المثل فيقال « مرعى ولا كالسعدان وماء ولا كصداء وفتى ولا كمالك » • وكان فارساً شاعراً مطاعاً في قومه ، وكان فيه خيلاء وتقدير ، وكان ذالمة كبيرة ، وكان يقال له الجفول ، قدم على النبي «ص» فأسلم وحسن إسلامه فولاه (ص) صدقة قومه وحج معه حجة الوداع وشهد خطبته يوم غدیر خم بالولاية لعلي فكان بعدها من المتفانين في ولايته • قتله خالد بن الوليد يوم البطاح ونكح زوجته وكانت في غاية الجمال وجعل رأسه أثقبة لقدر فكانت القدر على رأسه حتى فضح الطعام وما خلصت النار اليه ، نص على ذلك وثيمة بن موسى بن الفرات كما في ترجمته من وفيات ابن خلكان ، وذكره الواقدي وكثير من أهل السير والأخبار وعللوا عدم خلوص النار الى شواه بكثرة شعر رأسه وهو كما ترى • وقد أشرنا الى هذه القضية حيث ذكرنا خالد بن الوليد في فصل المتأولين وهو الفصل الثامن من هذه الفصول فراجع •

(٣) أي مع ما كان منه من الأعمال سواء كانت مرضية لله تعالى أو غير مرضية •

وفي البخاري أيضاً عن جنادة مثله إلا أنه زاد فيه « من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء دخل » .

وفيه عن أبي ذر « رض » قال : أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليه ثوب أبيض وهو نائم ، ثم أتيتُه وقد استيقظ ، فقال : ما من عبد قال : لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة . قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق . قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق . قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق على رغم أنف أبي ذر .

وفيه عن أبي ذر أيضاً قال : قال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال جبرائيل : من مات من امتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة أو لم يدخل النار . قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن اه .

وفيه عنه أيضاً قال : خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله يمشي وحده وليس معه انسان . قال : فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد فجعلت أمشي في ظل القمر فالتفت فرآني فقال : من هذا ؟ قلت : أبو ذر جعلني الله فداءك . قال : يا أبا ذر تعال . قال فمشيت معه ساعة فقال : إن المكثرين في الدنيا هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيراً ، فنفخ فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً . قال : فمشيت معه ساعة فقال لي : اجلس هاهنا حتى أرجع إليك . قال : فانطلق في الحرة حتى لا أراه ، فلبث عني فأطال اللبث ثم اني سمعته وهو مقبل وهو يقول : وإن سرق وان زنى . فلما جاء لم أصبر حتى قلت له : يا نبي الله جعلت فداءك من تكلم في جانب الحرة ما سمعت أحداً يرجع إليك شيئاً ؟ قال : ذلك

جبرائيل عرض لي في جانب الحرة فقال : بشر أمتك انه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة . قلت : يا جبرائيل وإن سرق وإن زنى ؟ قال : نعم . قلت : وإن سرق وإن زنى ؟ قال : نعم . قلت : نعم وإن شرب الخمر اه .

قلت : الظاهر ان الزنا والسرقة وشرب الخمر هنا كناية عن مطلق الكبائر ، فيكون المراد أن من مات على التوحيد دخل الجنة أو لم يدخل النار وان ارتكب الكبائر ، على حد قوله في الحديث السابق أعني حديث عبادة « على ما كان من العمل » .

تنبيه

يجب أن يعلم ان عصاة المؤمنين يعذبون يوم القيامة على قدر ذنوبهم ثم ينالون الكرامة في دار المقامة ، على ذلك اجماع أهل البيت وشيعتهم بل هو من الضروريات عندهم .

فالأخبار الحاكمة بنجاة أهل القبلة على ما كان من العمل ليست ناظرة الى ان العصاة منهم لا يرون العذاب أصلاً ، وإنما المراد انهم لا يخلدون كما يخلد الكفار ، وبهذا لا يبقى لهم تمسك بهذه الأحاديث ونحوها ، وليس لهم بما اجتروحوا إلا التوبة والندم أو العذاب في جهنم على قدر ما يستحقون أو يتداركهم الله بعفوه وغفرانه وشفاعة الشافعين عليهم السلام .

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل قال : بينا أنا رديف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس بيني وبينه إلا آخرة الرجل قال : يا معاذ . قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك . ثم سار ساعة ثم قال : يا معاذ . قلت : لبيك رسول الله وسعديك . ثم قال : يا معاذ . قلت : لبيك رسول الله وسعديك . قال : هل

تدري ما حق الله على عباده ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً . ثم سار ساعة فقال : يا معاذ بن جبل . قلت : لبيك رسول الله وسعديك . قال : هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : حق العباد على الله أن لا يعذبهم . وفي صحيح البخاري عن عتبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لن يوافي عبد يوم القيامة بقول « لا إله إلا الله » يبتغي به وجه الله إلا حرم عليه النار .

وفيه عن عتبان بن مالك الأنصاري أيضاً انه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسأله أن يأتي بيته فيصلي فيه ليتخذ مصلًى^(١) قال عتبان : فعدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلًى بنا ركعتين وجسناهما على حريرة ... الى أن قال : فثاب في البيت رجال ذوو عدد فقال قائل منهم : أين مالك بن الدخشن ؟^(٢) فقال بعضهم : ذلك منافق لا يحب الله ورسوله . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تقل ذلك ، ألا تراه قد قال « لا إله إلا الله » يريد بذلك وجه الله . قال : فأتا نرى وجهه ونصيحته الى المنافقين . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : فإن الله قد حرم على النار من قال « لا إله إلا الله » يبتغي بذلك وجه الله .

وهذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بطرق متعددة ، وآخره عنده :

- (١) ما يقول الوهابية في هذا الحديث الصحيح ومنافاته لمذهبهم ؟
(٢) هكذا في النسخة التي تحضرني من صحيح البخاري ، والظاهر انه ابن الدخشم بالميم ابن مالك بن الدخشم بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف شهد بدرًا وما بعدها ، وهو الذي أسر يوم بدر سهيل بن عمرو ، ومع هذا فقد كان معروفاً بالنفاق . والله أعلم بحاله .

أليس يشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله • قالوا : إنه يقول ذلك وما هو في قلبه • قال صلى الله عليه وآله : لا يشهد أحد أنه لا إله إلا الله وإني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه • قال أنس : فأعجبني هذا الحديث فقلت لابني اكتبه فكتبه اه •

قلت : أي عبارة أدل على نجاة كافة الموحدين من هذه العبارة ؟ وأي بشارة في الجنة لمطلق المسلمين أعظم من هذه البشارة ؟ والعجب ممن لا يرتاب في صحتها وهو مع ذلك يحكم بنقيض دلالتها (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) •

وأخرج البخاري في الصحيح عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يقول الله تعالى : لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لو أن لك ما في الأرض من شيء آكنت تفتدي به ؟ فيقول : نعم • فيقول الله تعالى : أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي •

قلت : ظاهر هذا أنه إنما ابتلي بعذاب النار لأنه أبى إلا أن يشرك ولولا ذلك لنجا ، فعلم أن أهل التوحيد ناجون •

وأيضاً دل الحديث على أن أهون أهل النار عذاباً هذا المشرك ، فعلم أن ليس فيها موحد ، إذ لو كان هناك موحد لكان أهون عذاباً من هذا المشرك (٣) وهذا خلاف صريح الحديث •

وفي الصحاح الستة ومسند أحمد وكتب الطبراني وغيرها من هذا كثير ،

(٣) لأن الموحدين من المسلمين وإن جاء بأعظم الجرائم لا يعذب عذاب المشرك وإن لم يأت بغير الإشراك من الذنوب •

ولا سيما أحاديث الشفاعة حتى يقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (فيما أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين) أخرج من النار من في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة خردل من إيمان .

ولو أردنا إيراد ما في الصحيحين من أحاديث الشفاعة المشتملة على أعظم البشائر لطال المقام ، لكننا أشرنا إليها ليراجعها من أرادها . على أن الشيخين (البخاري ومسلماً) أخرجا في صحيحيهما عن عثمان بن عفان أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة . وهذا ظاهر بأن مجرد العلم بالوحدانية موجب لدخول الجنة . ومثله ما أخرجه الطبراني في الكبير عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من علم أن الله ربه واني نبيه صادقاً عن قلبه حرم الله لحمه على النار .

وهذه الأخبار أجلى من الشمس في رائعة النهار وصحتها أشهر من نار على علم ، فيها من البشائر ما ربما هون على المسلم موبقات الكبائر ، فدونك أبوابها في كتب أهل السنة لتعلم حكمها عليك وعليهم بالجنة (٤) وكلما ذكرناه شذر من بذر ، ونقطة من لجج بحر ، اكتفينا منها بما ذكره البخاري في كتابه وكرره بالأسانيد المتعددة في كثير من أبوابه ، ولم نتعرض لما في باقي الصحاح ، إذ انشق بما ذكرناه عمود الفجر واندلع لسان الصباح ، وإن عندنا صحاحاً (٤) لأن كلاً من الإمامية والسنية يؤمنان بالله ، ويصدقان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويقيمان الصلاة ، ويؤتيان الزكاة ، ويحجان البيت ، ويصومان الشهر ، ويوقنان بالبعث ، ويحللان الحلال ، ويحرمان الحرام ، كما تشهد به أقوالهما وأفعالهما وتحكم به الضرورة من كتبهما القديمة والحديثة مختصرة ومطولة .

آخر فزنا بها من طريق أئمتنا الاثني عشر :

روتها هداة قولتهم وحديثهم روى جدنا عن جبرئيل عن الباري
فهي السنة التالية للكتاب ، وهي الجنة الواقية من العذاب ، وإليها في
اصول الكافي وغيره تعلن بالبشائر لأهل الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر
لكنها تخصص ما سعت من تلك العمومات المتكاثرة بولاية آل رسول الله
وعترته الطاهرة ، الذين قرنهم بحكم الكتاب ، وجعلهم قدوة لأولي الألباب ،
ونص على انهم سفن النجاة اذا طغى زخّار الفتن ، وأمان الامة اذا هاج
اعصار المحن ، ونجوم الهداية اذا ادلهم ليل الغواية ، وباب حطة لا يغفر
إلا لمن دخلها ، والعروة الوثقى لا انفصام لها .

ولا غرو فان ولايتهم من اصول الدين ، وقد أقمنا على ذلك قواطع
الحجج وسواطع البراهين أدلة عقلية وحججاً عقلية ، تلفت الباحثين الى الوقوف
عليها في كتابنا (سبيل المؤمنين) إذ أوضحنا فيه المسالك وامطنا بقوة برهانه
كل ديجور حالك ، والحمد لله رب العالمين .

« الفصل »

٦

في لمعة مما أفتى به علماء أهل السنة ، من إيمان أهل التوحيد مطلقاً
ونجاة أصحاب الشهادتين جميعاً ، أوردناها ليعلم الناس توافق النص والفتوى
في ذلك ، والغرض لم يثبت المسلمين باجتماعهم ، ورتق ما افتق بتدابيرهم
ونزاعهم ، لأن العاقل اذا رأى نصوص صحاحه وفتاوى علمائه تحكم بالايمان
على مطلق أهل التوحيد وتعلن نجاة جميع أصحاب القبلة لا يبقى بعدها أمر
يدعوه الى هذه النفرة أو يصده عن الوئام والالفة ، (والمؤمنون والمؤمنات

بعضهم أولياء بعض) فما بالهم (وهم في الدين إخوة) قد انشقت عصاهم واختلفت مذاهبهم ، فهاج بينهم قسطل الشر ، وتعلقت أهواؤهم بقواقر الفتن ، ولو رجعوا الى ما أفتى به المنصفون من علمائهم لآيقنوا أن الأمر على خلاف ما زعم المرجفون . واليك منه ما عقد الفصل لبيانه .

ذكر العارف الشعراني في المبحث ٥٨ من اليواقيت والجواهر ، أنه رأى بخط الشيخ شهاب الدين الازدعي صاحب القوت ، سؤالاً قدمه الى شيخ الاسلام تقي الدين السبكي ، وصورته : ما يقول سيدنا ومولانا شيخ الاسلام في تكفير أهل الأهواء والبدع ؟

قال : فكتب اليه اعلم يا أخي أن الاقدام على تكفير المؤمنين ^(١) عسر جداً ، وكل من في قلبه إيمان يستعظم القول بتكفير أهل الأهواء والبدع ، مع قولهم « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، فإن التكفير أمر هائل عظيم الخطر - الى آخر كلامه وقد أطل في تعظيم التكفير وتقطيع خطرته .

ودونك يواقيت الشعراني فانها تنقل الجواب عن خط السبكي على طوله ، وفي آخره ما هذا لفظه : فالأدب من كل مؤمن أن لا يكفر أحداً من أهل الأهواء والبدع ، اللهم إلا أن يخالفوا النصوص الصريحة التي لا تحتمل التأويل عناداً وجحوداً ، فللعلماء في ذلك النظر .

هذا كلامه ولا يخفى تصريحه بقصر التكفير على مخالف النصوص الصريحة عناداً لله وجحوداً لما علم حكمه بالضرورة من دين الاسلام ، وقد دق في هذه الفتوى أصلاب المرجفين ، واستل السنة المتشدقين ، وقطع أمل ^(١) أنظر كيف أطلق لفظ « المؤمنين » على أهل الأهواء والبدع بدون تكلف .

من يتبغي تفريق المسلمين ، من كل أفاك أثيم .

وفي الصفحة العاشرة من طبقات الشعراني ما لفظه : وسئل سيدنا ومولانا شيخ الاسلام تقي الدين السبكي عن حكم تكفير غلاة المبتدعة ، وأهل الأهواء ، والمتفوهين بالكلام على الذات المقدسة ؟ فقال (رضي الله عنه) : أعلم أن كل من خاف الله عز وجل استعظم القول بالتكفير لمن يقول : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، ثم أورد جواب السبكي وهو طويل ، جاء في آخره ما هذه ألفاظه : فما بقي الحكم بالتكفير إلا لمن اختاره ديناً وجحد الشهادتين وخرج عن دين الاسلام جملة - اه .

قلت : الظاهر من اختلاف عبارة السؤالين والجوابين كونهما متعددين كما لا يخفى ، وإذا كان كلام هذا الامام الكبير معلناً باختصاص الكفر بمن جحد الشهادتين ومنادياً بالتنزيه لأهل الأهواء والبدع ، والمتفوهين بالكلام على الذات المقدسة من أهل القبلة ، فأبي وقع بعده لكلام المرجفين وتحكم المشاغبيين ، وإذا كان هذا حكمه في المتفوهين بالكلام على الله عز وجل فما ظنك بمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ؟

وقال الشيخ الأكبر ابن العربي في باب الوصايا من فتوحاته : إياكم ومعاداة أهل لا إله إلا الله ، فإن لهم الولاية العامة ، فهم أولياء الله ، ولو أخطأوا وجاءوا بقراب الأرض من الخطايا وهم لا يشركون بالله شيئاً ، فإن الله يتلقى جميعهم بشملها (٢) مغفرة ، ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته . وأطال

(٢) هذا مأخوذ من حديث أخرجه الترمذي وصححه ، رواه بالإسناد الى أنس قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : قال الله تعالى : يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ، ولا ابالي . يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك . يا ابن آدم انك لو أتيتني

الى أن قال : واذا عمل أحدكم عملاً توعّد الله عليه بالنار ، فليسمحه بالتوحيد ، فان التوحيد يأخذ بناصية صاحبه ، لا بد من ذلك .

هذا كلامه وفيه ما تراه من الحكم على جميع أهل التوحيد بالولاية لله عز وجل ، والبشارة للخطئين والمجرمين منهم بالمغفرة ، والجزم بأن التوحيد يمحو الكبائر ويأخذ بناصية صاحبه . والحمد لله رب العالمين .

وقال الفاضل الرشيد في صفحة ٤٤ من المجلد السابع عشر من مناره : ان من أعظم ما بليت به الفرق الاسلامية رمي بعضهم بعضاً بالفسق والكفر ، مع ان قصد كل الوصول الى الحق بما بذلوا جهدهم لتأييده واعتقاده والدعوة اليه ، فالمجتهد وإن أخطأ معذور . وقد أطلال الكلام في هذا الموضوع حتى بلغ الصفحة ٥٠ من ذلك المجلد فراجع .

وقال المعاصر النبهاني البيروتي في أوائل كتابه شواهد الحق (٣) : اعلم اني لا أعتقد ولا أقول بتكفير أحد من أهل القبلة ، لا الوهابية ولا غيرهم ، وكلهم مسلمون تجمعهم مع سائر المسلمين كلمة التوحيد والايان بسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وما جاء به من دين الاسلام . . . الى آخر كلامه . وعقد العارف الشعرائي في الجزء الثاني من اليواقيت والجواهر مبحثاً مسهباً لثبوت الايمان لكل موحد يصلي الى القبلة ، وهو المبحث ٥٨ ، قال بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً ، لايتك بقرابها مغفرة اهـ . وهذا الحديث ذكره الفاضل النووي في أربعينه ، وهو الحديث الأخير مما اتخذه من الأحاديث الصحيحة .

(٣) طبع هذا الكتاب وفي هامشه رسالة النبهاني أيضاً في فضائل معاوية سماها البديعة في اقناع الشيعة ، وقد تقضناها بكتاب يكون بحجمها ثلاث مرات سميناه الذريعة الى تقض البديعة .

في آخره : فقد علمت يا أخي مما قرناه لك في هذا المبحث ان جميع العلماء المتدينين أمسكوا عن القول بالتكفير لأحد من أهل القبلة (فبهذاهم اقتده) اهـ .
ونقل جماعة كثيرون منهم الشعراني في المبحث المتقدم ذكره عن أبي المحاسن الروياني وغيره من علماء بغداد قاطبة انهم كانوا يقولون : لا يكفر أحد من المذاهب الاسلامية لأن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم قال : من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فله ما لنا وعليه ما علينا اهـ .
قلت : وقد ذكرنا في الفصول السابقة جملة من النصوص في هذا المعنى ، والصحاح مشحونة به فراجع . وقد بالغ الشيخ أبو طاهر القزويني في كتابه (سراج العقول) بإثبات الاسلام لكل فرد من أهل القبلة ، وجزم بنجاة الجميع من كل فرق الاسلام ، وأول الحديث المشهور ، اعني حديث « تفرق امتي ثلاثاً وسبعين فرقة فرقة » ناجية والباقيون في النار » بل قال انه روي في بعض طرق هذا الحديث ما نصه : « كلها في الجنة إلا واحدة ^(٤) » .

وأطال في اثبات الايمان لكل مصدق بالشهادتين من أهل الاهواء والبدع كالمعتزلة والنجارية والروافض ^(٥) والخوارج والمشبهة ونحوهم ، وحكم بنجاة الجميع يوم القيامة ، ونقل القول باسلام الجميع عن جمهور العلماء والخلفاء من أيام الصحابة الى زمنه . قال : وهم من أهل الاجابة بلا شك ، فمن سماهم كفرة فقد ظلم وتعدى ... الى آخر كلامه وهو طويل نقله لي بعض مشائخي مشافهة عن سراج العقول ، وأورده الشعراني بتمامه في المبحث ٥٨ من يواقيته قلاً عن ذلك الكتاب أيضاً فراجع .

(٤) أخرجه ابن النجار ونقل الشعراني عند إيراده في المبحث ٥٨ من اليواقيت عن العلماء ان المراد بهذه الواحدة التي هي في النار إنما هي الزنادقة .
(٥) هذه عبارته نقلناها بدون تصرف .

وقال ابن تيمية في أوائل رسالة الاستغاثة وهي الرسالة ١٢ من مجموعة الرسائل الكبرى (٦) ما هذا لفظه : ثم اتفق أهل السنة والجماعة على انه صلى الله عليه وآله وسلم يشفع في أهل الكبائر ، وانه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد اهـ (٧) .

وقال ابن حزم حيث تكلم فيمن يكفر ولا يكفر في صفحة ٢٤٧ من أواخر الجزء الثالث من كتاب الفصل في الأهواء والملل والنحل ما هذه ألفاظه : وذهبت طائفة الى انه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد أو فتيا ، وأن كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى انه الحق فانه مأجور على كل حال ، ان أصاب فأجران وان أخطأ فأجر واحد . قال : وهذا قول ابن أبي ليلى وأبي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري وداود بن علي ، وهو قول كل من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة (رض) لا نعلم منهم خلافاً في ذلك أصلاً .

قلت : هذه الفتوى من هؤلاء الأئمة تقطع دابر المشايخين وتنقض أساس المهولين ، لأن خصومهم من أهل القبلة لم يقولوا قولاً ولم يعتقدوا أمراً إلا بعد الاجتهاد التام واستفراغ الوسع والطاقة ، وبذل الجهد في الاستنباط من الكتاب والسنة وكلام أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم ، ولم يدينوا إلا بما رأوا أنه الحق واعتقدوا انه عين الصواب ، فيكونون بحكم هؤلاء الأعلام (وهم أئمة السلف والخلف) مأجورين ، ان أصابوا أو أخطأوا ، على رغم من يتبغي تكفير المؤمنين ، ويدأب مجتهداً في تفريق

(٦) في صفحة ٤٧٠ من الجزء الأول .

(٧) فعلى هذا تكون أهل السنة مجمعة على أن مصير الشيعة الى الجنة ، ضرورة أنهم من أهل التوحيد والإيمان بكل ما جاء به النبي (ص) .

المسلمين .

وكان أحمد بن زاهر السرخسي (وهو أجل أصحاب الامام أبي الحسن الأشعري) يقول : (فيما نقله الشعراني عنه في أواخر المبحث ٥٨ من يواقيته) لما حضرت الشيخ أبا الحسن الأشعري الوفاة بداري في بغداد أمرني بجمع أصحابه ، فجمعتهم له فقال : اشهدوا علي انني لا اكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ، لأنني رأيتهم كلهم يشيرون الى معبود واحد ، والاسلام يشلهم ويعمهم . هذا كلام امام السنين وكفى به حجة تدحض أقاويل المبطلين ، وقد تواتر القول بعدم تكفير أهل الاهواء والبدع من أهل القبلة عن الامام الشافعي ، حتى قال : (كما في خاتمة الصواعق) اقبل شهادة أهل البدع إلا الخطائية (٨) .

وقال شيخ الاسلام المخزومي (فيما نقله الشعراني عنه في المبحث ٥٨ من يواقيته) : قد نص الامام الشافعي على عدم تكفير أهل الاهواء في رسالته ، فقال : لا أكفر أهل الاهواء بذنب . قال وفي رواية عنه : ولا أكفر أحداً

(٨) الخطائية أصحاب أبي الخطاب محمد بن مقلص الاجدع عليه وعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، كان قبحه الله مغالياً في الصادق (ع) فاسد العقيدة خبيث المذهب لا ريب في كفره وكفر أصحابه ، وقد تبرأ منه الصادق عليه السلام ولعنه وأمر الشيعة بالبراءة منه وشدد القول في ذلك وبالغ في التبرء منه واللعنة عليه ، ومن أراد الوقوف على كلام الصادق (ع) في شأن هذا الملعون فعليه بكتاب الكشي وغيره من كتب التراجم لأصحابنا ولهذا الكافر بدع كثيرة : منها تأخير صلاة المغرب حتى تستبين النجوم ، وقد نسب الجاهلون هذه البدعة اليها ، على أنا نبرأ الى الله منها ومن ابتدعها ، والذي نذهب اليه أن أول وقت صلاة المغرب غروب الشمس من جميع أفق المصلى ، ويتحقق ذلك بارتفاع الحمرة المشرقية كما لا يخفى على من راجع فقهما .

للإمام شرف الدين ٣٣

من أهل القبلة بذنب • قال وفي رواية أخرى عنه : ولا أكفر أهل التأويل
المخالف للظاهر بذنب اه •

وأجمع الشافعية على عدم تكفير الخوارج ، واعتذروا عنهم (كما في خاتمة
الصواعق) بأنهم تأولوا فلهم شبهة غير قطعية البطلان (٩) •

(٩) هذا مع ما أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين
وقتلهم في الجزء الرابع من صحيحه بالإسناد إلى أبي سعيد الخدري من حديث
ذكر فيه الخوارج فقال (ص) : يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ،
ينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء ، ثم
ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في نضيه فلا يوجد فيه شيء ،
قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل احدى يديه ، أو قال : ثديه مثل ثدي
المرأة ، أو قال : مثل البضعة تدردر ، يخرجون على حين فرقة من الناس •
قال البخاري : قال أبو سعيد : أشهد سمعت من النبي (ص) ، وأشهد
أن علياً قتلهم ، وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعت النبي (ص) الحديث
وأخرجه مسلم أيضاً في باب ذكر الخوارج وصفاتهم في أواخر كتاب الزكاة من
الجزء الأول من صحيحه • وأخرجه أحمد من حديث أبي سعيد في مسنده
ورواه كافة المحدثين • وأخرج مسلم في باب الخوارج شر الخلق والخلقة
من كتاب الزكاة من صحيحه بالإسناد إلى أبي ذر قال : قال رسول الله (ص) :
إن بعدي من امتي قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز حلقهم ، يخرجون من
الدين كما يخرج السهم من الرمية ، ثم لا يعودون فيه ، هم شر الخلق
والخلقة - الحديث •

وأخرج أحمد بن حنبل في صفحة ٢٢٤ من الجزء الثالث من مسنده عن
أنس بن مالك وأبي سعيد عن النبي (ص) قال : سيكون في امتي حين اختلاف
بينها وفرقة قوم يحسنون القيل ، وسيؤن الفعل ... إلى أن قال صلى الله
عليه وآله وسلم : يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، لا يرجعون
حتى يرتدوا على فوقه ، هم شر الخلق والخلقة ، طوبى لمن قتلهم وقتلوه ،
يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء - الحديث •

وقال العلامة ابن عابدين في باب المرتد من حاشيته الشهيرة الموسومة بـرد المختار ما هذا لفظه : وذكر في فتح القدير أن الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم ويكفرون الصحابة حكمهم عند جمهور الفقهاء وأهل الحديث حكم البغاة^(١٠) قال : وذهب بعض أهل الحديث إلى أنهم مرتدون . قال قال ابن المنذر : ولا أعلم أحداً وافق أهل الحديث على تكفيرهم . قال : وهذا يقتضي نقل اجماع الفقهاء (على عدم تكفير الخوارج) اهـ .

هذا مع أن النبي (ص) نص على أنهم يبرقون من الدين كما يبرق السهم من الرمية ، وأنهم شر الخلق والخلقة ، وأنهم ليسوا من الله في شيء ، وأن طوبى لمن قتلهم أو قتلوه . وإذا كان هؤلاء مسلمين بالاجماع فما ظنك بمن دخل باب حطة ، وركب سفينة النجاة ، واعتصم بحبل الله ، وتمسك بثقلي رسول الله ، ودخل مدينة علمه من بابها ، ولجئ إلى أمان أمته من اختلافها وعذابها . وإذا كان الخوارج مسلمين فمن غيرهم من أهل القبلة يكون كافراً ، وأي ذي نحلة من أهل الاسلام ليس له كشبهتهم .

ورأيت كلاماً في هذا المعنى ناجعاً لشيخ السادة الحنفية محمد أمين المعروف بابن عابدين في باب المرتد من كتاب الجهاد في صفحة ٣٠٢ من الجزء الثالث من رد المختار ، يحكم فيه قاطعاً باسلام من يتأول في سب الصحابة مصرحاً بأن القول بتكفير المتأولين بذلك مخالف لاجماع الفقهاء ، مناقض لما في متونهم وشروحهم ، وأن ما وقع في كلام أهل المذهب من تكفيرهم ليس من كلام الفقهاء الذين هم المجتهدون ، بل من غيرهم قال : ولا عبرة (١٠) يعني أنهم ان خرجوا على سلطان المسلمين يجب قتالهم حتى يفروا إلى طاعته ، فإن بزعوا لأوامره كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين .

بغير الفقهاء ، والمنقول عن الفقهاء ما ذكرناه . . . الى آخر كلامه ، وقد اشتمل على أدلة وافية ، وشواهد كافية ، فيطلبه من أراده ، وله كلام آخر في هذا المعنى أبسط مما أشرنا اليه ، نلت الطالبين له الى كتابه تنبيه الولاة والحكام . على أن ما في رد المحتار مقنع لأولي الأبصار .

وقد ألف العلامة الكبير الملا علي القاري الحنفي رسالة في الرد على من يكفر المتأولين بذلك ، كما نص عليه ابن عابدين فيما تقدمت اليه الاشارة من كلامه .

وقال ابن حزم في صفحة ٢٥٧ من أواخر الجزء الثالث من فصله ما هذا لفظه : وأما من سبَّ أحداً من الصحابة رضي الله عنهم فإن كان جاهلاً فمعذور وإن قامت عليه الحجة فتماذى غير معاند فهو فاسق كمن زنى أو سرق ، وإن عاند الله تعالى في ذلك ورسوله صلى الله عليه (وآله) وسلم فهو كافر . قال : وقد قال عمر رضي الله عنه بحضرة النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم عن حاطب - وحاطب مهاجري بدري - : دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فما كان عمر بتكفيره حاطباً كافراً ، بل كان مخطئاً متأولاً .

قلت : لا يخفى انه جعل الملاك في التكفير إنسا هو العناد لله ورسوله ، وهذا لا وجود له فيمن يتحلل دين الاسلام . نعم قد يكون الساب (والعياذ بالله) جاهلاً أو ذا شبهة أورده ذلك المورد ، فيكون معذوراً .

ويدل على عدم كفر المسلم به اطلاق الأحاديث التي سمعتها في كل من الثاني والثالث والرابع والخامس من هذه الفصول فراجع .

وأيضاً يدل على عدم الكفر مضافاً الى ذلك ما أورده القاضي عياض في الباب الأول من القسم الرابع من كتاب الشفا قلاً عن القاضي اسماعيل

وغير واحد من الأئمة ان رجلاً سب أبا بكر بمحضر منه رضي الله عنه ، فقال له أبو برزة الأسلمي : يا خليفة رسول الله دعني أضرب عنقه • فقال : اجلس ليس ذلك لأحد إلا لرسول الله صلى الله عليه وآله (١١) • وفي ذلك الباب من الشفا أيضاً ان عامل عمر بن عبدالعزيز بالكوفة استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه ، فكتب اليه : لا يحل قتل امرئ مسلم بسب أحد من الناس إلا رجلاً سب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن سبه فقد حل دمه اهـ •

قلت : أفضى بنا الكلام الى ما هو غير مقصود بالذات ، وليس الغرض إلا تأليف المسلمين وإعلامهم بأنهم اخوان في الدين ، ولا فرتاب في ان سب رجل من عرض المؤمنين - فضلاً عن سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين - موبقة وفسق ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سباب المسلم فسق وقتاله كفر •

ولنرجع الى ما كنا فيه فنقول : نقل علي بن حزم الظاهري عن الاشاعرة ما لا يتسنى معه القول بتكفير أحد أصلاً ، واليك عبارته بحروفها ، قال في أثناء شنع المرجئة في صفحة ٢٠٦ من الجزء الرابع من فصله : وأما الاشعرية فقالوا : إن شتم من أظهر الاسلام لله تعالى ورسوله بأفحش ما يكون من الشتم ، واعلان التكذيب لهما باللسان بلا تقية ولا حكاية ، والاقرار بأنه يدين بذلك ليس شيء من ذلك كفراً اهـ •

(١١) وروى النسائي بالإسناد الى أبي برزة الأسلمي قال : أتيت أبا بكر وقد اغلظ لرجل فرد عليه ، فقلت : يا خليفة رسول الله دعني أضرب عنقه • فقال : اجلس فليس ذلك لأحد إلا لرسول الله (ص) •

وفي صفحة ٢٠٤ من الجزء الرابع من الفصل أيضاً : نسب الى الامام أبي الحسن الأشعري وجميع أصحابه القول بأن الايمان عقد بالقلب ، وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقية ، وعبد الأوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية في دار الاسلام ، وعبد الصليب وأعلن التثليث في دار الاسلام ، ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الايمان عند الله عز وجل من أهل الجنة اهـ .

ولا يخفى انه اذا ثبت هذا عن الامام الأشعري وأصحابه — وهم جميع اخواننا السنيين في هذه الأعصر — هان الأمر في مسألتنا ، إذ لا يمكنهم حينئذ تكفير من يجاهرهم بصريح الكفر ، فكيف يتنسى لهم تكفير من انطوى ضميره على تقديس الله عز وجل ، وانعقد قلبه على تنزيهه ، ونبضت شرايينه بتسبيحه ، ونبت لحمه واشتد عظمه على توحيده ، وخالط الايمان مخه ودمه وامتزج بجميع عناصره ، فشهد به لسانه ، وبخعت له أركانه ، واعترفت به حركاته ، وأقرت به سكناته ، مؤمناً برسوله ، موقناً بجميع ما جاء به من عند الله عز وجل ، يثحي ما أحياء الكتاب والسنة ، ويميت ما أماتاه ، لكن مثينا بقوم همهم تفريق المسلمين ودأبهم بث العداوة بين الموحدين (وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) .

وعن الأوزاعي : والله لئن نشرت لا أقول بتكفير أحد من أهل الشهادتين . وعن ابن سيرين : أهل القبلة كلهم فاجون .

وسئل الحسن البصري عن أهل الأهواء ؟ فقال : جميع أهل التوحيد من أمة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم يدخلون الجنة البتة .

وسئل الزهري عن لابس الفتن وقاتل فيها ؟ فقال : القاتل والمقتول في الجنة ، لأنهم من أهل لا إله إلا الله .

وعن سفيان الثوري : لا تحل عداوة موحد وان مال به الهوى عن الحق
لأنه لا يهلك بذلك .

وعن سعيد بن المسيب : لا تعادِ منتحلاً لدين الاسلام وان أخطأ ، فكل
مسلم مغفور له .

وعن ابن عيينة : لأن تأكل السباع لحمي أحب إلي من أن ألقى الله
تعالى بعداوة من يدين له بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة .

قلت : أي حكمة في عداوته الا اعلانه فيما يسيئك ومجاهرته فيما
يخالفك ، وحرية المذاهب والأديان تخول ذلك ، ولو تحببت اليه ثم ناظرته
فعمى ان يتبين له صوابك فيتبعه ، أو يريك الحق فتوافقه . على انه ما صار
الى خلافك عناداً للحق ، أو رغبة في الباطل ، ضرورة ان ذلك لا يفعله - في
مقام التقرب الى الله تعالى - عاقل .

أجل سبق قسراً الى مخالفتك في بعض ما تعبره من الفروع بسياط الادلة
القاطعة ، ومقارع الحجج الساطعة ، وهبها شهباً (كما تزعم) لكنها توجب
العذر لمن غلبت عليه (لأنها مع كونها من الكتاب والسنة) أفادته القطع بما
قادته اليه ، فان كان مصيباً فله أجران وإلا فقد أجمع المسلمون على معذرة
من تأول (في غير اصول الدين) وان أخطأ كما تشهد به أخبارهم وتفصح
عنه أسفارهم وتعلنه أفعالهم وأقوالهم .

« الفصل »

٧

في بشائر السنة الشيعية ، وهي صحاح متظافرة من طريق العترة الطاهرة ،
واليك منها ما أخرجه محدثو أهل السنة بأسانيدهم وطرقهم :

روى الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابن عباس — كما في صفحة ٩٦ من الصواعق المحرقة لابن حجر ^(١) — أنه قال : لما أنزل الله تعالى « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية • جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه » قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي : هم أنت وشيعتك ، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ، ويأتي عدوك غضابي مقمحين •

وأخرج الحاكم في شواهد التنزيل عن ابن عباس أيضاً : قال نزلت هذه الآية « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » في علي وأهل البيت ، وعدها ابن حجر في الفصل الأول من الباب ١١ من صواعق في جملة الآيات النازلة فيهم عليهم السلام — فراجع الآية الحادية عشرة من الآيات التي أوردها هناك ^(٢) •

وأخرج الحاكم في كتابه شواهد التنزيل بالاسناد الى علي قال : قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا مسنده الى صدري ، فقال : يا علي ألم تسمع قول الله تعالى « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » هم شيعتك ، وموعدي وموعدكم الحوض ، يدعون غراً محجلين •

وأخرج الديلمي — كما في ص ٩٦ من الصواعق المحرقة — قال : قال

(١) راجع النسخة المطبوعة بالمطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٢٤ هـ ، وكل ما نقله عن الصواعق فانما نقله عن هذه النسخة •
(٢) في صفحة ٩٦ من الصواعق •

رسول الله (ص) : يا علي إن الله قد غفر لك ولولدك ولذريتك ولأهلك
ولشيعتك ولمحبي شيعتك ، فابشر فانك الأنزع البطين .

وأخرج الطبراني وغير واحد من المحدثين أن علياً أتى يوم البصرة
بذهب وفضة ، فقال : أبيضاء وصفراء غري غري ، غري أهل الشام غداً اذا
ظهروا عليك ، فشق قوله هذا على الناس فذكر ذلك له ، فأذن في الناس
فدخلوا عليه ، فقال : إن خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :
يا علي إنك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين ، ويقدم عليه عدوك
غضابى مقمحين . قال : ثم جمع علي يده الى عنقه يريهم الاقماح اه .

وقد أورد ابن حجر هذا الحديث في صفحة ٩٢ من صواعقه وعلق عليه
كلاماً يضحك الشكلى ، ونحن نأخذ بما روى ونعرض عما رأى .

وأخرج الطبراني - كما في صفحة ٩٦ من الصواعق أيضاً - قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي : أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت
والحسن والحسين ، وذريتنا خلف ظهورنا ، وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا .

وأخرج أحمد بن حنبل في المناقب - كما في صفحة ٩٦ من الصواعق
أيضاً - أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي : أما ترضى انك
معي في الجنة والحسن والحسين وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا .

وأخرج الحاكم - كما في تفسير آية المودة في القربى من مجمع البيان -
بالاستناد الى أبي امامة الباهلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
إن الله تعالى خلق الأنبياء من أشجار شتى ، وخلقنا أنا وعلي من شجرة
واحدة ، فأنا أصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمارها
وأشباغنا أوراقها ، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا ، ومن زاع عنها هوى ،

ولو ان عبداً عبد الله ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام حتى يصير كالشن البالي وهو لا يحبنا كبَّه الله على منخريه في النار ، ثم تلا : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » .

تنبیه

لا يخفى ان شيعة علي وأهل البيت هم أتباعهم في الدين وأشياعهم من المسلمين ، ونحن والحمد لله قد انقطعنا اليهم في فروع الدين وعقائده وأصول الفقه وقواعده وعلوم السنة والكتاب وفنون الاخلاق والسلوك والآداب بخوعاً لامامتهم واطراراً بولايتهم ، وقد والينا أولياءهم وجانبنا أعداءهم ، عملاً بقواعد المحبة وطبقاً لاصول الاخلاق في المودة ، فكنا بذلك لهم شيعة وكانوا لنا وسيلة وذريعة . والحمد لله على هدايته لدينه والتوفيق لما دعا اليه الرسول من التمسك بثقله والاعتصام بحبله ودخول مدينة علمه من بابها ، باب حطة وأمان أهل الأرض وسفينة نجاة هذه الأمة ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

وأخرج ابن سعد (كما في صفحة ٩١ من الصواعق) عن علي : اخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين . قلت : يا رسول الله فمحبونا ؟ قال : من ورائكم .
وأخرج الديلمي (كما في الصواعق أيضاً) مرفوعاً : إنما سميت ابنتي فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار (١) .

وأخرج ابن حنبل والترمذي (كما في صفحة ٩١ من الصواعق) أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بيد الحسنين وقال : من أحبني وأحب هذين (١) وأخرج النسائي نحوه كما في صفحة ٩٦ من الصواعق .

وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة (٢) •
وأخرج الثعلبي في تفسيره الكبير بالاسناد الى جرير بن عبدالله البجلي
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من مات على حب آل
محمد (٣) مات شهيداً ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ،
ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ، ألا ومن مات على حب آل محمد
مات مؤمناً مستكمل الإيمان ، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك
الموت بالجنة ثم منكر ونكير ، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف الى
الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها ، ألا ومن مات على حب آل محمد
فتح له في قبره بابان الى الجنة ، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله
قبره مزار ملائكة الرحمة ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة

(٢) وأخرجه أيضاً أبو داود (كما في صفحة ١٠٣ من الصواعق) وزاد فيه
« ومات متبعاً لسنتي » ، وبها يعلم أن اتباع سنته لا يكون الا بمحبتهم (ع) •
(٣) المراد من آل محمد في هذا الحديث ونحوه مجموعهم من حيث
المجموع ، باعتبار أنهم الذين هم خلفاء رسول الله (ص) وأوصياؤه ، ووارثوا
حكمه وأولياؤه ، وهم الثقل الذي قرنه بالقرآن ونص على انهما لا يفترقان ،
فلا يضل من تمسك بهما ولا يهتدي من تخلى عن أحدهما ، وليس المراد هنا
من الآل جميعهم على سبيل الاستغراق والشمول لكل فرد فرد ، لأن هذه
المرتبة السامية ليست الا لأولياء الله القوامين بأمره ، خاصة بحكم الصحاح
المتواترة من طريق العترة الطاهرة •

نعم تجب محبة جميع أهل بيته وذريته كافة لتفرعهم من شجرته الطاهرة
صلى الله عليه وآله وسلم ، وبذلك تحصل الزلفى لله تعالى والشفاعة من جدهم
بأبي هو وأمي ، وكنت أوصيت أولادي أن يكتبوا هذا الحديث على كفي
بعد الشهاداتين لألقى الله تعالى بذلك ، والآن أكرر وصيتي هذه اليهم ولتكن
الكتابة على العمامة •

والجماعة ، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله - الحديث •

وقد ارسله الزمخشري في تفسير آية المودة في القربى من سورة الشورى من كشفه ارسال المسلمات ، ورواه المؤلفون في المناقب والفضائل مرسلًا مرة ومسندًا تارات • وأنت تعلم أن هذه المنزلة السامية إنما ثبتت لهم لأنهم حجج الله البالغة ، ومناهل ، شرائعه السائغة ، وأمناءه بعد النبي (ص) على وحيه ، وسفراؤه في أمره ونهيه ، فالمحب لهم بسبب ذلك محب لله والمبغض لهم مبغض لله • ومن هنا قال فيهم الفرزدق •

من معشر حبههم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم

إن عند أهل التقى كانوا أنسهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

وأخرج أحمد « كما في أواخر الفصل الثاني من الباب ٩ من الصواعق ^(٤) » عن علي قال : طلبني النبي (ص) فوجدني في حائط فقال : قم والله لأرضيك ، أنت أخي وأبو ولدي تقاتل على منيتي ، من مات على عهدي فهو في كنز الجنة ومن مات على عهدك فقد قضى نجه ، ومن مات يحبك بعد موتك ختم الله له بالأمن والايمان ما طلعت شمس أو غربت •

وأورد ابن حجر في أواخر المقصد الثاني من المقاصد التي ذكرها في آية المودة في القربى من صواعقه حديثاً هذا لفظه ^(٥) ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج على أصحابه ذات يوم ووجهه مشرق كدائرة القمر ، فسأله

(٤) صفحة ٧٥ •

(٥) راجعه في صفحة ١٠٣ من الصواعق ورواه غير واحد ممن كتب

في المناقب والفضائل •

عبدالرحمن بن عوف عن ذلك فقال (ص) : بشارة اتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي ، بأن الله زوج علياً من فاطمة ، وأمر رضوان خازن الجنان فهز شجرة طوبى فحملت رفاقاً - يعني صكاً - بعدد محبي أهل بيتي ، وأنشأ تحتها ملائكة من نور دفع الى كل ملك صكاً ، فاذا استوت القيامة بأهلها نادى الملائكة في الخلائق فلا يبقى محب لأهل البيت إلا دفعت اليه صكاً فيه فكاكه من النار ، فصار أخي وابن عمي وابنتي فكلّك رقاب رجال ونساء من امتي من النار . والأخبار في هذا لا يحتملها هذا الاملاء ، وفي هذا القدر كفاية لمن كانت له تعالى فيه عناية .

فعسى ان يعرف الشيعي بعد هذا أن أهل السنة قد انصفوا واعترفوا ، وعسى أن يعرف السني لا وجه بعد هذه المبشرات لشيء من الضغائن أو الهناة . والسلام على من اتبع السنن وجانب الفتن ورحمة الله وبركاته .

« الفصل »

٨

نضمنه طائفة ممن تأولوا من السلف فخالقوا الجمهور ولم يقدح ذلك في عدالتهم .

وغرضنا الذي نرمي اليه إنما هو ايضاح معذرة المتأولين من المسلمين ، وذلك انك اذا رأيت صالح سلفك ومن أخذت عنه دينك واتخذته واسطة بينك وبين نبيك صلى الله عليه وآله وسلم يخالفك مجتهداً وينحو غير نحوك متأولاً فلا جرم انك تقطع حينئذ بمعذرة من يتأول من معاصريك نحو تأوله أو يخالفك مثل خلافه .

وانا أرجو ممن خدمتهم من اخواني المسلمين بهذه الرسالة أن ينظروا

بعين الانصاف هل كان بين الله عز وجل وبين أحد من الناس قرابة فيحاييه ؟
 كلا ! ما كان الله ليعاقب قوماً بأمر يشيب به آخرين ، إن حكمه في الأولين
 والآخين لواحد ، وما بين الله تعالى وبين أحد من خلقه هوادة في إباحة حمى
 حرمه على العالمين .

إن المتأولين بما يخالف الجمهور من الصحابة والتابعين وتابعيهم كثيرون
 لا يسعنا استقصاؤهم وإنما نذكر منهم ما يحصل به الغرض :

هذا أبو ثابت سعد بن عبادة العقبي البصري سيد الخزرج وقيهم
 وجواد الأنصار وعظيمهم ، تخلف عن بيعة الخلفيتين ، وخرج مغاضباً الى
 الشام فقتل غيلة بحوران سنة ١٥ للهجرة ، وله كلام يوم السقيفة وبعده نلفت
 الطالبين له الى كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة أو الى تاريخ الطبري أو
 كامل ابن الأثير أو غيرها من كتب السير والأخبار ، فاني لا اظنه يخلو من
 كتاب يشتمل على ذكر السقيفة ، وكل من ذكر سعداً من أهل التراجم ذكر
 تخلفه عن البيعة ، ومع ذلك لم يرتابوا في كونه من أفاضل المسلمين وعدول
 المؤمنين ، وما ذاك إلا لكونه متأولاً ، فهو معذور عندهم وان كان مخطئاً .

وهذا حباب بن المنذر بن الجموح الانصاري البصري الأحدي ، تخلف
 عن البيعة أيضاً كما هو معلوم بحكم الضرورة من تاريخ السلف ، فلم يقدح
 ذلك في عدالته ولا أقص من فضله ، وهو القائل : أنا جديتها المحكم ،
 وعنديها المرجب ^(١) أنا أبو شبل في عرينة الاسد ، والله لئن شئت لنعيدنها
 جذعة . وله كلام آخر رأينا الاعراض عنه أولى ، ولولا معذرة المتأولين ما

(١) الجذيل مصغر جذل : عود ينصب للجرباء لتحثك به . والعذيق
 مصغر عذق : قنو النخلة . والمرجب : المجل ، والتصغير هنا للتعظيم .

كان أهل السنة ليقطعوا بأن هذا الرجل من أفاضل أهل الجنة ، مع مكاشفته للخليفين بما هو مبسوط في كتب الفريقين •

وهذا أمير المؤمنين عليه السلام ، وعنه العباس وبنوه ، وعتبة بن أبي لهب ، وسائر بني هاشم ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر ، والمقداد وعمار ، والزبير ، وخزينة بن ثابت ، وأبي بن كعب ، وفروة بن عمرو بن ودقة الأنصاري ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والبراء بن عازب ، ونفر غيرهم تخلفوا عن البيعة أيضاً بحكم ما تواتر من الأخبار واتضح اتضاح الشمس في رابعة النهار ، وقد نصّ الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما (٢) على تخلف علي عن البيعة حتى لحقت سيدة النساء بأبيها صلى الله عليه وآله وسلم وانصرفت عنه وجوه الناس •

وصرح بتخلفه المؤرخون كابن جرير الطبري في موضعين من أحداث السنة الحادية عشرة من تاريخه المشهور ، وابن عبد ربه المالكي في حديث السقيفة من الجزء الثاني من العقد الفريد (٣) وابن قتيبة في أوائل كتابه الامامة والسياسة وابن الشحنة حيث ذكر بيعة السقيفة في كتابه « روضة المناظر » (٤) وأبي الفداء حيث أتى على ذكر أخبار أبي بكر وخلافته في

(٢) راجع أواخر باب غزوة خيبر في صفحة ٣٦ من الجزء الثالث من صحيح البخاري المطبوع في مصر سنة ١٣٠٩ وفي هامشه تعليقة السندي ، أو باب قول النبي (ص) لا نورث ما تركنا فهو صدقة من كتاب الجهاد والسير من صحيح مسلم في صفحة ٧٢ من الجزء الثاني طبع مصر سنة ١٣٢٧ تجد التصريح بتخلفه عن البيعة مسنداً الى أم المؤمنين عائشة (رض) •

(٣) في ص ١٩٧ من النسخة المطبوعة في مصر سنة ١٣٠٥ وفي هامشها زهر الآداب •

(٤) هذا الكتاب ومروج الذهب مطبوعان في الهامش من كامل ابن

تاريخه الموسوم بالمختصر في أخبار البشر ، ونقله المسعودي في مروج الذهب عن عروة بن الزبير في مقام الاعتذار عن أخيه عبدالله ^(٥) إذ همّ بتحريق بيوت بني هاشم عليهم حين تخلفوا عن بيعته ، ورواه الشهرستاني عن النظام عند ذكره للفرقة النظامية في كتابه الملل والنحل ، وأورده ابن أبي الحديد المعتزلي الحنفي في أوائل الجزء السادس من شرح النهج ^(٦) ، ونقله العلامة في نهج الصدق عن كتاب المحاسن وانقاس الجواهر وغرر ابن خزابة وغيرها من الكتب المعتبرة ، وأفرد أبو مخنف لبعة السقيفة كتاباً على حدة فيه تفصيل ما أجملناه من تخلف علي عن البيعة وعدم إقراره لهم بالطاعة .

وهذا من أدل الأمور على معذرة المتأولين ، ومن يجترى على أخي النبي ووليه ووارثه ووصيه (وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) فيقول إنه كان حينئذ عاصياً لله سبحانه ، وهو أول من آمن به وأطاعه من هذه الأمة ، أو يقول انه كان مخالفاً للسنة ، وهو قيمها ووارثها وصاحب العناء بتأييدها ، وقد انتهى إليه ميراثها ، أو يزعم انه كان مفارقاً لشقيقه القرآن وقد نص النبي (ص) على انهما لا يفترقان ^(٧) أو يتوهم انه كان مجانباً

الأثير ، أما مروج الذهب فمطبوع مع الخمس الأول من مجلدات الكامل ، وهذا الكتاب - أعني تاريخ ابن الشحنة - في هامش المجلد الأخير المشتغل على جزء ١١ وجزء ١٢ ، وما نقلناه عنه هنا موجود في صفحة ١١٢ من الجزء الحادي عشر فراجع .

(٥) عرفت أن مروج الذهب مطبوع في هامش ابن الأثير ، وما نقلناه الآن عنه موجود في آخر صفحة ٢٥٩ من الجزء السادس فراجع .

(٦) في أوائل الصفحة الخامسة من المجلد الثاني من الشرح طبع مصر .

(٧) أخرج الطبراني في الأوسط « كما في الفصل الثاني من الباب التاسع

من الصواعق صفحة ٧٤ » عن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول :

للعوَاب ، وقد أذهب عنه الرجس وطهره نصَّ الكتاب ، أو يقول انه كان متكباً عن الحق ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « علي مع الحق والحق مع علي يدور معه كيف دار » أو يقول انه قعد به الجهل بحكم هذه البيعة ، وهو أقصى الأمة وباب مدينة العلم (ومن عنده علم الكتاب) . وهذا أبو سفيان صخر بن حرب تخلف عن البيعة أيضاً وهو القائل يومئذ ^(٨) اني أرى غبرة لا يطفئها إلا دم ، وجعل يطوف في أزقة المدينة ويقول:

بني هاشم لا تطمع الناس فيكم ولا سيما تيم بن مرة أو عدي
فما الأمر إلا فيكم واليكم وليس لها إلا أبو حسن علي
وقال ^(٩) فما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش ، ثم قال لعلي :
ابسط يدك أبياعك ، فوالله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجلاً ، فأبى أمير المؤمنين عليه السلام ، فتسل بقول المتلمس :

ولن يقيم على خسف يراد به إلا الأذلان غير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يبكي له أحد
هذا بعض ما كان منه يومئذ ، ونحن (الامامية) لا نحمل فعله هذا إلا على ارادة الفتنة ، وشق عصا المسلمين ، ولذا زجره أمير المؤمنين عليه السلام وقال له ^(١٠) والله إنك ما أردت بهذا إلا الفتنة ، وانك والله طالما بغيت للإسلام شراً .

علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الخوض .
(٨) هذا وما بعده حتى البيتان موجود في حديث المقيفة من العقد الفريد فراجع .
(٩) هذا وما بعده حتى البيتان الأخوان موجود في حديث المقيفة من كامل ابن الأثير .
(١٠) نقلناه عن كامل ابن الأثير .

وإنما ذكرناه في عداد المتأولين مجازاً لمن يحمل أفعاله على الصحة ،
لنتم حجتنا عليهم به في معذرة المتأولين ، ضرورة أنه لا يمكن أن يكون معذوراً
عندهم في هذا التخلف إلا بناء على ذلك الأصل .
وهذه سيدة نساء العالمين ، وبضعة خاتم النبيين والمرسلين صلى الله عليه وآله
وآله وسلم ، قد علم الناس ما كان بينها وبين أبي بكر إذ هجرته فلم تكلمه حتى
ماتت ودفنها أمير المؤمنين ليلاً ، ولم يؤذن بها إلا نقراً من شيعة لئلا يصلي
عليها غيرهم ، وهذا من المسلمات أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين (١١)
ورواد الإمام أحمد من حديث أبي بكر في أواخر صفحة ٦ من الجزء الأول
من مسنده ، وذكره أهل الأخبار ، ونص عليه أرباب السير ، وحسبك من
ذلك ما أودعه الإمام ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة ونقله العلامة المعتزلي
عن ثقة المؤرخين في شرحه لنهج البلاغة .

ولها خطبتان تفرغ فيهما عن لسان أبيها صلى الله عليه وآله وسلم ،
أحدهما في ميراثها والثانية في أمر الخلافة ، أوردهما أحمد بن عبد العزيز
الجوهري في كتابه والعلامة المعتزلي في الجزء ١٦ من شرح النهج (١٢) واليكهما
في كتاب بلاغات النساء (١٣) والاحتجاج والبحار وغيرها من كتب التريقين ،

(١١) راجع أواخر باب غزوة خيبر في صفحة ٣٦ من الجزء ٣ من صحيح
البخاري أو أول كتاب الفرائض في صفحة ١٠٥ من الجزء الرابع من صحيحه
أيضاً أو باب قول النبي (ص) لا نورث ما تركناه فهو صدقة من كتاب الجهاد في
صفحة ٧٢ من الجزء ٢ من صحيح مسلم .

(١٢) أما الأولى فموجودة في صفحة ٧٩ والثانية في صفحة ٨٧ من المجلد
الرابع من شرح النهج طبع مصر .

(١٣) مؤلفه أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر المتوفي سنة ٢٨٠ فراجع منه
صفحة ١٦ و ٢٣ .

لتكون على يقين من معذرة المتأولين .

وهذا أبو سليمان خالد بن الوليد المخزومي ، قُتِل يوم البطاح مالك بن نويرة بن حمزة بن شداد بن عبد بن ثعلبة بن يربوع التميمي ، ونكح زوجته أم تميم بنت المنهال وكانت من أجمل النساء ، ثم رجع الى المدينة وقد غرز في عمامته أسهماً فقام اليه عمر (رض) فنزعها وحطمها ، وقال له (كما في تاريخ ابن الاثير وغيره) قتل امرءاً مسلماً ثم نزوت على امرأته ، والله لأرجنك بأحجارك . ثم قال لابي بكر (كما في ترجمة وثيمة بن موسى من وفيات ابن خلكان) إن خالداً قد زنى فارجمه . قال : ما كنت لأرجمه ، فانه تأول فأخطأ . قال : إنه قتل مسلماً فاقتله به . قال : ما كنت لاقتله به ، إنه تأول فأخطأ . فلما أكثر عليه قال : ما كنت لأشيم سيفاً لك الله تعالى ، وودى مالكاً من بيت المال ، وفك الاسرى والسبايا من آله . وهذه الواقعة من المسلمات ، لا ريب في صدورها من خالد (١٤) وقد ذكرها محمد بن جرير الطبري في (١٤) وله واقعة أخرى أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك انه بعث الى بني جذيمة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً ، وكانت جذيمة قتلت في الجاهلية عمه النفاكه بن المغيرة ، فلما ورد عليهم قال لهم : ضعوا سلاحكم فإن الناس قد أسلموا ، فوضعوا سلاحهم فأمر بهم فكثفوا ثم عرضهم على السيف وقتل منهم مقتلة عظيمة ، فلما انتهى الخبر الى النبي (ص) رفع يده الى السماء فقال « كما في باب بعث خالد بن الوليد الى جذيمة من كتاب المغازي من صحيح البخاري في صفحة ٤٧ من جزئه الثالث » : اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد - مرتين .

ثم أرسل علياً « كما في كامل ابن الاثير وغيره » ومعه مال ، وأمره ان ينظر في أمرهم فودي لهم الدماء والاموال حتى انه ودى ميلغة الكلب ، وبقي معه من المال فضلة ، فقال لهم : هل بقي لكم مال أو دم لم يود ؟ قالوا : لا . قال : فاني أعطيك هذه البقية احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،

تاريخه وابن الاثير في كامله ، ووثيمة بن موسى بن الفرات والواقدي في كتابيهما ، وسيف بن عمر في كتاب الردة والفتوح ، والزبير بن بكار في الموفقيات ، وثابت بن قاسم في الدلائل ، وابن حجر العسقلاني في ترجمة مالك من أصابته ، وابن الشحنة في روضة المناظر ، وأبو الفداء في المختصر ، وخلق كثير من المتقدمين والمتأخرين ، والكل ذكروا اعتذار أبي بكر عن خالد بأنه تأول فأخطأ .

وإذا كان أبو بكر أول من نص على معذرة المتأولين ، فمن ذا يرتاب في ذلك من جمهور المسلمين .

وليت شعري متى كان التأول في الفروع شيئا فكراً أم كيف لا يكون عند الله والمؤمنين عذراً ، وقد تأول السلف كثيرا من ظواهر الأدلة لأمر ظنوا فيها صلاح الملة ، فبضع لتأولهم جمهور المسلمين ، واقطع اليهم في كل ما يتعلق بالدين ، تقديسا لتأولهم واجتهادهم ، وتنزيها لغرضهم ومرادهم ، واليك مضافا الى ما تلوناه تلميحا الى بعض تأولاتهم وإشارة الى اليسير من اجتهاداتهم ، أذكر ذلك مختصرا في العبارة والحر تكفيه الإشارة .

فمنها تأولهم في الطلاق الثلاث وحكمهم فيه بخلاف ما كان عليه زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر كما هو مقرر معلوم .

ففي باب طلاق الثلاث من كتاب الطلاق من صحيح مسلم في صفحة ٥٧٤ من جزئه الاول عن ابن عباس بطرق مختلفة قال : كان الطلاق على عهد

ففعّل ثم رجع فأخبر النبي (ص) فقال : أصبت وأحسن .

هذا ما نقله جميع المؤرخين وكل من ترجم خالداً ، حتى قال ابن عبد البر بعد أن ذكر هذا الخبر عنه في ترجمته من الاستيعاب ، ما هذا لفظه : وخبره في ذلك من صحيح الاثر اه .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وستين من خلافة عمر طلاق
 الثلاث واحدة • قال : فقال عمر بن الخطاب إن الناس قد استعجلوا في أمر
 قد كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم • قال : فأمضاه عليهم اه •
 ونقله قاسم بك أمين في صفحة ١٧٣ من كتابه « تحرير المرأة » عن صحيح
 البخاري ونقله الفاضل الرشيد في صفحة ٢١٠ من المجلد الرابع من مناره عن
 أبي داود والنسائي والحاكم والبيهقي ثم قال ما هذا لفظه : ومن قضاء النبي
 بخلافه ما أخرجه البيهقي عن ابن عباس ^(١٥) قال : طلق ركانة امرأته ثلاثا في
 مجلس واحد فحزن عليها حزنا شديدا ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وآله
 كيف طلقها ؟ قال : ثلاثا • قال : في مجلس واحد ؟ قال : نعم • قال : فانما تلك
 واحدة فارجعها إن شئت اه •

قلت : وهذا مذهبنا في المسألة ، ويدل عليه مضافا الى ما سمعت ^(١٦)
 وكونه مقتضى الاصل قوله تعالى « الطلاق » الذي تحل المطلقة من بعده انما
 هو « مرتان » فان طلقها مرتين فالواجب عليه بعد ذلك ما أشار اليه سبحانه بقوله
 « فأمساك » بعد التلقيتين المتفرقتين « بمعروف او تسريح » حينئذ « بأحسن »

(١٥) وذكره ابن اسحاق في صفحة ١٩١ من الجزء ٢ •
 (١٦) ويدل عليه أيضا ما نقله قاسم بك أمين في صفحة ١٧٣ من كتابه
 تحرير المرأة عن النسائي والقرطبي والزيلعي بالاسناد الى ابن عباس قال :
 أخبر رسول الله (ص) عن رجل طلق امرأته ثلاثا جمعا ، فقام غضبان ثم قال :
 أتلعبون بكتاب الله وأنا بين أظهركم اه ، قلت : وفي تفسير سورة الطلاق من
 الكشاف نحوه ، وربما قيل إن هذا الحديث دال على فساد الطلاق الثلاث
 بالمرة لكونه لعبا ، وبذلك قال سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين ، لكن
 الحق ان اللعب إنما هو في قوله ثلاثا فيلغى واما قوله أنت طالق فيؤثر أثره
 إذ لا لعب فيه كما هو واضح •

الى ان قال عز اسمه : « فان طلقها » أي مرة ثالثة بعد المرتين المتفرقتين « فلا تحل له من بعد » ذلك التطليق الثالث « حتى تنكح زوجا غيره » .
وعلى هذا فلو قال لزوجته « أنت طالق ثلاثا » ولم يكن طلقها من قبل أصلا ، او كان قد طلقها مرة واحدة فلا مانع لهما ان يتراجعا وان لم ينكحها غيره ، لأن المنفي في الآية انما هو حل ارجاعها من بعد التطليق الثالث المسبوق بتطليقتين كما لا يخفى . بيد أن أبا حفص (رض) تأول الآية وسائر ادلة المسألة (١٧) عقوبة للمستعجلين وردعا لاهل الطيش والجاهلين ، وهذا كاف لك في معذرة المتأولين . فتدبر ولا تكن من الغافلين .

ومنها تأولهم في متعة الحج ومتعة النساء وحكمهم فيهما بخلاف ما كانتا عليه أيام النبي (ص) كما هو مقرر معلوم ، وبيان ذلك على التفصيل يستوجب مباحث :

« المبحث الاول »

في أصل مشروعيتها

أعلم أن هذا المقدار ثابت بأجماع المسلمين ، وبكل من الكتاب والسنة : أما الاجماع فلأن اهل القبلة كافة متفقون على ان الله تعالى قد شرع هاتين المتعتين في دين الاسلام ، واهل التوحيد من هذه الامة قاطبة متصافقون على ذلك ، بحيث لا ريب فيه لأحد من المتقدمين والمتأخرين من كافة المسلمين ، بل لعل ذلك ملحق لدى أهل العلم بالضروريات الثابتة عن سيد النبيين (ص) فلا ينكره أحد من أهل المذاهب الاسلامية مطلقا .

(١٧) وفي الصفحة ٢١٢ من المجلد ٤ من المنار تصريح بأن عمر قد اجتهد في هذه المسألة .

وأما الكتاب العزيز ففيه آيتان محكمتان : إحداهما في تشريع متعة الحج والآخرى في تشريع متعة النساء (١) .

أما آية متعة الحج فهي قوله تعالى : « فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي » الى قوله عز اسمه : « ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام » إذ لا خلاف بين المسلمين في نزولها في متعة الحج كما لا يخفى .

(١) متعة النساء (التي هي موضوع الخلاف بين الشيعة والسنة) أن تزوجك المرأة نفسها حيث لا يكون لك مانع في دين الاسلام عن نكاحها من نسب أو سبب أو رضاع أو احصان أو عدة أو غير ذلك من الموانع الشرعية ، ككونها منكوحة لايك ، أو كونها اختاً لزوجتك ، أو غير ذلك - تزوجك نفسها بمهر معلوم الى أجل مسمى ، بعقد نكاح جامع لشرائط الصحة الاسلامية ، فتقول لك بعد الاتفاق والتراضي : « زوجتك » أو انكحتك ، أو متعتك نفسي ، بمهر قدره كذا يوماً أو شهراً أو سنة أو تذكر مدة أخرى معينة على الضبط ، فتقول أنت لها على الفور : « قبلت » . وتجاوز الوكالة في هذا العقد كغيره من العقود ، وبتمامه تكون زوجة لك ، وأنت تكون زوجاً لها الى منتهى الاجل المسمى في العقد ، وبسجود انتهائه تبين من غير طلاق كالاجارة ، وللزوج فراقها قبل انتهائه بهبة المدة المعينة لا بالطلاق عملاً بالنصوص الخاصة بالدالة على ذلك ، ويجب عليها مع الدخول وعدم بلوغها سن اليأس أن تعتد بعد هبة المدة أو انقضائها بقرءين اذا كانت ممن حيض وإلا فبخمسة وأربعين يوماً كالأمة عملاً بالدالة الخاصة أيضاً ، فاذا وهبها المدة أو انقضت قبل ان يسها فساله عليها من عدة كال المطلقة قبل الدخول .

وولد المتعة ذكراً كان أو انثى يلحق كغيره من الابناء بأبيه ، فانه أشرف الابوين ، ولا يدعى إلا له عملاً بقوله تعالى « ادعوهم لأبائهم » ، وله من الارث ما أوصى به الله سبحانه حيث يقول : « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » ولا فرق (عند مبجي المتعة) بين ولدك المولود أحدهما منها والآخر من النكاح المألوف بين عامة المسلمين ، وجميع العمومات الواردة

أما آية متعة الحج فهي قوله تعالى : « فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استتمتع به منهن فآتوهن أجورهن » حتى ان كلا من أبي بن كعب في الابناء والآباء والامهات شاملة لابناء المتعة وآبائهم وأمهاتهم ، وكذا القول في العمومات الواردة في الاخوة والاخوات وأبنائهما والاعمام والعلمات والاخوال والخالات وأبنائهم « وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض » مطلقا .
نعم عقد نكاح المتعة لا يوجب توارثا بين الزوجين المتمتعين ولا ليلة ولا ثقة للمستمتع بها ، وللزوج أن يعزل عنها عملا بالدلة الخاصة المخصصة للعمومات الواردة في أحكام الزوجات .

هذه هي متعة النساء التي فهم الامامية من الكتاب والسنة دوام أبحاثها ، وأهل المذاهب الاربعة قالوا بتحريمها مع اعترافهم بأن الله تعالى شرعها في دين الاسلام ، وليس عندنا متعة نساء غيرها بحكم الضرورة الاولى من مذهبنا المدون في الوف من مصنفات علمائنا المنتشرة بفضل الطبع في أكثر بلاد الاسلام لكن محسود شكري الالوسي غفر الله له لفق رسالة بذينة شحنها بإفكه الواضح وبهتانه الفاضح ، وقد وقفت عليها في الجزء ٦ من المجلد ٢٩ من المنار فاذا هي كذب وسباب وتنازع بالالفاظ نعوذ بالله السميع العليم من الافاك الانيه ، إذ يقول غير متأثم : إن عند الشيعة متعة أخرى يسونها المتعة الدورية ويروون في فضلها ما يروون ، وهي ان يتسع جماعة بامرأة واحدة فتقول لهم من الصبح الى الضحى في متعة هذا ومن الضحى الى الظهر في متعة هذا ومن الظهر الى العصر في متعة هذا ومن العصر الى المغرب في متعة هذا ومن المغرب الى العشاء في متعة هذا ومن العشاء الى نصف الليل في متعة هذا ومن نصف الليل الى الصبح في متعة هذا . . . الى آخر بهتانه المبين فراجعه في صفحة ٤٤١ من المجلد ٢٩ من المنار .

وليت المنار سأل هذا المرجف المجحف فقال له : من الذي سماها من الشيعة بهذا الاسم وأي راوٍ منهم روى في فضلها شيئا أو أتى في رواياته على ذكرها ، وما تلك الروايات التي زعمت أنهم روهها في فضلها ، ومن أخرج تلك الروايات من محدثهم ، وأي عالم أو جاهل منهم افتى بها أو ذكرها ، وأي كتاب من كتب حديثهم أو فقههم أو تفسيرهم يشتمل على ذكرها ؟؟
ولو تقدم المنار بهذا السؤال لعرف حقيقة الحال ، ونحن الآن نحيله

وابن عباس (٢) وسعيد بن جبير والسدي وغيرهم كانوا يقرؤونها : « فما على مصنفات الامامية في الفقه والحديث والتفسير وسائر الفنون ، وقد انتشر منها بفضل المطابع عشرات الالوف مختصرة ومطولة متونا وشروحا بعضها للمتقدمين وبعضها للتأخرين ، فليستبعضها المنار كتابا وكتابا وليتصفحها حرفا حرفا ليعلم ان الآلوسى وأمثاله من المرجفين الظالمين لاهياء المؤمنين ولا مواتهم ، وقد بهت السلف الصالح بما تستك به المسامع وترتعد منه الفرائض :
من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيه قليله

(ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الامور) •

(٢) أرسل الزمخشري في كشفه هذه القراءة عن ابن عباس ارسال المسلمين ، والرازي ذكر في تفسير الآية أنه روى عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ « فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى فآتوهن أجورهن » • قال : وهذا أيضا هو قراءة ابن عباس • قال : والامة ما أنكروا عليها في هذه القراءة • قال : فكان ذلك اجماعا من الامة على صحة هذه القراءة — هذا كلامه بلفظه فراجع في صفحة ٢٠١ من الجزء ٣ من تفسيره الكبير •

وتقل القاضي عياض عن المازري (كما في أول باب نكاح المتعة من شرح صحيح مسلم للفاضل النووي) ان ابن مسعود قرأ « فما استمتعتم به منهن الى أجل » والاختار في ذلك كثيرة • وصرح عمران بن حصين الصحابي بنزول هذه الآية في المتعة وأنها لم تنسخ حتى قال رجل فيها برأيه ما شاء • ونص على نزول الآية في المتعة مجاهد أيضا فيما أخرجه عنه الطبري في

تفسيره بأسناده اليه ، فراجع الصفحة ٩ من الجزء ٥ من تفسيره الكبير • ويشهد لنزولها في ذلك بالخصوص ان الله سبحانه قد أبان في أوائل السورة حكم نكاح الدائم بقوله تعالى : « فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » الى أن قال : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » فلو كانت هذه الآية في بيان الدائم أيضا للزم تكرار ذلك في سورة واحدة ، أما اذا كانت لبيان المتعة المشروعة بالاجماع فانها تكون لبيان معنى جديد •

وأهل النظر ممن تدبر القرآن الحكيم يعلمون ان السورة قد اشتملت على بيان الانكحة الاسلامية كلها ، فالدائم ومملك اليمين تبينا بقوله تعالى : « فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم أن لا تعدلوا

استمتعتم به منهن الى أجل مسمى» أخرج ذلك عنهم الامام الطبري في تفسير الآية من أوائل الجزء الخامس من تفسيره الكبير، ورواه عنهم وعن ابن مسعود جماعة كثير من ثقة الامة وحفظتها ، لا يسعنا استقصاؤهم •

وأما نصوص السنة في أصل مشروعية المتعتين فتواترة ، ولا سيما من طريقنا عن العترة الطاهرة ، وحسبك في ثبوت متعة الحج واستمرارها ما أخرجه الشيخان (البخاري ومسلم) في التمتع والافراد والقرآن من كتاب الحج من صحيحهما فراجع •

على أن متعة الحج قد انعقد الاجماع بعد الخليفة الثاني على استمرارها ولم يعملوا بنهي عنها ، فهي مما لا كلام في دوامه ، وانما الكلام في متعة النساء ، وقد أخرج الشيخان في أصل مشروعيتهما أحاديث في صحيحهما كثيرة عن كل من سلمة بن الاكوع ، وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن مسعود ، وابن عباس ، وسبرة بن معبد الجهني ، وأبي ذر الغفاري ، وعمران بن حصين ، والاكوع بن عبد الله الاسلمي ، وأخرجها أحمد بن حنبل في مسنده من حديث هؤلاء كلهم ، ومن حديث عبد الله بن عمر ، وأخرج مسلم في باب نكاح المتعة من كتاب النكاح من الجزء الاول من صحيحه عن جابر بن عبد الله ، وسلمة بن الاكوع ، قال : خرج علينا منادي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إن رسول الله أذن لكم ان تستمعوا يعني متعة النساء اه • والصحاح في هذا المعنى كثيرة وفيما أشرنا اليه كفاية •

فواحدة أو ما ملكت أيمانكم •

والمتعة مبينة بآيتها هذه « فما استمتعتم به منهن » ونكاح الاماء مبين بقوله تعالى : « ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات » الى أن قال : « وآتوهن اجورهن بالمعروف » •

« المبحث الثاني » في دوام حلها واستمرار أبحاثها

وقد ذهب الى ذلك أئمتنا الاثنا عشر من أهل البيت (وأهل البيت أدري بالذي فيه) وتبعهم في ذلك شيعتهم وأولياؤهم ، وحسبك حجة لهم ما قد سمعته من إجماع المسلمين على أن الله تعالى شرعها في دينه القويم وصدع بأبحاثها في الذكر الحكيم ، وأذن في الاذن بها منادي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يثبت نسخها عن الله تعالى ، ولا عن رسوله (ص) حتى انقطع الوحي بأختيار الله تعالى لنبيه دار كرامته ومأوى اصفائه ، بل ثبت عدم نسخها بحكم صحاحنا المتواترة من طريق العترة الطاهرة ، فراجعها في كتاب وسائل الشيعة الى أحكام الشريعة •

وإن ابتغيت صحاحاً سواها فإليك ما أخرجه محدثوك « أيها القائل بتحريسها » انقله اليك بعين ألقاظهم فأقول :

أخرج مسلم في باب نكاح المتعة من صحيحه ^(١) عن عطاء قال : قدم جابر بن عبد الله معتمراً ، فجنّاه في منزله فسأله القوم عن أشياء ثم ذكروا المتعة ، فقال : نعم ، استمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر ا ه •

وأخرج مسلم في الباب المذكور أيضاً عن أبي نضرة قال : كنت عند جابر ابن عبد الله فأتاه آت فقال : ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين • فقال جابر : فعلناهما مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم نهانا عنهما عمر ، فلم نعدلهما ا ه •

(١) في صفحة ٥٣٥ من جزئه الاول •

وأخرج مسلم في الباب المذكور أيضا عن أبي الزبير قال : سمعت جابر ابن عبد الله يقول : كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الايام على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث اهـ .

وأنت تعلم ان ليس المراد من قول جابر في هذه الاحاديث استمتعنا على عهد رسول الله (ص) مرة ، وفعلناها مع رسول الله (ص) أخرى ، وكنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق على عهد رسول الله (ص) تارة ، إلا بيان أنهم كانوا يستمتعون بمراى منه صلى الله عليه وآله وسلم ومسمع ، فيقرهم على ذلك وأنه لم ينههم عنها حتى اختار الله له لقاءه . ونأهيك بهذا برهانا على دوام الإباحة . وإذا نظرت الى قوله تمتعنا واستمتعنا ، وكنا نستمتع ، وفعلناها مع رسول الله (ص) تجده ظاهرا في نسبة فعلهما أيام النبي (ص) وأبي بكر الى عموم الصحابة لا الى نفسه بالخصوص ، ولو كان ثمة ناسخ ما فعلوهما بعد النبي (ص) ولا يجوز أن يخفى الناسخ عليهم مع ملازمتهم للرسول في حضره وسفره ليلا ونهارا ، وكيف يخفى عليهم ، ثم يظهر للمتأخرين عنهم . على أن قول جابر « حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث » صريح بأن النهي عنها لم يكن من الله تعالى ولا من رسوله (ص) وانما كان من عمر لقضية وقعت من عمرو بن حريث - وقوله ثم نهانا عمر دال على أن النهي كان متوجهاً منه الى كافة الصحابة لا الى شخص منهم مخصوص ، وأما قوله « فلم نعد لهما » فانما هو للتقية والخوف من العقوبة ، والاختار الدالة على دوام إباحة المتعة واستمرار حلها لا تستقصى في هذه العجالة ، وسأتلو عليك في المبحث الرابع والمبحث الخامس لمعة من الصحاح تدل على ذلك أيضا .

« المبحث الثالث »

في الاحاديث التي زعموا أنها ناسخة لحكم المتعة

أمعنا النظر فيها فوجدناها احاديث ملفقة وضعها المتأخرون عن زمن الخلفاء الاربعة تصحيحا لرأي من حرّمها، وقد استقصيناها في رسالتنا الموسومة بالنجعة في أحكام المتعة، فأثبتنا من طريق خصومنا تضعيف تلك الاحاديث وان أخرجها الشيخان، وقلنا كلمات البعض من أئمتهم في الجرح والتعديل الدالة على ذلك، على أن تلك الاحاديث الملفقة تناقض صحاحنا المتواترة من طريق العترة الطاهرة، بل تناقض ما سمعته من صحاحهم الدالة على دوام حلها واستمرار إباحتها، ومن تدبرها وجدها تناقض نفسها بنفسها، وقد فصلنا ذلك كله في نجعتنا بما لا مزيد عليه •

وانت هداك الله سمعت النص من جابر بن عبد الله على أن التحريم • والنهي إنما كان من عمر في بادرة بدرت من ابن حريث، وستسمع كلام عمران بن حصين، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وأمير المؤمنين، فتراه صريحا بأن التحريم لم يكن بناسخ شرعي وانما كان بنهي الخليفة الثاني، ومحال أن يكون ثمة ناسخ فيجهلونه، وهم من علمت منزلتهم من رسول الله وملازمتهم له (ص) وحرصهم على أخذ العلم منه •

على أنه لو كان هناك ناسخ لنبيههم اليه بعض المطلعين عليه، وحيث لم يعارضهم أحد من الصحابة فيما كانوا ينسبونه من التحريم الى عمر علمنا أنهم أجمع معترفون بذلك، مقرون بأن لا ناسخ من الله تعالى، ولا من رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كما لا يخفى •

على أن عمر نفسه لم يدع النسخ كما ستسمع من كلامه انصريح في أسناد التحريم والنهي الى نفسه ، ولو كان هناك ناسخ لاسند التحريم الى الله تعالى أو الى الرسول (ص) فان ذلك أبلغ في الزجر وأولى بالذكر .

ومن غرائب الامور دعواهم النسخ بقوله تعالى : « والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم » يزعم انها ليست بزوجة ولا ملك يمين . قالوا : أما كونها ليست بملك يمين فمسلّم ، وأما كونها ليست بزوجة فلأنها لا نفقة لها ولا إرث ولا ليلة ، والجواب أنها زوجة شرعية بعقد نكاح شرعي ، أما عدم النفقة والارث والليلة فانما هو بأدلة خاصة تخصص العمومات الواردة في أحكام الزوجات ، كما بيناه فيما علقناه على صفحة ٤٥ من هذه الفصول . على ان هذه الآية مكية نزلت قبل الهجرة بالاتفاق ، فلا يمكن أن تكون ناسخة لا باحة المتعة المشروعة في المدينة بعد الهجرة بالاجماع .

ومن عجيب أمر هؤلاء المتكلفين ان يقولوا بأن آية (المؤمنين) ناسخة للمتعة ، إذ ليست بزوجة ولا ملك يمين ، فاذا قلنا لهم ولم لا تكون ناسخة لنكاح الاماء المملوكات لغير النكاح ، وهو لسن بزوجات للنكاح ولا ملك يمين له ، قالوا حينئذ : إن آية المؤمنين ونكاح الاماء المذكورات انما شرع بقوله تعالى في سورة النساء وهي مدنية : « فمن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات فمما ملكت ايمانكم » الآية ، والمكي لا يمكن أن يكون ناسخا للمدني لوجوب تقدم المنسوخ على الناسخ ، يقولون هذا وينسون أن المتعة إنما شرعت في المدينة بقوله تعالى في سورة النساء أيضاً : « فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن » وقد منينا بقوم لا يتدبرون فانا الله وإنا اليه راجعون .

«المبحث الرابع»

في سير من الاحاديث الدالة على أن التحريم إنما كان من الخليفة الثاني رضي الله عنه •

أخرج مسلم في باب المتعة بالحج والعمرة من صحيحه ^(١) بالاسناد الى أبي نضرة قال : كان ابن عباس يأمر بالمتعة ، وكان ابن الزبير ينهى عنها ، فذكرت ذلك لجابر فقال : على يدي دار الحديث ، تمتعنا مع رسول الله (ص) فلما قام عمر قال : إن الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء ، فأتوا الحج والعمرة ، وأتوا نكاح هذه النساء ، فلن أوتي برجل نكح امرأة الى أجل إلا رجسته بالحجارة ا ه •

وهذا كما ترى صريح بما قلناه ، ولا تنس ما ذكرناه في المبحث الثاني من حديث جابر فانه صريح بذلك أيضا فراجع وتأمل •
وقد استفاض قول الخليفة الثاني وهو على المنبر : « متعتان كاتتا على عهد رسول الله وأنا انهى عنهما وأعاقب عليهما : متعة الحج ومتعة النساء » حتى نقل الرازي هذا القول عنه محتجا به على حرمة متعة النساء ، فراجع تفسير آيتهما من تفسيره الكبير •

والذي نقله متكلم الاشاعرة وحكيههم الامام القوشجي في أواخر مبحث الامامة من شرح التجريد أن عمر قال وهو على المنبر : أيها الناس ثلاث كن على عهد رسول الله (ص) وأنا انهى عنهن وأحرمهن وأعاقب عليهن : متعة النساء ، ومتعة الحج ، وحي على خير العمل • ثم اعتذر عنه بأن هذا إنما

كان منه على تأول واجتهاد ، والاخبار في ذلك كثيرة تضيق هذه الفصول
عن استقصائها •

وقد استمتع في أيامه ربيعة بن أمية بن خلف القرشي الجمحي (وهو أخو
صفوان) فيما أخرجه الامام مالك في باب نكاح المتعة من موطأه عن عروة بن
الزبير : أن خولة بنت حكيم السلمية دخلت على عمر فقالت : إن ربيعة بن أمية
استمتع بامرأة فحملت منه ، فخرج عمر يجر رداءه (من العجلة والغضب)
فقال : هذه المتعة ولو كنت تقدمت فيها لرجمتها • أي لو كنت تقدمت في
تحريمها والانداز برجم فاعلها قبل هذا لرجمت ، إذ كان هذا القول منه قبل
نهي عنها ، نصَّ على ذلك ابن عبد البر كما في شرح الزرقاني لهذا الحديث من
الموطأ ، وربما يكون المراد بقوله : « لو كنت تقدمت فيها لرجمت » أنه لو
تقدم بأقامة الحجة من الكتاب والسنة على نسخها لرجم ، وحيث لا حجة على

تحريمها فلا رجم •
وكيف كان فكلامه هذا ظاهر بأن التصرف في حكمها إنما هو منه لا من
سواه ، وخطبته تلك على المنبر نص صريح بذلك ، حيث روى كونه المتعين
كاتباً على عهد النبي (ص) ولم يرو فيه عنهما ، بل أئسد النهي عنهما إلى
نفسه ، فقال : « وأنا أنهى عنهما » مقدماً للمسند إليه ليكون النهي عنهما
مقصوراً عليه ، ولو كان هناك ناسخ لذكره كما لا يخفى •

« المبحث الخامس »

في الإشارة إلى يسير ممن تسنى لهم أن ييوجوا ببعض ما تكنه نفوسهم
من الإنكار على تحريمها وهم كثيرون •

فمنهم جابر بن عبد الله الأنصاري وقد سمعت حديثه •

ومنه أمير المؤمنين عليه السلام فيما أخرجه الامامان الطبري والثعلبي
عند بلوغهما في تفسيريهما الكبيرين الى آية المتعة من سورة النساء بالاستناد
الى علي (١) قال : لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي ، وهذا المعنى
متواتر عنه من طريق أبنائه الميامين •

ومنه عبد الله بن عباس حيث قال : ما كانت المتعة إلا رحمة رحم الله بها
أمة محمد (ص) لولا نهيه (يعني عمر) عنها ما احتاج الى الزنى إلا شقي ، أي
إلا قليل من الناس • قل ذلك عنه ابن الاثير في مادة « شفى » من النهاية، قال
ورواه عنه خلق كثير • وقوله في إباحة المتعة والانكار على من حرمها متواتر ،
وله في ذلك مع ابن الزبير وغيره نواذر يطول المقام بذكرها ، وقد أخرج مسلم
بعضها عن جابر فراجع صفحتي ٥٨ و ٦١ من كتابنا هذا •

ومنه عبد الله بن عمر كما هو ثابت عنه • أخرج الامام احمد في صفحة ٩٥
من الجزء الثاني من مسنده من حديث عبد الله بن عمر قال : سأل رجل ابن
عمر عن متعة النساء فقال : والله ما كنا على عهد رسول الله (ص) زانين ولا
مسافحين • ثم قال : والله لقد سمعت رسول الله (ص) يقول : ليكونن قبل
يوم القيامة المسيح الدجال وكذابون ثلاثون أو أكثر اه •

وقل العلامة في نهج الصدق والشهيد الثاني في نكاح المتعة من روضته
البهية عن صحيح الترمذي أن رجلا من أهل الشام سأل ابن عمر عن متعة
النساء فقال : هي حلال • فقال : إن أباك قد نهى عنها • فقال ابن عمر : أرأيت
إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله (ص) أترك السنة وتتبع قول أبي ؟ اه
ومنه عبد الله بن مسعود ، كما هو مقرر معلوم ، أخرج البخاري ومسلم

(١) ونقله الرازي في صفحة ٢٠٠ من الجزء ٣ من تفسيره عن تفسير الطبري •

في الصحيحين ، واللفظ للأول في الصفحة الثانية أو الثالثة من كتاب النكاح عن عبد الله « ابن مسعود » قال : كنا نغزو مع رسول الله (ص) وليس لنا شيء (٢) فقلنا : ألا نستخصي ؟ فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب ، ثم قرأ علينا « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » اهـ •

وأنت تعلم أن استشهاده بالآية دال على قوله بأباحة المتعة وإنكاره على من حرمها كما صرح به كل من شرح صحيح البخاري •
ومنههم عمران بن حصين فيما صح عنه ، وقد نقل فخر الدين الرازي أثناء بحثه عن حكم متعة النساء في تفسير آيتها من تفسيره الكبير عن عمران بن حصين قال : أنزل الله في المتعة آية وما نسخها بآية أخرى ، وأمرنا رسول الله « (ص) بالمتعة وما نهانا عنها ، ثم قال رجل برأيه ما شاء » قال الرازي •
يريد عمر اهـ •

وأخرج البخاري عن عمران بن حصين قال : نزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله (ص) ولم ينزل قرآن يحرمها ولم ينه عنها حتى مات (ص) قال رجل برأيه ما شاء اهـ •

وأخرج أحمد (٣) في مسنده من طريق عمران القصير عن أبي رجاء عن

(٢) يعني ليس لنا شيء من المال ، ولفظه في صحيح مسلم « وليس لنا نساء » فيكون الظاهر من رواية البخاري أن المرخص به إنما هو كون الثوب أجرة المتعة بدلا عن النقود ، وتكون المتعة مشروعة قبل ذلك ، والظاهر من رواية مسلم أن المرخص به نفس المتعة ، ويسكن دعوى ظهور الروايتين بهذا المعنى •

(٣) في صفحة ٤٣٦ من الجزء ٤ - وأخرج أيضا في صفحة ٤٣٨ من الجزء

٤ من طريق حميد عن الحسن عن عمران مثله •

عمران بن حصين قال : نزلت آية المتعة في كتاب الله تبارك وتعالى ، وعملنا بها مع رسول الله (ص) فلم تنزل آية تنسخها ولم ينه عنها النبي حتى مات (ص) اه
وأمر المأمون أيام خلافته فنودي بتحليل المتعة ، فدخل عليه محمد بن منصور وأبو العيناء فوجداه يستاك ويقول (٤) وهو متغيظ « متعتان كاتتا على عهد رسول الله (ص) وعلى عهد أبي بكر وأنا أنهى عنهما ومن أنت يا جعل حتى تنهى عما فعله رسول الله (ص) وأبو بكر . فأراد محمد بن منصور أن يكلمه فأومأ اليه أبو العيناء وقال : رجل يقول في عمر بن الخطاب ما يقول نكلمه نحن يكلمناه ، ودخل عليه يحيى بن أكثم فخوفه من الفتنة وذكر له أن الناس يرونه قد أحدث في الاسلام بسبب هذا النداء حدثا عظيما ، لا ترتضيه الخاصة ولا تصبر عليه العامة ، إذ لا فرق عندهم بين النداء بأباحة المتعة والنداء بأباحة الزنى ، ولم يزل به حتى صرف غريمته احتياطا على ملكه واشفاقا على نفسه .

خاتمة

قال العسكري « فيما نقله السيوطي عنه في ترجمة عمر من كتابه تاريخ الخلفاء » هو أول من سمي أمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ من الهجرة ، وأول من اتخذ بيت المال ، وأول من سن قيام شهر رمضان « بالتراويح » ، وأول من عس بالليل ، وأول من عاقب على الهجاء ، وأول من ضرب في الخمر ثمانين ، وأول من حرم المتعة الخ .

والذين صرحوا بهذا من أعلام السلف والخلف لا يحيط بهم هذا الاملاء وفي هذا القدر كفاية إذ تبين به أن تحريم المتعتين إنما كان عن اجتهاد محض (٤) فيما نقله ابن خلكان في ترجمة يحيى بن أكثم من وفيات الاعيان ، لكنه لم ينقل حديث يحيى بن أكثم مع المأمون على وجهه والصحيح ما نقلناه .

وتأول صرف ، وقد قبل بالاذعان ولم يندد به من الجمهور انسان ، فثبت ما أردناه في هذه العجالة وتم ما أفردنا له هذه الرسالة من معذرة المجتهدين ونجاة المتأولين من المسلمين والحمد لله رب العالمين .

ولنرجع الى ما كنا فيه من موارد تأولهم فنقول عطفاً على ما سبق .
ومنها تأولهم في أذان الصبح حيث تصرفوا فيه فنظموا في سلك فصوله فصلا لم يكن أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ألا وهو نداء مؤذنه « الصلاة خير من النوم » بل لم يكن أيام أبي بكر وانما أمر به الخليفة الثاني فيما دلت عليه الاحاديث المتواترة من طريق العترة الطاهرة ، وحسبك من غيرها ما أخرجه الامام مالك في باب ما جاء في النداء للصلاة من مولاه من أنه بلغه ان المؤذن جاء الى عمر بن الخطاب يؤذنه لصلاة الصبح فوجده نائماً فقال: الصلاة خير من النوم ، فأمره عمر ان يجعلها في نداء الصبح انتهى بلفظه . وقال العلامة الزرقاني عند بلوغه الى هذا الحديث من شرح الموطأ ما هذا لفظه : هذا البلاغ أخرجه الدارقطني في السنن من طريق وكيع في مصنفه عن العمري عن نافع عن ابن عمر عن عمر . (قال) وأخرج عن سفيان عن محمد ابن عجلان عن نافع ابن عمر عن عمر انه قال لمؤذنه : اذا بلغت حي على الفلاح في الفجر فقل « الصلاة خير من النوم ، الصلاة خير من النوم » اهـ . قلت : وأخرجه ابن أبي شيبة من حديث هشام بن عروة ، ورواه جماعة آخرون يطول المقام بذكرهم .

وأنت تعلم أن لاعتين ولا أثر لهذه الكلمة فيما هو مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كيفية الاذان ، فراجع إن شئت كتاب الاذان في الجزء الاول من صحيح البخاري ، وباب صفة الاذان وهو في أول كتاب

الصلاة من صحيح مسلم ، تعلم حقيقة ما نقول .
 وأيضاذكروا في أصل مشروعية الاذان (١) قضية تمنعها الامامية حاصلها
 أن عبد الله بن زيد بن ثعلبة الانصاري رأى ليلة فيما يراه النائم شخصا عليه
 الاذان والاقامة ، فلما اتبعه قبل الفجر وقص الرؤيا على النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم أمره أن يلتن بلالا ما حفظه في تلك الرؤيا ، وأمر بلالا أن ينادي
 به أول الفجر ، ففعلا ذلك وشرع الاذان بهذا الطيف فيما زعموا . ونحن
 نظرنا فيما نقلوه من تلقين عبد الله لبلال فلم نجد فيه مع كونه أذانا للبحر
 « الصلاة خير من النوم » والادلة على كون هذه الكلمة ليست من الله تعالى
 ولا من رسوله (ص) كثيرة ، وما ذكرناه كاف لاثبات تأولهم في الاذان واف
 بمعذرة المتأولين في كل زمان .

ومنها تأولهم في اسقاط « حيَّ على خير العمل » من الاذان والاقامة ،
 وذلك أنهم كانوا يرغبون في إعلام العامة بأن خير العمل إنما هو الجهاد في
 سبيل الله ليشتاقوا اليه وتعكف همهم عليه ، والنداء على الصلاة بخير العمل
 في كل يوم خمس مرات (٢) ينافي ذلك .

بل ربما رأوا أن في بقاء هذه الكلمة في الاذان والاقامة تشييطا للعامة
 عن الجهاد ، اذ لو عرفوا أن الصلاة خير العمل مع ما فيها من الدعة والسلامة
 لاقتصروا في ابتغاء الثواب عليها ، وأعرضوا عن خطر الجهاد المفضول بالنسبة

(١) ذكر هذه القضية مالك في موطأه على سبيل الاجمال ، وفصلها كل
 من ابن عبد البر والزرقي في شرحيهما ، وأوردها الحلبي في باب بدء الاذان
 ومشروعيتها من الجزء الثاني من سيرته ، وكل من ذكر عبد الله بن زيد من أهل
 التراجم أشار الى هذه القضية وربما سموه صاحب الاذان ، وأصحابنا
 ينكرونها ويعدونها من المحال .

(٢) بل كل مسلم ملتزم بالسنة يقولها كل يوم عشر مرات .

اليها ، وكانت هم ولي الامر يومئذ « عمر بن الخطاب (رض) » مصروفة الى الاستيلاء على مسالك الارض ، وعزائمه مقصورة على امتلاكها في الطول والعرض .

وفتح المسالك لا يكون إلا بتشويق الجند الى التورط في سبيله بالمهالك ، بحيث يشربون في قلوبهم الجهاد حتى يعتقدوا أنه خير عمل يرجونه يوم المعاد . ولذا ترجح في نظره اسقاط هذه الكلمة تقديما لتلك المصاحبة على التعبد بما جاء به الشرع الاقدس ، فقال وهو على المنبر « كما نص عليه القوشجي أواخر مباحث الامامة من شرح التجريد وهو من أئمة المتكلمين على مذهب الاشاعرة » : ثلاث كن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أنهى عنهن وأحرمهن وأعاقب عليهن : متعة النساء ، ومتعة الحج ، وحي على خير العمل (٣) .

وتبعه في اسقاطها عامة من تأخر عنه من المسلمين ، حاشا أهل البيت ومن يرى رأيهم ، فان حي على خير العمل من شعارهم ، كما هو بديهي من مذهبهم حتى أن شهيد فخ الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن أمير المؤمنين عليهم السلام لما ظهر بالمدينة أيام الهادي (٤) من ملوك العباسيين ، أمر المؤذن أن ينادي بها ففعل ، نص على ذلك أبو الفرج الاصفهاني حيث ذكر صاحب فخ ومقتله في كتابه مقاتل الطالبين . وذكر العلامة الحلبي في باب بدء الاذان ومشروعاته في صفحة ١١٠ من الجزء الثاني من سيرته أن ابن عمر (رض) والامام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام كانا يقولان في الاذان بعد حي على الفلاح حي على خير العمل ا هـ .

(٣) واعتذر بعد أن أرسله عنه إرسال المسلمين بأنه قد اجتهد في ذلك .

(٤) مضل الناس قد سموه هاد كما قد سمي الاعمي بصيرا

قلت : وهذا متواتر عن أئمة أهل البيت ، فراجع حديثهم في كتاب وسائل الشيعة الى أحكام الشريعة لتكون على بصيرة من مذهبهم .
ونحن الآن في أن السلف تأولوا ، فأسقطوا فصلا من الاذان والاقامة فلم يقدح ذلك عند الجمهور في تبوئهم منصة الخلافة وأريكة الامامة ، فكيف لا يكون المتأول بعدهم معذورا ، أم كيف لا يكون مثابا مأجورا ، فأحكموا بالعدل أيها المنصفون .

ومنها صلاة التراويح ^(٥) إذ لم تكن أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا في ولاية أبي بكر ، وإنما سنّها الخليفة الثاني سنة ١٤ للهجرة بالاجماع ، نصّ العسكري على ذلك في أوائله ، ونقله السيوطي في الفصل الذي عقده الخلافة عمر من كتابه تاريخ الخلفاء ^(٦) .

وقال ابن عبد البر في ترجمة عمر من الاستيعاب : وهو الذي نوّر شهر الصوم بصلاة الاشفاق فيه .

وقال العلامة أبو الوليد محمد بن الشحنة ، حيث ذكر وفاة عمر في حوادث سنة ٢٣ من تاريخه « روضة المناظر » ^(٧) هو أول من نهى عن بيع امهات الاولاد ، وجمع الناس على أربع تكبيرات في صلاة الجنائز ، وأول من جمع الناس على امام يصلي بهم التراويح الخ .

ولما ذكر السيوطي في كتابه « تاريخ الخلفاء » أوليات عمر نقلنا عن

(٥) هي نافلة رمضان جماعة ، وإنما سميت تراويح للاستراحة فيها بعد كل أربع ركعات ، ونحن نصلي نافلة رمضان فرادي كما كانت على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(٦) في صفحة ٥١ .

(٧) عرفت سابقا أنه مطبوع في هامش ابن الاثير وما نقلناه عنه هنا موجود في صفحة ١٢٢ من جزء ١١ .

العسكري قال : هو أول من سمي أمير المؤمنين ، الى أن قال : وأول من سن قيام شهر رمضان « بالتراويح » ، وأول من حرم المتعة ، وأول من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات الخ •

وقال محمد بن سعد « حيث ترجم عمر في الجزء الثالث من الطبقات » وهو أول من سن قيام شهر رمضان « بالتراويح » وجمع الناس على ذلك وكتب به الى البلدان وذلك في شهر رمضان سنة أربع عشرة ، وجعل للناس بالمدينة قارئين قارئاً يصلي « التراويح » بالرجال وقارئاً يصلي بالنساء • الخ • وأخرج البخاري « في أواخر الجزء الاول من صحيحه في كتاب صلاة التراويح » أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه • قال : فتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والامر على ذلك ، ثم كان الامر على ذلك في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وصدر من خلافة عمر ا هـ •

وأخرج مسلم « في باب الترغيب في قيام رمضان من الجزء الاول من صحيحه » أن رسول الله (ص) كان يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة ، فيقول : من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، قال : فتوفي (ص) والامر على ذلك ، ثم كان الامر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدر من خلافة عمر على ذلك ا هـ •

وأخرج البخاري في كتاب صلاة التراويح من صحيحه عن عبد الرحمن بن عبد القاري^(٨) قال : خرجت مع عمر ليلة في رمضان الى المسجد ، فإذا

(٨) « عبد القاري » بتوين عبد وتشديد ياء القاري نسبة الى قاره • وهو ابن ديش بن محلم بن غالب المدني • كان عبد الرحمن هذا عامل عمر علي بيت المال وهو حليف بني زهرة روي عن عمر ، وأبي طلحة ، وأبي أيوب ،

الناس أوزاع متفرقون * * * الى أن قال : فقال عمر : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد كان أمثل * ثم عزم فجمعهم على أمي بن كعب * « قال » ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر (رض) نعمت البدعة هذه - الحديث *

وقال العلامة القسطلاني « في أول الصفحة الرابعة من الجزء الخامس من ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري عند بلوغه الى قول عمر في هذا الحديث « نعمت البدعة هذه » ما هذا نصه : سماها بدعة لان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يسن لهم الاجتماع لها ، ولا كانت في زمن الصديق ولا أول الليل ، ولا كل ليلة ، ولا هذا العدد الخ * وفي تحفة الباري مثله فراجع * وهذا أمر لا يناقش فيه أحد من المسلمين وحسبك به دليلا على معذرة المتأولين *

ومنها تأولهم آية الزكاة ، إذ أسقطوا منها سهم المؤلفين قلوبهم مع نص الكتاب والسنة على ثبوته ، وكونه معلوما بحكم الضرورة من دين الاسلام ، وقد أجمعت كلية المسلمين وافقت جميع طوائفهم على ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعطيهم منها حتى لحق بربه عز وجل ، وأنه لم يعهد الى أحد من بعده بأسقاط سهمهم ، وقد ذكر (٩) صاحب كتاب الجوهرة وأبي هريرة ، وروى عنه ابنه ، محمد ، والزهري ، ويحيى بن جعدة بن هيرة مات سنة ثمانين ، وله ثمان وسبعون سنة *

(٩) وذكر المؤرخون نظير هذه الحكاية أيضا ، إذ قالوا جاء عيينة بن حصين والاقرع بن حابس الى أبي بكر ، فقالا له : إن عندنا أرضا سبخة ليس فيها كلاً ولا منفعة ، فإن رأيت أن تقطعناها لعل الله أن ينفع بها بعد اليوم * فقال أبو بكر لمن حوله : ما تقولون ؟ قالوا : لا بأس ، فكتب لهما بها كتابا فانطلقا الى عمر ليشهد لهما فيه ، فأخذ منهما ثم قتل فيه فحماه ، فتندما

النيرة على مختصر القدوري ^(١٠) في الفقه الحنفي في صفحة ١٦٤ من جزئه الاول : ان المؤلف قلوبهم جاءوا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى أبي بكر رضي الله عنه ليكتب لهم بعادتهم ، فكتب لهم بذلك فذهبوا بالكتاب الى عمر (رض) ليأخذوا خطه على الصحيفة ، فمزقها وقال : لا حاجة لنا بكم فقد أعز الله الاسلام وأغنى عنكم ، فان أسلمتم وإلا فالسيف بيننا وبينكم فرجعوا الى أبي بكر فقالوا له : أنت الخليفة أم هو ؟ فقال : بل هو إن شاء الله وأمضى ما فعله عمر واستقر الامر من يومها عند الجمهور على إسقاط هذا السهم ، بحيث لا تبرأ الذمة عندهم بأعطاء المؤلف قلوبهم من الزكاة .

ومنها تأولهم آية الخمس ، وهي قوله تعالى في سورة الانفال : «واعلموا انما غنمتم ^(١١) من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى

وقالا له مقالة سيئة ، ثم ذهبوا الى أبي بكر وهما يتذمران فقالا : والله ما ندري أنت الخليفة أم عمر ؟ فقال : بل هو ، وجاء عمر حتى وقف على أبي بكر وهو مغضب فقال : اخبرني عن هذه الارض التي أقطعتها هذين أهبي لك خاصة أم بين المسلمين ؟ فقال : بل بين المسلمين . فقال : ما حملك على ان تخص بها هذين ؟ قال : استشرت الذين حولي . فقال : او كسل المسلمين وسعتهم مشورة ورضا ؟ فقال أبو بكر (رض) : فقد كنت قلت لك انك أقوى على هذا الامر مني لكنك غلبتني .

نقل هذه القضية ابن أبي الحديد في الجزء الثاني عشر من شرح النهج في صفحة ١٠٨ من المجلد الثالث ، والمستقلاني في ترجمة عيينة من أسابته وغيرهما . وانيته كان يوم السقيفة وسع كل المسلمين مشورة ، ويا حبذا لو تأني حتى يفرغ بنو هاشم من أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(١٠) هو من أشهر الكتب الحنفية يتبركون به ، ولمصنفه شأن عظيم ، وما تقلناه هنا عنه مصرح به في كلمات المحدثين والفقهاء كما لا يخفى .

(١١) الغنيمة لغة هي الفوز بالشيء ، وذلك أعم من غنائم دار الحرب ، وبهذا تعلم دلالة الآية على مذهبننا في الخمس .

والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله ^(١٢) وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير » حيث صرفوا الخمس الى خلاف منطوقها •

فذهب الامام مالك « كما هو معلوم من مذهبه » الى أن الخمس بأمره مفوض الى السلطان يصرفه كيف شاء وأنه لاحق لاحد بالمطالبة فيه ، وذهب الامام أبو حنيفة « كما هو بديهي من مذهبه » الى أنه يقسم ثلاثة أسهم : فيعطى لمطلق أيتام المسلمين سهم ، ولمطلق مساكينهم سهم ، ولمطلق أبناء السبيل منهم سهم ، ولا فرق عنده في ذلك بين ذي القربى منهم وغيره •

وأنت ترى نص الكتاب قد فرض لذي القربى في الخمس حقاً قصره عليهم ، وتعلم أن السنة المطهرة قد جعلت لهم فيه سهماً لن تبرأ الذمة إلا بدفعه اليهم ، وقد أجمع كافة أهل القبلة من أهل كل مذهب منهم ونحلة على أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يختص بسهم من الخمس ويخص منه أقاربه بسهم آخر ، ولم يعهد بتغيير ذلك الى أحد حتى لحق بربه عز وجل ، فلما ولي أبو بكر (رض) تأول الأدلة فأسقط سهم النبي صلى الله عليه وآله وسهم ذوي القربى ، ومنع « كما في تفسير هذه الآية من الكشاف وغيره » بني هاشم من الخمس •

وفي أواخر باب غزوة خيبر من صحيح البخاري في صفحة ٣٦ من جزئه الثالث أن فاطمة أرسلت الى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله (ص) مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر ، فأبى أبو بكر أن يدفع ^(١٢) بمعنى هذا الشرط أن الخمس مصروف الى هذه الوجوه الستة فأقطعوا عنه أطباعكم وأدوه لآربابه ان كنتم آمنتم بالله ، وفيه من البعث على أداء الخمس والإنذار لتاركه مالا تسع بيانه عبارة •

اليها أشيئا ، فوجدت عليه فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت ، وعاشت بعد النبي (ص) ستة أشهر ، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلا ، ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها - الحديث . وهو موجود أيضا في باب قول النبي « لا نورث ما تركناه فهو صدقة » من صحيح مسلم في صفحة ٧٢ من جزئه الثاني ، وفي مواضع آخر من الصحيحين كما لا يخفى .

وأخرج مسلم في أواخر كتاب الجهاد والسير من الجزء الثاني من صحيحه عن قيس بن سعد عن يزيد بن هرمز قال : كتب نعبدة بن عامر (الحروري الخارجي) الى ابن عباس قال (يزيد بن هرمز) فشهدت ابن عباس حين قرأ كتابه وحين كتب جوابه . قال : فقال ابن عباس : والله لولا أن أردده عن تنن يقع فيه ما كتبت اليه ولا نعمة عين . قال : فكتب اليه إنك سألت عن سهم ذي القربى الذين ذكر الله من هم ؟ وإنا كنا نرى أن قرابة رسول الله (ص) هم نحن ، فأبى ذلك علينا قومنا - الحديث (١٣) .

وأخرجه أيضا الامام أحمد من حديث ابن عباس في أواخر صفحة ٢٩٤ من الجزء الاول من مسنده ، ورواه المحدثون بطرق كلها صحيحة ، وهذا هو مذهب أهل البيت والمتواتر عن أئمتهم عليهم السلام .

ومنها اقتصارهم في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات ، كما هو معلوم من فقه أهل المذاهب الاربعة وسيرتهم ، وأول من جمع الناس على ذلك عمر ابن الخطاب (رض) كما نص عليه جماعة كثيرون ، منهم السيوطي حيث ذكر أوّليات عمر في تاريخ الخلفاء ، وابن الشحنة حيث ذكر وفاة عمر في حوادث

(١٣) فراجع في أول صفحة ١٠٥ من ج ٢ من صحيح مسلم المطبوع سنة ١٣٢٧ على نفقة الحلبي واخويه .

سنة ٢٣ من تأريخه روضة المناظر (١٤) وغيرهما من أهل الاخبار .
ويدلك على تأولهم في هذه المسألة ما أخرجه الامام احمد بن حنبل من
حديث زيد بن أرقم في صفحة ٣٧٠ من الجزء الرابع من مسنده عن عبد الأعلى
قال : صليت خلف زيد بن أرقم على جنازة فكبر خمسا ، فقام اليه أبو عيسى
عبد الرحمن بن ابي ليلى فأخذ بيده فقال : نسيت ؟ قال لا ولكن صليت خلف
أبي القاسم خليلي صلى الله عليه وآله وسلم فكبر خمسا فلا أتركها أبدا هـ .
ومنها تأولهم في البكاء على الميت حيث حرمه الخليفة الثاني ، حتى أخرج
الطبري عند ذكر وفاة ابي بكر في حوادث سنة ١٣ من الجزء الرابع من تأريخه
بالاسناد الى سعيد بن المسيب قال : لما توفي أبو بكر اقامت عليه عائشة النوح ،
فأقبل عمر بن الخطاب حتى قام ببابها فنهاهن عن البكاء على أبي بكر فأبين ان
يتنهين فقال عمر لهشام بن الوليد : أدخل فأخرج إلي ابنة أبي قحافة . فقالت
عائشة لهشام حين سمعت ذلك من عمر : اني أخرج عليك بيتي . فقال عمر
لهشام : ادخل فقد أذنت لك . فدخل هشام فأخرج أم فروة اخت ابي بكر
الى عمر فعلاها بالدرة فضر بها ضربات فتفرق النوح حين سمعوا ذلك هـ .
هذا مع ما أخرجه الامام احمد من حديث ابن عباس في صفحة ٣٣٥ من
الجزء الاول من مسنده من جملة حديث ذكر فيه موت رقية بنت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وبكاء النساء عليها قال : فجعل عمر يضربهن بسوطه
فقال النبي دعهن يكنين ، وقعد على شفير القبر وفاطمة الى جنبه تبكي . قال :
فجعل النبي يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها هـ .
وأخرج أحمد أيضا من حديث ابي هريرة في صفحة ٣٣٣ من الجزء
(١٤) وهو مطبوع في هامش ابن الاثير وما نقلناه عنه هنا موجود في
صفحة ١٢٢ من جزء ١١ .

الثاني من مسنده حديثاً جاء فيه أنه : مر على رسول الله جنازة معها بواكي فنهروهن عمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : دعهن فإن النفس مصابة والعين دامة .

وأخرج الامام أحمد من حديث ابن عمر في صفحة ٤٠ من مسنده قال : رجع رسول الله من أحد فجعلت نساء الانصار يبكين على من قتل من أزواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ولكن حمزة لا بواكي له . قال : ثم نام فاتبعه وهن يبكين حمزة قال : فهن اليوم اذا بكين يندبن حمزة اهـ وهذا الحديث مستفيض بين المسلمين ، وقد ذكره ابن جرير ، وابن الاثير ، وصاحب العقد الفريد ، وجميع أهل السير والاخبار .

وفي ترجمة حمزة من الاستيعاب نقلاً عن الواقدي ، قال : لم تبك امرأة من الانصار على ميت بعد قول رسول الله « لكن حمزة لا بواكي له » الى اليوم إلا بدأت بالبكاء على حمزة . وذكر ابن عبد البر في ترجمة جعفر من استيعابه قال : لما جاء النبي (ص) نعي جعفر أتى امرأته اسماء بنت عيسى فعزاها . قال ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول واعماه ، فقال رسول الله (ص) على مثل جعفر فلتبك البواكي .

وأخرج البخاري في الصفحة الثالثة من أبواب الجنائز من صحيحه أنه صلى الله عليه وآله وسلم بكى على زيد وجعفر ، وذكر ابن عبد البر في ترجمة زيد من استيعابه أنه صلى الله عليه وآله وسلم بكى على جعفر وزيد ، وقال : أخواي ومؤنساى ومحدثاي . وبكى على ولده ابراهيم فقال له عبد الرحمن ابن عوف (كما في الجزء الاول من صحيح البخاري) وأنت يا رسول الله ؟ قال : يا بن عوف انها رحمة ، ثم اتبعها - يعني عبرته - بأخرى فقال : إن

العين تدمع والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم
لمحزونون .

وقد علم الناس كافة بكاءه على عمه حمزة حتى قال ابن عبد البر في
ترجمته من الاستيعاب : لما رأى النبي حمزة قتيلا بكى ، فلما رأى ما مثل
به شهق .

وذكر الواقدي (كما في أواخر صفحة ٣٨٧ من المجلد الثالث من شرح
النهج أن النبي (ص) كان يومئذ اذا بكت صفية يبكي واذا نشجت ينشج .
قال : وجعلت فاطمة تبكي فلما بكت بكى رسول الله .

وبكى صلى الله عليه وآله على صبي مات لاحدى بناته ، فقال له سعد :
(كما في صحيح البخاري ومسلم) ما هذا يا رسول الله ؟ قال : هذه رحمة
جعلها الله في قلوب عباده ، وانما يرحم الله من عباده الرحماء اهـ الى
ما لا يحصى من قبيل هذه الاحاديث المشهورة ، مما لا يمكن استقصاؤه وفي
هذا المقدار كفاية .

وأما ما جاء في الصحيحين من أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، وفي
رواية ببعض بكاء أهله عليه ، وفي رواية ببكاء الحي ، وفي رواية يعذب في
قبره بما نوح عليه ، وفي رواية من يبكي عليه يعذب ، فانه خطأ من الراوي
بحكم العقل والنقل .

قال الفاضل النووي (عند ذكر هذه الروايات في باب الميت يعذب
ببكاء أهله عليه من شرح صحيح مسلم) : هذه الروايات كلها من رواية عمر
ابن الخطاب وابنه عبد الله . قال : وانكرت عائشة عليهما ، ونسبتهما الى
النسيان والاشتباه واحتجت بقوله تعالى : «ولا تزر وازرة وزر أخرى» .

قلت : وأنكر هذه الرويات أيضا ابن عباس واحتج على خطأ راويها ،
والتفصيل في الصحيحين وشروحيهما ، وما زالت عائشة وعمر في هذه المسألة
على طرفي تقيض حتى ناحت على أبيها يوم مات ، فكان بينها وبين عمر ما قد
سمعت ، والتفصيل في رسالتنا « الاساليب البديعة في رجحان مآثم الشيعة »
وفي مقدمة مجالسنا الفاخرة في مآثم العترة الطاهرة (١٥) .

وللسلف تأولات غير الذي ذكرناه كتأخيرهم مقام ابراهيم الى موضعه
اليوم (١٦) وكان ملصقا بالبيت ، وتوسعتهم المسجد الحرام سنة ١٧ للهجرة
بأضافة دور جماعة من حوله اليه ، وكانوا أبوا بيعها فهدمها الخليفة الثاني
عليهم (١٧) ووضع أثمانها في بيت المال حتى أخذوها ، وكحكمه على اليمانيين
بداية أبي خراش الهذلي الشاعر الصحابي المشهور (١٨) إذ باتوا ضيوفا عنده ،
فذهب يستقي لهم فمات من حية نهشته في الطريق ، وكفيه نصر بن الحجاج
ابن غلابط السلمي الى البصرة (١٩) إذ تغنت به امرأة في دارها وكان في غاية

(١٥) المطبوعة سنة ١٣٣٢ .

(١٦) أخره الخليفة الثاني كما هو مستفيض عنه فراجع صفحة ١١٣ من
المجلد الثالث من شرح النهج الحديدي طبع مصر ، ومادة « الديك » من حياة
الحيوان للفاضل الدميري . وقال ابن سعد في ترجمة عمر من طبقاته ما هذا
لفظه : وهو الذي أخر مقام ابراهيم الى موضعه اليوم وكان ملصقا بالبيت
أهـ ونقل السيوطي ذلك في أحوال عمر من تاريخ الخلفاء .

(١٧) نص على ذلك جميع أرباب السير كابن الاثير في حوادث تلك السنة

من كامله وغيره .

(١٨) ذكر هذه القضية ابن عبد البر في ترجمة أبي خراش من كتاب الكنى
من الاستيعاب ، ونقلها عنه الدميري في مادة « الحية » من كتاب حياة الحيوان

(١٩) هذه القضية مستفيضة فراجع صفحة ٩٩ من المجلد الثالث من
شرح ابن أبي الحديد طبع مصر تجد تفصيلها ، وقد ذكرها ابن خلكان في ترجمة
نصر بن الحجاج من وفياته تفصيلا .

من الحسن والجمال (٢٠) وكقضاياه المختلفة في ميراث الجد مع الاخوة (٢١) حتى رجع الى رأي زيد بن ثابت الانصاري .

وكتأوله آية التجسس ، إذ رأى فيه صلاح الملكة ونفع الرعية ، فكان يتجسس نهارا ويعس ليلا ، حتى ذكر الغزالي في احياء العلوم (٢٢) انه سمع وهو يعس بالمدينة صوت رجل يتغنى في بيته فتسور عليه ، فوجد عنده امرأة وعنده خمر فقال : يا عدو الله افننت أن الله يسترك وأنت على معصيته ؟ فقال : إن كنت عصيت الله في واحدة فقد عصيته أنت في ثلاث . قال الله : « ولا تجسسوا » وقد تجسست ، وقال : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها » وقد تسورت عليّ ، وقال : « لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم » الآية ، وقد دخلت بيتي بغير إذن ولا سلام . فقال عمر (رض) : هل عندك من خير إن عفوت عنك ؟ قال : نعم فتركه وخرج ، الى غير ذلك من مصاديق اجتهاداته وموارد تأولاته التي عدل بها عن ظواهر الأدلة حرصا على توطيد دعائم السياسة وابتغاء لتنظيم شؤونها ، وتقديسا لمصلحة الملكة ، وإشارا لتقوية الشوكة من وضعه الخراج على السواد ، وكيفية ترتيبه للجزية وعهده بالشورى على الوجه المعلوم ، وقوله (٢٣) يومئذ : « لو كان سالم (ابن معقل مولى (٢٠) وكنفه ضبيع التميمي الى البصرة أيضا بعد صربه الضرب المبرح إذ سأل عن تفسير آية من القرآن في قضية ذكرها ابن أبي الحديد في صفحة ١٢٢ من المجلد الثالث من شرح نهج البلاغة .

(٢٢) في صفحة ١٧٣ من الجزء الثاني المطبوع في هامشه كتاب عواف المعارف (٢١) روى ذلك طارق بن شهاب الزهري ، والتفصيل في مادة « الحية » من حياة الحيوان للدميري .

(٢٣) هذا القول متواتر عنه ، وهو موجود في كامل ابن الاثير وغيره من كتب السير والاخبار حتى صرح ابن عبد البر ، حيث أورد هذه المقالة في

أبي حذيفة (حيا استغلغته » مع انعقاد الاجماع ^(٢٤) نصا وفتوى على عدم جواز عقد الامامة لمثله ، ضرورة انه من أهل فارس ، إما من اصطخر أو من كرمد ، استرقته زوجة أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكانت من الانصار .

تنبيه

أفادتنا سيرة بعض الصحابة أنهم إنسا كانوا يتعبدون بالنصوص ويجمدون عليها اذا كانت متحضمة للدين مختصة بالشؤون الاخروية ، كنصه صلى الله عليه وآله وسلم على صوم شهر رمضان دون غيره ، واستقبال القبلة في الصلاة لا غيرها ، ونحو ذلك من أوامره المتمحضمة للنفع الاخروي ، أما ما كان منها متعلقا بالسياسة كالولايات والتأميرات وتدير قواعد الدولة وتقرير شؤون المملكة وتسريب الجيش ، فانهم لم يكونوا يرون التعبد به والالتزام في جميع الاحوال بالعمل على مقتضاه ، بل جعلوا لأفكارهم فيه مسرعا للمبحث ومجالا للنظر والاجتهاد ، فكانوا اذا رأوا في خلافه رفعا لكيانهم أو نقعا في سلطانهم عدلوا عنه الى ما يرفعون به كيانهم أو ينتفعون به في سلطانهم ، ولذلك عدل هؤلاء في الخلافة عن وليها المنصوص عليه من نبيها فجعلوها ترجمة سالم من استيعابه بأنها عن رأي رآه عمر واجتهاد أدى اليه نظره ، وأخرج احمد من حديث عمر في صفحة ٢٠ من مسنده أنه قال : لو أدركني أحد رجلين لو ثقت به سالم مولى أبي حذيفة وأبو عبيدة .

(٢٤) صرح بأن عقاد الاجماع على ذلك جماعة كثيرون ، منهم النووي في أول كتاب الامارة من شرحه لصحيح مسلم ، ولو راجعت ذلك الكتاب في صحيح مسلم لازددت بصيرة في أئمتك الاثنى عشر عليهم السلام .

للمخلفاء الثلاثة (رضي الله عنهم) واحدا بعد واحد ، مع عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها الى أخيه ووليه ، ووارثه ووصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

لم يكونوا غائبين عن عهد النبي بها اليه ، ولا جاهلين بنصوصه ^(١) المتواترة عليه ، وكانت تترى من مبدأ أمره بأبي هو وأمي الى آخر عمره ، كما أوضحناه في مراجعاتنا الازهرية وفي سبيل المؤمنين ، وانما غلب على ظنهم أن العرب لا تخضع لعلي ولا ترتضيه مالكا لأزمة الحكم عليها ، حيث أنه وترها في سبيل الله وسفك دماءها بسيفه في إعلاء كلمة الله ، وكشف القناع منابذا لها في نصره الحق حتى ظهر أمر الله على رغم كل عات كفور .

فهم لا يطيعونه إلا عنوة ولا يخضعون لامامته إلا بالقوة ، وقد عصبوا به كل دم أراقه الاسلام أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم جريا على عادتهم في أمثال ذلك ، إذ لم يكن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عشيرته أحد يستحق أن تعصب به تلك الدماء عند العرب غيره ، لانه الامثل في عشيرته والافضل في قبيلته ، ولذلك تربصوا به الدوائر وقلبوا له الامور وأضروا له ولذريته كل حسيكة ووثبوا عليهم كل وثبة ، وكان ما كان مما طار في الاجواء وطبق رزؤه الارض والسماء .

وأیضا فان قريشا خاصة والعرب عامة كانت تنقم من علي شدة وطأته على أعداء الله ونكال وقعته فيمن يتعدى حدود الله أو يهتك حرمانه عز وجل ، وكانت ترهب من أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، وتخشى عدله في الرعية ^(١) لم نذكر شيئا من هذه النصوص هنا اكتفاء بمراجعاتنا الازهرية ومناظراتنا المصرية ، وقد استقصتها بامانيتها المعتبرة عند أهل السنة ، وسنطبع تلك المناظرات وكل قريب آت إلا أن يشاء الله تعالى .

ومساواته بين الناس في كل قضية ، ولم يكن لها فيه مطمع ولا لأحد عنده
 هوادة ، فالتقوي العزيز عنده ضعيف ذليل حتى يأخذ منه الحق ، والضعيف
 الذليل عنده قوي عزيز حتى يأخذ له بحقه ، فمتى تخضع الاعراب لمثلهم (وهم
 أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) ، (ومن
 أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم) وفيها بظانة لا يألونها خبالا .
 على أن قریشا وسائر العرب كانوا يحسدونه على ما آتاه الله من فضله ،
 حيث بلغ في علمه وعمله رتبة عند الله ورسوله تقاصر عنها الا قران وتراجع
 عنها الا كفء ، ونال من الله ورسوله بسوابقه وخصائصه منزلة تشرئب اليها
 أعناق الاماني وشأوا تنقطع دونه هوادي المطامع ، وبذلك دبت عقارب الحسد
 له في قلوب المنافقين واجتمعت على تقض مجده كلمة الفاسقين والناكثين
 والقاسطين والمارقين ، فاتخذوا النص ظهريا وكان لديهم نسيا منسيا .

وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

على أن قریشا وسائر العرب كانوا قد تشوفوا الى تداول الخلافة بين
 قبائلهم واشترأت الى ذلك أطباعهم ، فأمضوا نياتهم عليه ووجهوا عزائمهم
 اليه ، فتصافقوا على تناسي النص وعدم ذكره بالمرّة ، وتبايعوا على صرف
 الخلافة من أول أيامها عن وليها المنصوص عليه من نبيها ، فجعلوها بالاختيار
 والانتخاب ليكون لكل حي من أحيائهم أمل في الوصول اليها ولو بعد حين ،
 ولو عملوا بالنص فقدموا عليها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما
 خرجت الخلافة من عترته الطاهرة ، حيث قرنها يوم الغدير وغيره بحكم
 الكتاب وجعلها قدوة لأولي الالباب الى يوم الحساب ، وما كانت العرب
 لتصبر على حصر الخلافة في بيت مخصوص بعد أن طمحت اليها الابصار من

كافة قبائلها وحامت عليها النفوس من جميع أحيائها •

وقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى استأماها كل مفلس

ومن ألم بتاريخ قريش والعرب في صدر الاسلام يعلم أنهم لم يخضعوا للنبوة الهاشمية إلا بعد أن تهشموا ولم يبق فيهم من رمق ، فكيف يرضون بأجتماع النبوة والخلافة في بني هاشم وقد قال الخليفة الثاني لابن عباس في كلام دار بينهما : إن قريشا كرهت أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة فتجحفون على الناس •

والسلف الصالح لم يتسنَّ له أن يقهرهم يومئذ على التعبد بالنص فرقا من أقلابهم اذا قاومهم وخشية من سوء عواقب الاختلاف في تلك الحال ، وقد ظهر النفاق بسوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقويت بفقده شوكة المنافقين وعتت نفوس الكافرين وتضعضت أركان الدين وانخلعت قلوب المسلمين ، حيث صاروا بعده كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية بين ذئاب كاسرة ووحوش ضارية ، وقد ارتدت طوائف من العرب وهمت بالردة أخرى وعظم قلق السلف الصالح على الاسلام واشتد فرقههم على أمة سيد الانام ، فصبروا على مخالفة النص بقيا على المسلمين واحتياطا على الدين - صبروا وفي أعينهم من ذلك قذى وفي حلوقهم منه شجى كما قالوا عليهم السلام - وأشفق علي أمير المؤمنين أن يظهر إرادة القيام بأمر الناس مخافة البائقة وفساد العاجلة والآجلة ، والقلوب على ما وصفنا والمنافقون على ما ذكرنا ، يعضون عليهم الانامل من الغيظ وأهل الردة على ما بينا والانصار قد خالفوا المهاجرين ، وانحازوا عنهم يقولون منا أمير ومنكم أمير و • • • فدعاه النظر للدين الى الكف عن الاظهار والتجافي عن الامور ، وعلم أن طلب الخلافة

والحال هذه يستوجب التغرير في الدين والخطر بالامة ، فأختار الكف ضنا بالدين وإيثارا للأجلة على العاجلة •

غير أنه قعد في بيته (ولم يبايع حتى أخرجه كرها) احتفاظا بحقه واحتجاجا على من عدل عنه ، ولو أسرع الى البيعة ما تمت له حجة ولا سطم له برهان ، لكنه جمع فيما فعل بين حفظ الدين والاحتفاظ بحقه من إمرة المؤمنين ، فدل ذلك على إصالة رأيه ورجاحة علمه وسعة صدره وشدة زهده وفرط سماحه وقلة حرصه ، ومتى سخت نفس امرئ عن هذا الخطب الجليل والامر الجليل ينزل من الله تعالى بغاية منازل الدين ، وانما كانت غايته مما فعل أربح الحالين له وأعود المقصودين عليه •

أما الخليفة الاول وأتباعه رضي الله تعالى عنهم أجمعين فقد تأولوا النص عليه بالخلافة للأسباب التي قدمناها ، ولا عجب منه في ذلك بعد الذي نبهناك اليه من عدم تعبدهم بما كان من نصوصه صلى الله عليه وآله وسلم ، متعلقا بالسياسات والتأميرات وتدمير قواعد الدولة وتقرير شؤون المملكة ، واليك مضافا الى ما تلوناه نبذة من موارد تأولهم تكون نسودجا لرأيهم في تلك النصوص ، وحسبك بها أدلة على معذرة المتأولين ، وهي كثيرة :

فمنها سرية اسامة بن زيد بن حارثة الى غزو الروم ، وهي آخر السرايا على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد اهتم فيها بأبي هو وأمي اهتماما عظيما ، فأمر أصحابه بالتهيؤ لها وحضهم على ذلك ، ثم عبأهم بنفسه الزكية ارهاقا لعزائهم واستنهاضا لهمسهم ، فلم يبق أحدا من وجوه المهاجرين والانصار كأبي بكر وعمر (٢) وأبي عبيدة وسعد وأمثالهم إلا وقد عبأه

(٢) أجمع اهل السير والاخبار على ان أبا بكر وعمر كانا في الجيش ،

بالجيش (٣) وكان ذلك لاربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة للهجرة (٤) فلما كان من الغد دعا اسامة فقال له : سر الى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل ، فقد وليتك هذا الجيش فأغز صباحا على أهل أبي (٥) وحرقت عليهم ، وأسرع السير لتسبق الاخبار ، فان أظفرك الله عليهم فأقل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء وقدم العيون والطلائع معك . فلما كان يوم الثامن والعشرين من صفر بدأ به صلى الله عليه وآله وسلم مرض الموت فحمَّ بأبي هو وامي

وأرسلوا ذلك في كتبهم ارسال المسلمات ، وهذا مما لم يختلفوا فيه ، فراجع ما شئت من الكتب المشتمة على هذه السرية كطبقات ابن سعد وتاريخي الطبري وابن الاثير والسيرة الحلبية والسيرة الدحلانية وغيرها لتعلم ذلك ، وقد أورد الحلبي حيث ذكر هذه السرية في الجزء الثالث من سيرته حكاية ظريفة نوردها بعين لفظه . قال : ان الخليفة المهدي لما دخل البصرة رأى اياس ابن معاوية الذي يضرب به المثل في الذكاء وهو صبي وخلفه أربعمائة من العلماء واصحاب الطيالة فقال المهدي : أف لهذه العنايين — أي اللحي — أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث ؟ ثم التفت اليه المهدي وقال : كم سنك يا فتى ؟ فقال : سني اطل الله بقاء أمير المؤمنين سن أسامة بن زيد ابن حارثة لما ولاه رسول الله (ص) جيشا فيه أبو بكر وعمر . فقال : تقدم بارك الله فيك . قال الحلبي : وكان سنه سبع عشرة سنة ا هـ .

(٣) كان عمر يقول لأسامة : مات رسول الله (ص) وانت علي أمير . نقل ذلك عنه جماعة من الاعلام كالحلبي في سرية اسامة من سيرته الحلبية وغير واحد من المحدثين والمؤرخين .

(٤) هذا بناء على ما صرح به كثير من اعلام السنة كابن سعد في سرية أسامة من طبقاته والحلبي والدحلاني في هذه السرية من سيرتهما ، وقد اعتمدنا في شؤون هذه السرية على هاتين السيرتين .

(٥) أبشى بضم الهمزة وسكون الباء ثم نون مفتوحة بعدها ألف مقصورة

ناحية باللقاء من أرض سوريا بين عسقلان والرملة ، وهي قرب مؤتة التي أستشهد عندها زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين في الجنة (ع) .

وصدع ، فلما أصبح يوم التاسع والعشرين ووجدتهم مثقلين خرج اليهم فحضهم على السير وعقد صلى الله عليه وآله وسلم اللواء لأسامة بيده الشريفة تحريكا لحمتهم وإرهاقا لعزيمتهم ، ثم قال : اغز بسم الله وفي سبيل الله وقاتل من كفر بالله ، فخرج بلوائه معقوداً فدفعه الى بريدة وعسكر بالجرف ثم تقاتلوا هناك فلم يبرحوا - مع ما وعده ورأوه من النصوص الصريحة في وجوب اسراعهم كقوله صلى الله عليه وآله وسلم « اغز صباحا على أهل أبيي » وقوله « واسرع السير لتسبق الاخبار » الى كثير من أمثال هذه الاوامر التي لم يعملوا بها في تلك السرية - وطعن قوم منهم في تأمير اسامة كما طعنوا من قبل في تأمير أبيه ، وقالوا في ذلك فأكثروا مع ما شاهدوه من عهد النبي له بالامارة وقوله صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ « فقدوليتك هذا الجيش » ورأوه يعتقد له لواء الامارة وهو محصور بيده الشريفة فلم ينعمهم ذلك من الطعن في تأميره حتى غضب صلى الله عليه وآله وسلم من طعنهم غضبا شديدا فخرج بأبي هو وامي معصب الرأس ^(٦) مدثرا بقطيقة محسوما ألما ، وكان ذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الاول قبل وفاته بأبي هو وامي بيومين ^(٧) فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال فيما أجمع أهل الاخبار

(٦) كل من ذكر هذه السرية من المحدثين وأهل السير والاخبار قتل طعنهم في تأمير أسامة وأنه صلى الله عليه وآله وسلم غضب غضبا شديدا فخرج على الكيفية التي ذكرناها فخطب الخطبة التي أوردناها ، فراجع سرية أسامة من طبقات ابن سعد وسيرتي الحلبي والدحلاني وغيرها من المؤلفات في هذا الموضوع .

(٧) هذا بناء على ما ذكره الحلبي والدحلاني في سيرتهما ورواه المحدثون من أهل السنة كأبن سعد في سرية أسامة من طبقاته ، وهي في آخر القسم الاول من الجزء الثاني من الطبقات .

على قلبه واتفق أولوا العلم على صدوره : أيها الناس ، ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأمري اسامة ، ولئن طعنتم في تأمري اسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله ، وأيم الله ان كان لخليقا بالامارة وان ابنه من بعده لخليق بها . . وحضهم على المبادرة الى السير فجعلوا يودعونه ويخرجون الى العسكر بالجرف وهو يحضهم على التعجيل ، ثم ثقل (بأبي هو وأمي) في مرضه فجعل يقول جهزوا جيش اسامة أنفذوا جيش اسامة أرسلوا بعث اسامة - يكرر ذلك وهم مشاقلون ، فلما كان يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول دخل اسامة من معسكره على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأمره بالسير قائلا له أغد على بركة الله تعالى ، فودعه وخرج الى العسكر ، ثم رجع ومعه عمر وأبو عبيدة فأتتهوا اليه بأبي هو وأمي وهو يجود بنفسه فتوفي (روحي وأرواح العالمين له الفداء) في ذلك اليوم ^(٨) فرجع الجيش باللواء الى المدينة الطيبة ، ثم عزموا على الغاء البعث بالمرّة ، وكلّموا أبا بكر في ذلك وأصروا عليه غاية الاصرار ، مع ما رأوه بعيونهم من اهتمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في انفاذه وعنايته التامة في تعجيل إرساله ونصوصه المتوالية في الاسراع به على وجه يسبق الاخبار وبذله الوسع في ذلك منذ عبأه بنفسه وعهد الى اسامة في أمره وعقد لواءه بيده الى أن احتضر بأبي هو وأمي فقال « إغد على بركة الله تعالى » كما سمعت ، ولولا الخليفة لاجمعوا يومئذ على رد البعث وحل اللواء لكنه أبى عليهم ذلك ، فلما رأوا منه العزم على ارسال البعث جاءه عمر ابن الخطاب حينئذ يلتمس منه بلسان الانصار أن يعزل اسامة ويولي غيره .

(٨) وهذا أيضا بناء على ما في سيرتي الحلبي والدحلاني ورواية المحدثين من أهل السنة كأبن سعد وغيره ، والمأثور عندها انه توفي (ص) لليلتين بقيتا من صفر .

هذا ولم يطل العهد منهم بغضب النبي وانزعاجه من طعنهم في تأمير أسامة، ولا بخروجه من بيته بسبب ذلك محسوما مألوما معصبا مدثرا يرسف في مشيته ورجله لا تكاد تقله مما كان به من لغوب، فصعد المنبر وهو يتنفس الصعداء ويعالج البرحاء فقال: أيها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في تأميري أسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله، وإيم الله أن كان لخليقا بالامارة وأن ابنه من بعده لخليق بها، فأكد صلى الله عليه وآله وسلم الحكم بالقسم وأن أسية الجملة ولام التأكيد ليقلعوا عما كانوا عليه فلم يقلعوا، لكن الخليفة أبى أن يجيئهم إلى عزل أسامة، كما أبى أن يجيئهم إلى الغاء البعث، ووثب فأخذ بلحية عمر^(٩) فقال: ثكلتك أمك وعدمتك يابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتأمرني أن أنزعه.

ولما سيروا الجيش - وما كادوا يفعلون - خرج أسامة في ثلاثة آلاف مقاتل فيهم ألف فرس^(١٠) وتخلف عنه جماعة ممن عبأهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جيشه، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم «جهزوا جيش أسامة لعن الله من تخلف عنه»^(١١).

(٩) نقله الحلبي والدحلاني في سيرتهما وابن جرير الطبري في أحداث سنة ١١ من تاريخه وغير واحد من أهل الأخبار.

(١٠) فشن الغارة على أهل ابني فحرق منازلهم وقطع نخلمهم وأجال الخيل في عرصاتهم وقتل من قتل منهم وأسر من أسر، وقتل يومئذ قاتل أبيه ولم يقتل والحمد لله رب العالمين من المسلمين أحد، وكان أسامة يومئذ على فرس أبيه شعارهم يا منصور امت - وهو شعار النبي (ص) يوم بدر - وأسهم للفارس سهمين وللراجل سهما واحدا وأخذ لنفسه مثل ذلك.

(١١) أرسل هذه الكلمة إرسال المسلمات جماعة من أعلام الإثبات

وأنت تعلم أنهم انما تآقلوا عن السير أولاً وتخلفوا عن الجيش أخيراً ،
 ليحكموا قواعد سياستهم ، وقيموا عمدها ترجيحاً منهم لذلك على التعبد
 بالنص ، حيث رأوه أولى بالمحافظة وأحق بالرعاية ، اذ لا يفوت البعث بتأقلهم
 عن السير ، ولا بتخلف من تخلف منهم عن الجيش . أما الخلافة فانها تنصرف
 عنهم لامحالة ، اذا أنصرفوا الى الغزوة قبل وفاته صلى الله عليه وآله وسلم
 وكان بأبي هو وأمي أراد ان تخلص منهم العاصمة ، فيصفو الامر من بعده
 لأبي المؤمنين علي بن أبي طالب على سكون وطمأنينة ، فاذا رجعوا وقد أبرم
 عهد الخلافة وأحكم لعلي عقدها ، كانوا عن المنازعة والخلاف أبعد .
 وانما أمر عليهم اسامة وهو ابن سبع عشرة سنة (١٢) لئلا لأعنة البعض
 وردا لجماح أهل الجماح منهم واحتياطاً على الامن في المستقبل من نزاع أهل
 التنافس لو أمّر أحدهم كما لا يخفى ، لكنهم فطنوا الى كل ما دبر (ص)
 فطعنوا في تأمير اسامة وتآقلوا عن السير معه ، فلم يرحوا من الجرف حتى
 لحق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بربه ، فمضوا حينئذ بالغاء البعث وحل
 اللواء تارة وبغزل اسامة أخرى ، ثم تخلف كثير منهم عن الجيش كما سمعت .
 فهذه خمسة مأمور في هذه السرية لم يتعبدوا فيها بالنصوص الجلية إشاراً
 لرأيهم في الامور السياسية وترجيحاً لاجتهادهم فيها على التعبد بنصوصه
 كالامام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في المقدمة الرابعة من
 المقدمات التي ذكرها في أوائل كتابه الملل والنحل ، وأخرجها أبو بكر احمد
 ابن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة بالاسناد المرفوع الى رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم ، ونقلها عنه جماعة من أهل الاخبار كالعلامة المعتزلي
 الحنفي في آخر صفحة ٢٠ من المجلد ٢ من شرحه لنهج البلاغة طبع مصر .
 (١٢) على الاظهر ، وقيل كان ابن ثمان عشرة سنة ، وقيل ابن تسع عشرة
 سنة ، وقيل ابن عشرين سنة ، ولا قائل بأن عمره كان أكثر من ذلك .

صلى الله عليه وآله وسلم .

ومنها رزية يوم الخميس ، وهي من الرزايا الفادحة والقضايا الثابتة نقلها أهل السير والخبار ، وأخرجها المحدثون كافة بالطرق المجمع على صحتها وحسبك منها ما أخرجه البخاري في باب قول المريض « قوموا عني » من كتاب المرضى من صحيحه (١٣) بسنده إلى عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : لما حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي (ص) : هلم أكتب لكم كتابا لا تضلوا (١٤) بعده فقال عمر : ان النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله ، فأختلف أهل البيت فاختصموا ، منهم من يقول قربوا يكتب لكم النبي كتابا لن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما كثروا اللغو والاختلاف عند النبي (ص) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قوموا . قال عبيد الله : فكان ابن عباس يقول : ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم - اهـ .

وهذا الحديث مما لا كلام في صحته ، وقد أورده البخاري في كتاب العلم أيضا من صحيحه (١٥) ، وفي مواضع آخر يعرفها المتتبعون .

وأخرجه مسلم في آخر الوصية من صحيحه (١٦) ورواه أحمد من حديث ابن عباس في مسنده (١٧) وسائر المحدثين ، وقد تصرفوا فيه اذ نقلوه بالمعنى ولفظه الثابت عن عمر رضي الله عنه « ان النبي يهجر » لكنهم ذكروا أنه قال

(١٣) راجع صفحة ٥ من الجزء ٤ من الصحيح .

(١٤) بحذف النون مجزوما لكونه جوابا ثانيا لهم .

(١٥) في صفحة ٢٢ من جزئه الاول .

(١٦) في صفحة ١٤ من جزئه الثاني .

(١٧) راجع صفحة ٣٢ من جزئه الاول .

« ان النبي قد غلب عليه الوجع » تهذيباً للعبارة وتقليلاً لما يستهجن منها ، ويدل على ذلك ما أخرجه ابو بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة (١٨) بالاسناد الى عبد الله بن عباس قال : لما حضرت رسول الله الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال رسول الله (ص) : ائتوني بدواة وصحيفة أكتب كتاباً لاتضلوا بعده . قال : فقال عمر كلمة معناها أن الوجع قد غلب على رسول الله (ص) ثم قال : عندنا القرآن حسبنا كتاب الله ، فأختلف من في البيت واختصموا فمن قائل قربوا يكتب لكم النبي ومن قائل ما قال عمر ، فلما أكثروا اللفظ واللغو والاختلاف غضب صلى الله عليه وآله وسلم فقال : قوموا - الحديث .

وتراه صريحاً بأنهم انما تفلوا معارضة عمر بالمعنى لا بعين لفظه ، ويدل على هذا أيضاً أن المحدثين حيث لم يصرحوا باسم المعارض يومئذ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تفلوا الحديث بعين لفظه . قال البخاري في باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد والسير من صحيحه (١٩) : حدثنا قبيصة حدثنا ابن عيينة عن سلمان الاحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : يوم الخميس وما يوم الخميس ، ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء فقال : اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعه يوم الخميس فقال : ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا : هجر رسول الله (ص) قال : دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني اليه . قال : وأوصى عند موته بثلاث : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، (١٨) كما في صفحة ٢٠ من المجلد الثاني من شرح النهج للعلامة المعتزلي

طبع مصر .
(١٩) في صفحة ١١٨ من جزئه الثاني .

للإمام شرف الدين ٩٣

وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم • قال : ونسيت الثالثة (٢٠) • وهذا الحديث أخرجه مسلم أيضا في آخر كتاب الوصية من صحيحه ، واحد من حديث ابن عباس في مسنده (٢١) ونقله كافة المحدثين •

وأخرج مسلم في كتاب الوصية من الصحيح عن سعيد بن جبير عن طريق آخر عن ابن عباس انه قال : يوم الخميس وما يوم الخميس ، ثم جعل تسيل دموعه حتى رؤيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ قال : قال رسول الله (ص) أتتوني بالكثف والدواة ، أو اللوح والدواة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا • فقالوا : أن رسول الله (ص) يهجر ا هـ (٢٢) •

ومن ألم بمجموع ما حول هذه الرزية من الاحاديث يعلم أن أول من قال يومئذ هجر رسول الله (ص) انما هو الخليفة الثاني رضي الله عنه ، ثم نسج على منواله من الحاضرين من كانوا يرون رأيه ويؤثرون هواه ، كما يدل عليه الاحاديث الاول الذي رواه البخاري بسنده الى عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس ، وقد سمعت قول ابن عباس فيه ، فأختلف أهل البيت فأختصموا منهم من يقول قربوا يكتب لكم النبي كتابا لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر •

وكيف كان فانهم لم يتعبدوا هنا بنصه الذي لو تعبدوا به لأمنوا من

(٢٠) الثالثة ليست الا الامر الذي أراد — بأي وأمي — ان يكتبه حفظا لهم من الضلال فصدوه عن كتابته ، وهو العهد لعلي بالخلافة من بعده ، لكن السياسة في تلك الاوقات اضطرت رواة الحديث الى القول بأنهم قد نسوا ذلك ، فانا لله وانا اليه راجعون •

(٢١) راجع صفحة ٢٢٢ من جزئه الاول •

(٢٢) وأخرج هذا الحديث بهذه الالفاظ احمد في صفحة ٣٥٥ من الجزء

الاول من مسنده وغير واحد من الاثبات •

الضلال ، بل لم يكتفوا بعدم الامتثال لامره حتى ردوا عليه بقولهم « حسبنا كتاب الله » كما يزيّف أحدنا رأي الآخر ، كأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يعلم بمكان كتاب الله منهم ، أو أنهم أعلم منه بخواص كتاب الله وفوائده ، وليتهم اكتفوا بهذا كله ولم يفاجئوه بكلمتهم تلك وهو محتضر بأبي هو وأمي بينهم ، وأي كلمة كانت منهم وداعا له صلى الله عليه وآله وسلم ، وكأنهم حيث لم يأخذوا بهذا النص اكتفاء منهم بكتاب الله على ما زعموا لم يسمعوا هتاف الكتاب آناء الليل وأطراف النهار في أنديتهم قائلا : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وكأنهم حيث قالوا كلمتهم تلك لم يقرأوا قوله تعالى : « انه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين * وما صاحبكم بمجنون » وقوله عز من قائل : « أنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين » وقوله سبحانه وتعالى : « ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى * علمه شديد القوى » الى كثير من هذه الآيات المحكمة المنصوص فيها على عصية قوله من الهجر صلى الله عليه وآله وسلم .

على أن العقل يستقل بذلك ويحكم جازما به كما لا يخفى على أولي

الالباب ، لكن القوم علموا أنه صلى الله عليه وآله وسلم يريد توثيق العهد الى علي بالخلافة وتأكيده النص بها عليه خاصة وعلى الائمة من عترته عامة احتياطا على أمته ومبالغة في النصح لها واهتماما في شأن خلفائه بتسجيل عهده اليهم بالخلافة خطأ بعد أن أعلنه قولاً وفعلاً ، فصدوه عن هذه المهمة

بكلمتهم هذه ، كما اعترف به الخليفة الثاني في كلام دار بينه وبين ابن عباس (٢٣)
وأنت هداك الله اذا تأملت في قوله (ص) : « ائتوني اكتب لكم كتابا
لن تضلوا بعده » وقوله في حديث الثقلين « اني تارك فيكم ما ان تمسكتم
به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي » تعلم ان المرمي في الحديثين واحد ،
وأنه (ص) انما أراد في مرضه بأبي هو وأمي ان يكتب لهم تفصيل ما أوجه
عليهم في حديث الثقلين ، وانما عدل عن ذلك لان كلمتهم التي فاجأوه بها
اضطرته الى العدول ، اذا لم يبق بعدها أثر لكتابة الكتاب سوى اختلاف
الامة من بعده في أنه هجر فيما كتبه فيه (والعياذ بالله) أو لم يهجر ، كما
اختلفوا في ذلك فأختصموا وأكثروا اللغط نصب عينيه ، فلم يتسن له يومئذ
أكثر من طردهم من مجلسه ، فقال : « قوموا عني » كما سمعت .

ولو أصر فكتب الكتاب للجوا في قولهم هجر ولا وغل اشياهم في أثبات
هجره (والعياذ بالله) فسطروا به أساطيرهم وملأوا منه طواميرهم ردا على علي
وشيعته اذا احتجوا بذلك الكتاب .

لهذا اقتضت حكيمته البالغة أن يضرب صلى الله عليه وآله وسلم عن
ذلك الكتاب صفحا لئلا يفتح هؤلاء المعارضون وأولياؤهم بابا الى الطعن
في نبوته (نستجير بالله) وقد رأى صلى الله عليه وآله وسلم أن أولياء علي
خاضعون لخلافته ، كتب ذلك الكتاب أو لم يكتب ، وغيرهم لا يعمل به ولا
يعتبره ولو كتب ، فالحكمة والحال هذه توجب تركه اذ لا أثر له بعد تلك
المعارضة سوى وقوع الفتنة كما لا يخفى . ومن تأمل احوالهم زمن النبي

(٢٣) راجع الجزء ١٢ من شرح النهج الحديدي تجد ذلك في السطر ٢٧
من صفحة ١١٤ من المجلد ٣ طبع مصر .

صلى الله عليه وآله وسلم فضلا عن أيام خلافتهم علم أنهم كانوا كما نبهناك إليه .
ألا تراهم يوم تبوك كيف انكروا إذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
يومئذ بنحو ابلهم وأكل لحومها ، إذ أملقوا في تلك الغزوة وجاعوا فانكر عمر
رضي الله عنه ذلك وقال : ما بقاؤكم بعد ابلكم والقضية ثابتة معروفة ، اخرجها
البخاري في باب حمل الزاد في الغزو من كتاب الجهاد والسير من الجزء الاول
من صحيحه ، ورواها سائر المحدثين .

وانكروا عليه صلح الحديبية بتلك العبارات المزعجة ، وكان صلى الله
عليه وآله وسلم مأمورا به والحكمة كانت فيه بالغة ، إذ دخل بسببه في الدين
اضعاف ما دخل فيه قبل ذلك ، فكان في الواقع فتحا مبينا (٢٤) ونصرا عزيزا
بيد أن أبا حفص رضي الله عنه لم يدرك يومئذ حكمته واعتقده خطة خسف ،
فأنكره جهرة وصادر به علانية ، والقضية مشهورة وحسبك منها ما أخرجه
مسلم في باب صلح الحديبية من الجزء الاول من صحيحه ان عمر بن الخطاب
قال يومئذ : ألسنا على حق وهم على باطل ؟ قال رسول الله (ص) : بلى .
قال : أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال : بلى . قال : ففيم نعطي
الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقال (ص) : يا ابن الخطاب
اني رسول الله ولن يضيعني الله أبدا . قال : فانطلق عمر (رض) فلم يصبر
متغيضا ، فأتى أبا بكر رضي الله عنه فقال : يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على
(٢٤) وفيه أنزل الله تعالى « إنا فتحنا لك فتحا مبينا » عن الشعبي وغيره
كما في الكشف وغيره . وعن موسى بن عقبة كما في الكشف أيضا أقبل
رسول الله (ص) من الحديبية راجعا فقال رجل من أصحابه : ما هذا بفتح ، لقد
صدونا عن البيت وصد هدينا ، فبلغ النبي (ص) ذلك فقال : بش الكلام
هذا ، بل هو أعظم الفتوح - الحديث .

باطل؟ قال: بلى. قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى. قال: فعلى م نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: ابن الخطاب انه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا - الحديث. وأخرجه غير واحد من المحدثين بلهجة أشد مما سمعت.

وأخرج البخاري في آخر كتاب الشروط (٢٥) من صحيحه حديثا جاء فيه: أن عمر (رض) قال: فقلت أأست نبي الله حقا؟ قال: بلى. قلت: أألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال (ص): اني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري. قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنتطوف به؟ قال: بلى. فأخبرتك أنا تأتيه العام. قلت: لا قال: فانك آتية ومطوف به؟ قال: فأتيت أبا بكر فقلت: أليس هذانبي الله حقا؟ قال: بلى. قلت: أألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: أيها الرجل انه لرسول الله، وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه (٢٦) فوالله انه على الحق. فقلت: أليس كان يحدثنا أن سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى. فأخبرك أنك تأتيه العام. قلت: لا. قال: فانك آتية ومطوف به. قال عمر (رض) فعملت لذلك

(٢٥) في صفحة ٨١ من جزئه الثاني.

(٢٦) الغرز ركاب من جلد يضع الراكب رجله فيه، فيكون المعنى اعتلق به وأمسكه واتبع قوله وفعله ولا تخالفه، فاستعار له الغرز كالذي يمسك بركاب الراكب ويسير بسيره. وفي القاموس: غرز كسمع اطاع السلطان بعد عصيان، وعلى هذا فلفظ غرزه هنا مصدر غرز فيكون المعنى استمسك بطاعته بعد العصيان.

والصواب أن الآية إنما هي: "فأخبرك أنك تأتيه العام" (٢٦)

أعمالا (٢٧) قال : فلما فرغ رسول الله (ص) من قضية الكتاب (الذي كتبه يومئذ في الصلح) قال صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه : قوموا فأنحروا ثم أحلقوا . قال : فو الله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات - الحديث . وأخرجه الامام احمد من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم في مسنده (٢٨) .

وذكر الحلبي في غزوة الحديبية من سيرته (٢٩) أن عمر (رض) جعل يرد على رسول الله (ص) الكلام ، فقال له أبو عبيدة بن الجراح : ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله (ص) يقول ما يقول ، نعوذ بالله من الشيطان الرجيم . قال الحلبي : وقال رسول الله (ص) يومئذ : يا عمر اني رضيت وتأبى . وقال الحلبي وغيره ان عمر (رض) كان بعد ذلك يقول : ما زلت اصوم وأتصدق واصلي وأعشق مخافة كلامي الذي تكلمت به ... الى آخر ما هو مأثور عنه في هذه القضية .

وأفكر رضي الله عنه يوم بدر أخذ الفداء من الاسرى واطلاق سراحهم ، وكان من رأيه ان يعمد حمزة الى أخيه العباس فيقتله ، ويأخذ علي اخاه عتيلا فيقتله ، وهكذا كل مسلم له قرابة في أسرى المشركين يقتله بيده حتى لا يبقى منهم أحد ، فأعرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذا الرأي ، تعبدا بالوحي الموافق للرحمة والحكمة « وما ينطق عن الهوى » ان هو إلا

(٢٧) لا تخفى دلالة كلمته هذه على أن أعماله كانت عظيمة وبسيبها لم يستلوا أمره اياهم بالنحر حتى أمرهم بذلك ثلاثا كما ستسمعه في الاصل .

(٢٨) راجع آخر الصفحة ٢٣٠ من جزئه الرابع .

(٢٩) في الصفحة ١٩ من الجزء الثالث .

وحى يوحى • علمه شديد القوى» لكن الجاهلين بعصته وحكمته «لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما » كان الحق في هذه الواقعة مع عمر (رض) ، معتمدين في ذلك على أحاديث أختلقها بعض المنافقين من أعداء الله ورسوله « وما أنزل الله بها من سلطان » ، « فما قدروا الله حق قدره » وقد أمعنوا في التيه وأوغلوا في الجهل وتسكعوا في تفسير قوله تعالى « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم • لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » حيث اشتبهت عليهم في هذه الآية معالم القصد وعميت لديهم فيها وجوه الرشد ، فقالوا بنزولها في التنديد برسول الله (ص) واصحابه ، حيث آثروا (بزعم هؤلاء الجهلاء) عرض الدنيا على الآخرة ، فأتخذوا الاسرى وأخذوا منهم الفداء قبل أن يثخنوا في الارض وزعموا أنه لم يسلم يومئذ من الخطيئة الا عمر رضي الله عنه ، وأنه لو نزل العذاب لم يفلت منه الا ابن الخطاب ، ورووا في ذلك من الروايات الموضوعة ما شاءه جهلهم ، واقتضاه قفاق الواضعين وعداوتهم •

وكذب من زعم انه (ص) اتخذ الاسرى واخذ منهم الفداء قبل أن يثخن في الارض ، فإنه بأبي وأمي انما فعل ذلك بعد أن أثخن في الارض ، وقتل صناديد قريش وطواغيتها ، كأبي جهل وعتبة وشيبة والوليد وحنظلة الى سبعين من رؤس الكفر وزعماء الضلال ، كما هو معلوم بالضرورة الاولى ، فكيف يمكن بعد هذا أن يتناوله صلى الله عليه وآله وسلم اللوم المذكور في الآية (تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا) ؟ !

والصواب أن الآية انما نزلت في التنديد بالذين كانوا يوددون العير

وأصحابه على ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله في هذه الواقعة عز من قائل : « واذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين » وكان صلى الله عليه وآله وسلم قد استشار أصحابه ، فقال لهم (٣٠) أن القوم قد خرجوا على كل صعب وذلول فما تقولون العير أحب اليكم أم النفير ؟ قالوا : بل العير أحب إلينا من لقاء العدو ، وقال بعضهم حين رآه (ص) معرا على القتال : هلا ذكرت لنا القتال لتتأهب له إنا خرجنا للعير لا للقتال ، فتغير وجه رسول الله (ص) فأنزله تعالى : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » .

وحيث أراد الله عز وجل أن يقنعهم ببعثرة النبي (ص) في أصراره على القتال وعدم مبالاته بالعير وأصحابه قال عز من قائل : « ما كان لنبي من الأنبياء المرسلين قبل نبيكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض » فنبهكم لا يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض على سنن غيره من الأنبياء عليهم السلام ، ولذلك لم يبال إذ فاته أسر أبي سفيان وأصحابه حين هربوا بعيرهم إلى مكة ، لكنكم انتم « تريدون » إذ تودون أخذ العير وأسر أصحابه « عرض الدنيا والله يريد الآخرة » باستئصال ذات الشوكة من أعدائه « والله عزيز حكيم » والعزة والحكمة تقتضيان يومئذ اجتثاث عز العدو وإطفاء جمرته . ثم قال تنديدا بهم وتهديدا لهم « لولا (٣٠) كما في السيرتين الحلبية والدحلانية وغيرهما من الكتب المشتملة على ذكر هذه الواقعة .

كتاب من الله سبق » في علمه الازلي بأن يمنعكم من أخذ العير واسر اصحابه
 لأسرتهم القوم واخذتهم غيرهم ، ولو فعلتم ذلك « لمسكم فيما اخذتم » قبل
 أن تثخنوا في الارض « عذاب عظيم » هذا معنى الآية الكريمة (٣١) وحاشا
 لله أن يريد منها ما ذكره أولئك الجهلاء .

بقي هنا أمر تنبهك اليه لتكون على يقين بسعذرة التأولين ، وهو أن
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا صحابه (٣٢) (يوم التقي الجمعان في
 بدر) قد عرفت رجالا من بني هاشم وغيرهم أخرجوا أكرها ، فمن لقي منهم
 أحدا من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله ،
 فإنه أخرج كرها . نهى عن قتل بني هاشم عموما وعن قتل العباس منهم
 بالخصوص حين كانوا في ساحة القتال لكونهم مكرهين على ذلك ، فالعجب
 ممن اقترح بعدها عليه بأبي هو وأمي أن يقتل العباس وعقيل بيدي أخويهما
 حمزة وعلي فهل هذا من مظاهر رفقه بالنبي وأهل بيته (ص) ، أو من موارد
 تعبد بنصوصه المقدسة ؟ ! كلا بل هو من الشواهد على أنه كان يؤثر رأيه
 على التعبد بها كما لا يخفى .

وقد استاء أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة من نهى النبي (ص) عن قتل
 العباس وسائر بني هاشم حتى قال (كما في تاريخي ابن الاثير وابن جرير
 وسيرتي الحلبي والدحلاني وغيرهما) : أنقتل آباءنا وابناءنا واخواننا وترك
 العباس ، والله لئن لقيته لا لجسسه بالسيف ، فبلغ النبي ذلك فقال لعمر رضي

(٣١) يجوز أن يكون المعنى « لولا كتاب من الله سبق » في علمه الازلي
 بأن لا يعذبكم والنبي فيكم كما صرحت به محكمات الفرقان « لمسكم فيما
 اخذتم » به من الرأي والعزم في شأن العير واصحابه « عذاب عظيم » .

(٣٢) كما في تاريخي ابن جرير وابن الاثير وسيرتي الدحلاني والحلبي وغيرهما .

الله عنه : يا أبا حفص أما تسمع قول أبي حذيفة ، يضرب وجه عم رسول الله بالسيف ؟ فانظر كيف استنجدته للدفاع عن عمه ، واعجب من اقتراحه بعد ذلك عليه قتله •

وقد ذكر المؤرخون كافة أنه لما أمسى العباس مأسورا بات رسول الله بأبي هو وأمي ساهرا ، فقال له الصحابة : يا رسول الله مالك لاتنام ؟ فقال : سمعت تصور العباس في وثاقه فسمعت مني النوم ، فقاموا اليه فأطلقوه فنام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم •

وان رحمته (ص) للعالمين ورأفته بالمؤمنين واشفاقه على عشيرته الاقربين ، وخصوصا على أبي الفضل صنو أبيه والبقية من أهليه لما هو غني عن البيان ومن ذا يجهل حرصه يومئذ على سلامتهم ورغبته التامة في بقائهم ليفوزوا بعد ذلك بخدمته ، وكانوا في الواقع مؤمنين لكنهم لم يتمكنوا من الهجرة اليه فأكروها على الخروج كما نص عليه النبي (ص) فاقتراح قتلهم والحال هذه أكبر شاهد على أنهم كانوا يؤثرون إراداتهم في مثل هذا المقام على التعبد بإرادته وأوامره عليه وآله الصلاة والسلام •

ولهم في أحد حالات تشهد بما قلناه ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد استقبل المدينة في هذه الغزوة وترك أحدا خلف ظهره وجعل الرماة وراءه وكانوا خمسين رجلا أمر عليهم عبد الله بن جبير رحمه الله وقال له (فيما نص عليه المؤرخون والمحدثون كافة) انضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا واثبت (٣٣) مكانك ان كانت لنا أو علينا ، وحضهم على ذلك بما

(٣٣) راجع تاريخي الطبري وابن الاثير وغيرهما تجد قوله (ص) هذا بعينه : وكل من أرخ واقعة أحد ذكره أو أشار اليه •

لا مزيد عليه وشدد عليهم الامر في طاعة أميرهم عبدالله - لكنهم (وأسفاه) لم يتعبدوا يومئذ بأوامره ونواهي (ص) ترجيحاً لارائهم عليها ، وذلك حيث حسي الوطيس واشتد بأس المسلمين بسطوة حيدرة الكرار على فيالق المشركين وصولته على اصحاب لوائهم وهم ثمانية من بني عبد الدار ، كانوا أسود الوقائع واحلاس الخيل وتامعهم عيدهم صواب كان من طينتهم وعلى شاكلتهم فقتلهم أمير المؤمنين ^(٣٤) واحداً بعد واحد وبقي لوائهم مطروحاً على الارض لا يدنو منه أحد ، فأفكشف الكفار حينئذ عن المسلمين هاربين على غير انتظام ودخل المسلمون عسكرهم يهبون ما تركوه من أسلحة وامتعة وذخائر ومؤن فلما نظر الرماة الى المسلمين وقد اكبوا على الغنائم دفعهم الطمع في النهب الى مفارقة محلهم ^(٣٥) الذي أمروا أن لا يفارقوه فنهاهم أميرهم عبدالله بن جبير رضي الله عنه فلم ينتهوا وقالوا : ما مقامنا هاهنا وقد انهزم المشركون . فقال عبدالله ^(٣٦) والله لا أجاوز أمر رسول الله (ص) وثبت مكانه مع اقل من عشرة فنظر خالد بن الوليد المخزومي الى قلة من في الجبل من الرماة فكر بالخيـل عليهم ^(٣٧) ومعه عكرمة بن أبي جهل ، فقتلوهـم ومثلوا بعبد الله بن جبير فأخرجوا حشوة بطنه وهجموا على المسلمين وهم غافلون وتنادوا بشعارهم يا للعزى يا لهبل ، ووضعوا السيوف في المسلمين وهم آمنون فكاذ البلاء ،

(٣٤) نص ابن الاثير في غزوة احد من كامله على أن الذي قتل اصحاب اللواء يومئذ علي بن أبي طالب ، وصرح بذلك غير واحد من المؤرخين والمحدثين .
(٣٥) كما في غزوة أحد من تاريخ ابن الاثير وغيره من سائر كتب السير والخبار .

(٣٦) كما في تاريخ ابن الاثير وغيره .
(٣٧) صرح بهذا كل من أرخ غزوة احد فراجع ما شئت من كتب السير والخبار .

وقتل حمزة سيد الشهداء وسبعون من صناديد المهاجرين والانصار ، وأصيب النبي بأبي هو وأمى بجروح يقرح القلوب ذكرها ويهيج الاحزان بيانها ، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته ، وانما كان هذا البلاء كله بعدهم بأوامره ونواهيہ المقدسة عفا الله تعالى عنهم .

ولهم ثمة واقعة ثانية قدموا فيها رأيهم أيضا ، وهي أعظم من الاولى ، وذلك أنه لما اشتد البلاء بهجوم خالد على المسلمين تركوا سيد الانبياء بين أولئك الاعداء ، وأسلموه لاحقادهم البدرية وضغائنهم الكفرية ، وفروا مصعدين لا يلاوون على أحد والرسول يدعوهم في أراهم فلا يلبونه كما حكاه الله عز وجل حيث يقول (٣٨) « إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أراكم فأتانكم غما بغم » ولم يثبت معه إلا نفر يسير لا يزيدون على أربعة عشر رجلا (٣٩) يحمل لواءهم علي بن أبي طالب (٤٠) وله ثمة مواقف شكرها الله له ورسوله وجبرئيل والمؤمنون ، حيث قام في نصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ساقه وشد لها حيازيمه ، فحمل على جموع الاعداء حملته العظيمة فكشفهم عن النبي وقد أشخ بأبي هو وأمى فجعل تارة يدافع عن الاعداء وأخرى ينقل له الماء من المهراس في درقته فيغسل جرحه (٤١) ، وجعل صلى الله عليه وآله وسلم كلما أبصر جماعة من الاعداء (٣٨) أجمع المفسرون والمحدثون والمؤرخون على نزول هذه الآية في هذه الواقعة .

(٣٩) كما في تاريخ ابن الأثير وغيره .
(٤٠) لا كلام في أن حامل لواء المسلمين يوم أحد انما كان أولا مصعب ابن عمير ، فلما استشهد رحمه الله حمله علي باتفاق اهل الاخبار ، ولم يزل يومئذ حاملا له حتى انتهى القتال .
(٤١) كل من أرخ غزوة احد من الاولين والآخرين ذكر نقل علي الماء

يقول : اكفنيهم يا علي ^(٤٢) ، فيشد عليهم بسيفه فلا يرجع حتى يفرق شملهم ويزنق جمعهم وقد عجبت بذلك ملائكة السماء من مواساته فقال جبرائيل عليه السلام ^(٤٣) : يا رسول الله هذه المواساة • فقال (ص) : انه مني وأنا منه فقال جبرائيل عليه السلام : وأنا منكما • وسمعوا حينئذ مناديا ينادي لاسيف إلا ذو الفقار ^(٤٤) ولا فتى إلا علي •

شط بنا القلم عن المقصود فلنعد اليه فنقل : ان القوم اسلموا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واوغلوا في الهرب حتى قال المحدثون والمؤرخون واللفظ لابن الاثير في كامله : قد اتهمت الهزيمة بجماعة المسلمين وفيهم عثمان ابن عفان وغيره الى الاحوص ، فأقاموا به ثلاثا ثم أوتوا النبي (ص) فقال لهم حين رآهم : لقد ذهبتهم فيها عريضة •

هذا مع ما سمعوه من النواهي الصريحة في تحريم ذلك ، وحسبك منها قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار » الآية •

وهناك نص آخر عدل البعض عن العمل به أيضا ، وذلك انه لما اشتد البلاء وعظم الخطب بفرار المسلمين ارهف المشركون لقتل رسول الله (ص) فرار عزمهم وارصدوا لذلك جميع إهبعهم ، فتعاقد خمسة من شياطينهم على ذلك كانوا كالفدائية في هذا السبيل ، وهم عبد الله بن شهاب الزهري وعتبة ابن أبي وقاص وابن قساة الليثي وأبي بن خلف وعبد الله بن حميد الاسدي

من المهراس بدرقته الى رسول الله (ص) فراجع •

(٤٢) راجع غزوة أحد من تاريخ ابن الاثير وغيره •

(٤٣) كما في تاريخ ابن الاثير وابن جرير وسيرتي الحلبي والدحلاني وغيرها •

(٤٤) راجع غزوة أحد من تاريخي ابن جرير وابن الاثير والسيرة الحلبي

وغیرها تجد هذا النداء •

القرشي لعنهم الله واخزاهم ، فأما ابن شهاب فأصاب جبهته الميسونة ، وأما عتبة فرماه (تبت يداه) بأربعة أحجار فكسر رباعيته وشق شفته ، وأما ابن قماة (قاتله الله) فكم وجنته ودخل من خلق المغفر فيها ، وعلاه بالسيف (شلت يداه) فلم يطق أن يقطع فسقط صلى الله عليه وآله وسلم إلى الأرض . وأما أبي بن خلف فشده عليه بحرته فأخذها رسول الله منه وقتله بها ، وأما عبد الله ابن حصيد فقتله أبو دجانة الانصاري شكر الله سعيه واعلا في الجنان مقامه فإنه من أبلى يومئذ بلاء حسنا ، ثم حمل ابن قماة على مصعب بن عمير وهو يظنه رسول الله (ص) فقتله ورجع إلى قريش يبشرهم بقتل محمد ، فجعل الناس يقولون قتل محمد قتل محمد ، فأخذت قلوب المسلمين جزعا وكادت نفوسهم أن تزهق هلعاً وأوغلوا في الهرب مدلهين مدهوشين لا يرتابون في قتل رسول الله (ص) وقد سقط في أيديهم ، وكان أول من عرف أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حي كعب بن مالك . قال (٤٥) فتأديت يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله حي لم يقتل ، فأشار إليه النبي (ص) أن انصت مخافة أن يسمعه العدو فيشب عليه ، فسكت الرجل ثم أشرف أبو سفيان على المسلمين فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تجيبوه (٤٦) مخافة أن يعرف أنه حي فيشده عليه بمن معه من أعداء الله ورسوله ثم نادى : أنشدك الله يا عمر اقتلنا محمدا ؟ فقال عمر (٤٧) اللهم لا وانه والله

(٤٥) كما في غزوة أحد من تاريخ ابن الاثير وغيره .

(٤٦) كما في غزوة أحد من تاريخي ابن الاثير وابن جرير ومن طبقات ابن سعد ومن السيرتين الحلبية والدحلانية وسائر الكتب المشتملة على هذه الغزوة .

(٤٧) فيما رواه عنه كل من أرخ غزوة أحد كابن سعد في طبقاته وابن جرير وابن الاثير وسائر اهل السير والاخبار .

ليسع كلامك • فقال أبو سفيان : انت اصدق من ابن قنعة • وانت تراه قد أجاب ابا سفيان مع نهيه (ص) اياهم عن جوابه ، وما ذاك إلا لكونه متأولا وحسبك بهذا دليلا على معذرة المتأولين •

وأفكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم مات المنافق ابن أبي حيث جاء ابنه فقال : يا رسول الله أعطني قميصك اكفنه فيه وصل عليه واستغفر له ، فأعطاه قميصه وقال : اذا فرغت منه فأذنا • ولم يكن صلى الله عليه وآله وسلم حينئذ قد نهى عن الصلاة على المنافقين (٤٨) وكانت الحكمة فيما فعله صلى الله عليه وآله وسلم بالغة ، وقد قيل له (ص) (٤٩) لم وجهت قميصك اليه يكفن فيه ؟ فقال : ان قميصي لن تغني عنه من الله شيئا ، واني أومل أن يدخل بهذا السبب في الاسلام خلق كثير • فروي أنه أسلم بهذا السبب ألف من الخزرج (٥٠) ولكن عمر رضي الله عنه لم يدرك الحكمة فيما فعله رسول الله (ص) فأفكر عليه فعله حتى جذبه بردائه وهو واقف للصلاة عليه ، والقضية ثابتة أخرجها البخاري في الصفحة الثانية من كتاب اللباس من صحيحه (٥١) ورواها كافة محدثي السنة ومؤرخهم ، وقد بلغت القحة هنا بعض الجاهلين مبلغا لا يليق بذي دين ، والاولى بفضولنا الاعراض عن فضولهم •

(٤٨) فيما رواه أصحابنا عن أمية الهدي من آل محمد (ص) ونقله صاحب مجمع البيان عن ابن عباس وجابر وقتادة •
(٤٩) في رواية ذكرها صاحب مجمع البيان في تفسير قوله تعالى « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا » من سورة التوبة •
(٥٠) نقل الامام الطبرسي هذه الرواية في تفسير الآية من مجمع البيان عن الزجاج •

(٥١) في أول صفحة ١٨ من جزئه الرابع •

وأنكر عليه أمره صلى الله عليه وآله وسلم أبا هريرة أن يبشر بالجنة كل من لقيه من أهل التوحيد ، حيث اقتضت الحكمة يومئذ تنشيط الموحدين وتشويق الناس الى التوحيد وترغيبهم في الاسلام بتسهيل الامر عليهم ، وكانت الحاجة في تلك الاوقات الى ذلك شديدة ، فأنكر عمر ذلك وضرب أبا هريرة (وهو رسول النبي (ص) ردعا له عن أداء ما أمره به رسول الله) ضربة خر بها الى الارض ، والقضية ثابتة فراجعها في صحيح مسلم (٥٢) .

وترك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما قتل رجل أمرهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتله وأخبرهم أنه لو قتل ما أختلف بعده اثنان ، في قضية مستفيضة أخرجها المحدثون بأسانيدهم المعتبرة ونقلها أهل السير والخبار . وحسبك منها ما أخرجه الامام احمد بن حنبل في صفحة ١٥ من الجزء الثالث من مسنده من حديث ابي سعيد الخدري قال : أن أبا بكر جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله اني مررت بوادي كذا وكذا فاذا رجل متخضع حسن الهيئة يصلي . فقال له النبي (ص) : اذهب اليه فأقتله قال : فذهب اليه أبو بكر فلما رآه على تلك الحال كره أن يقتله ، فرجع الى رسول الله (ص) قال : فقال النبي (ص) لعمر اذهب فأقتله ، فذهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآه أبو بكر . قال : فكره أن يقتله . قال : فرجع فقال يا رسول الله اني رأيته يصلي متخشعا فكرهت أن أقتله . قال : يا علي اذهب فأقتله . قال : فذهب علي فلم يره ، فرجع علي فقال : يا رسول الله انه لا يره . قال : فقال النبي (ص) ان هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز (٥٢) في باب من لقي الله بالايمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم علي النار ، وهو في أوائل الجزء الاول من الصحيح .

تراقبهم يمرقون من الدين كما يبرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم في فوقه ، فاقتلوههم هم شر البرية اه •
وأخرج أبو يعلى في مسنده (كما في ترجمة ذي الشدية من أصابة ابن حجر) عن أنس قال : كان في عهد رسول الله رجل يعجبنا تعبدته واجتهاده وقد ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأسمه فلم يعرفه ، فوصفناه بصفته فلم يعرفه ، فبينما نحن نذكره اذ طلع الرجل قلنا : هو هذا • قال : انكم لتخبروني عن رجل ان في وجهه لسفعة من الشيطان ، فأقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس ما في القوم أحد أفضل مني أو خير مني ؟ قال : اللهم نعم • ثم دخل يصلي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من يقتل الرجل ؟ فقال : أبو بكر انا ، فدخل عليه فوجده يصلي ، فقال : سبحان الله أقتل رجلا يصلي ؟ ! فخرج فقال رسول الله (ص) : ما فعلت ؟ قال : كرهت أن أقتله وهو يصلي ، وأنت قد نهيت عن قتل المصلين • قال : من يقتل الرجل ؟ قال عمر : أنا ، فدخل فوجده واضعا جبهته فقال عمر : أبو بكر أفضل مني ، فخرج فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : مهيم ؟ قال : وجدته واضعا جبهته لله فكرهت أن أقتله • فقال : من يقتل الرجل ؟ فقال علي : أنا • فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أنت ان أدركته ، فدخل عليه فوجده قد خرج ، فرجع الى رسول الله (ص) فقال : مهيم ؟ قال : وجدته قد خرج • قال : لو قتل ما اختلف من أمتي رجلان - الحديث •

وأخرجه الحافظ محمد بن موسى الشيرازي في كتابه الذي استخرجه

من تفاسير يعقوب بن سفيان ومقاتل بن سليمان ويوسف القطان والقياس بن سلام ومقاتل بن حيان وعلي بن حرب والسدي ومجاهد وقتادة ووكيع وابن جريح . وأرسله ارسال المسلمات جماعة من الاثبات ، كأبن عبد ربه الاندلسي ، عند انتهائه الى القول في أصحاب الاهواء من الجزء الاول من عقده الفريد ، وقد جاء في آخر ما حكاه في هذه القضية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ان هذا لاوول قرن يطلع في أمتي لو قتلتموه ما أختلف بعده اثنان ، أن بني اسرائيل افترقت اثنين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفترق ثلاثا وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا فرقة ^(٥٣) واحدة اه .

وقريب من هذه القضية ما أخرجه الامام احمد من حديث علي (في صفحة ١٥٥ من مسنده) قال : جاء النبي (ص) أناس من قريش فقالوا : يا محمد إنا جيرانك وحلفائك وان ناسا من عبيدنا قد أتوك ليس بهم رغبة في الدين ولا رغبة في الفقه انما فروا من ضياعنا وأموالنا فأرددهم الينا . فقال لابي بكر : ماتقول ؟ قال : صدقوا أنهم جيرانك . قال : فتغير وجه النبي (ص) ثم قال لعمر ما تقول ؟ قال : صدقوا انهم لجيرانك وحلفائك ، فتغير وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وكان بعضهم يلزمه في الصدقات قال الله تعالى : « ومنهم من يلزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون » وأخرج البخاري ^(٥٤) عن عبد الله بن مسعود قال : قسم النبي (ص) قسمة كبعض ما كان يقسم فقال رجل من الانصار : والله انها لقسمة ما أريد بها وجه فرقة وشيعة لفظان « بحساب الجمل » مترادفان لان كلا منهما

٣٨٥ ، وهذا بما تتفأل به تلك الفرقة .

^(٥٤) في باب الصبر على الاذى من كتاب الآداب في صفحة ٤٤ من

الله • قلت : أما أنا لاقولن للنبي (ص) ، فأتيته وهو في أصحابه فساررتَه فشق ذلك على النبي (ص) وتغير وجهه وغضب حتى وددت اني لم أكن اخبرته ، ثم قال : قد أودى موسى (ع) بأكثر من ذلك فصبر اه •

وأخرج البخاري أيضا (٥٥) عن عبد الله قال : لما كان يوم حنين أثر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أناسا في القسمة فأعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل ، واعطى عيينة مثل ذلك ، واعطى أناسا من أشرف العرب فأثرهم في القسمة تألفا لقلوبهم وقلوب عشائهم وترغيبا لهم في الاسلام • فقال رجل : والله ان هذه القسمة ما عدل بها • فقلت : والله لاخبرن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأتيته فأخبرته فقال : فمن يعدل اذا لم يعدل الله (٥٦) ورسوله ، رحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر اه •

وأخرج الإمام احمد من حديث عمر في صفحة ٣٠ من الجزء الاول من مسنده عن الاعمش عن شقيق سلمان بن ربيعة قال : سمعت عمر يقول : قسم رسول الله قسمة فقلت : يا رسول الله لغير هؤلاء احق منهم أهل الصفة • قال : فقال رسول الله انكم تسألوني بالفحش - الحديث •

وكان بعضهم يتنزه عن الشيء يرخص فيه رسول الله ويفعله صلى الله عليه وآله وسلم • • • • • اخراج البخاري (٥٧) عن عائشة قالت : صنع النبي (ص) الجزء الرابع من صحيحه •

(٥٥) في أواخر كتاب الجهاد والسير في صفحة ١٣٢ من الجزء الثاني من صحيحه ، وهناك عدة أحاديث بهذا المعنى • (٥٦) قوله اذا لم يعدل الله ورسوله نص بأنه بأبي هو وأمي كان مأمورا من الله تعالى بتلك القسمة التي أنكرها المنافقون الجاهلون بحكمته البالغة « ان هو الا وحي يوحى » •

(٥٧) في كتاب الآداب في صفحة ٤٤ من الجزء الرابع من صحيحه •

شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم ، فبلغ ذلك النبي (ص) فخطب فحمد الله ثم قال : ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء اصنعه ، فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية اه .

وسأل رسول الله (ص) حاطب بن بلتعة حين أرسل صحيفته الى المشركين فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : أردت ان يكون لي عند القوم يد يدفع بها عن أهلي ومالي ، وليس من أصحابك أحد إلا له هناك من قومه من يدفع الله به عن أهله وماله . فقال رسول الله (ص) صدق لا تقولوا له الا خيرا . فقال عمر : قد خان الله ورسوله والمؤمنين دعني فلاضرب عنقه - الحديث . أخرجه البخاري في آخر كتاب استتابة المرتدين من الجزء الرابع من صحيحه ، وفي مواضع آخر من الصحيح .

ولا يخفي ما فيه من الدلالة على ما قلناه . ولو أردنا استيفاء ما كان من هذا القبيل من موارد تأولهم في مقابل الدليل لطال الباب وخرجنا عن خطة الكتاب ، فعساك تقنع بعد هذا بمعذرة المتأولين وتقلع عما ابتدعه طعام المرجفين .

وان أردت المزيد وابتغيت التأكيد فخذ مني مضافا الى ما تلوناه وعلاوة على ما أسلفناه دليلا قاطعا وبرهانا ساطعا لا ترتاب بعده في معذرة المتأولين ولا تشك في نجاتهم يوم الدين ، وحاصله ان الجمهور أجمعوا على خلافة عثمان منذ بوبع حتى قتل ، مع ما كان في أيامه من الاحداث التي لولا حمله فيها على التأول لبطلت أمامته وسقطت عن اريكة الخلافة ، وحسبك من تلك الاحداث ما هو معلوم بالتواتر وضرورة التاريخ ، وسأتلو عليك يسيرا منها

(يعني ما هو معلوم بالتواتر وضرورة التاريخ ، وسأتلو عليك يسيرا منها)

على أم سلمة فقالت لي أيسب رسول الله فيكم؟ ! قلت : معاذ الله أو سبحانه الله أو كلمة نحوها . قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من سب عليا فقد سبني (٨٧) هـ .

وقال ابن عبد البر في ترجمة علي من استيعابه ما هذا لفظه : وقال صلى الله عليه وآله وسلم : من أحب عليا فقد أحبني ومن أبغض عليا فقد أبغضني ، ومن آذى عليا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله هـ (٨٨) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه الطبراني وغيره : ما بال أقوام يبغضون عليا ومن أبغض عليا فقد أبغضني ومن فارق عليا فقد فارقتني ، ان عليا مني وأنا منه ، خلق من طينتي وخلقنت من طينة ابراهيم ، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . يا بريدة أما علمت أن لعلي أفضل من الجارية التي أخذ وهو وليكم بعدي .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه الترمذي والحاكم وغيرهما (كما في الفصل الثاني من الباب ٩ من الصواعق) عن عمران بن حصين أن رسول الله قال : ما تريدون من علي ما تريدون من علي ما تريدون من علي ، ان عليا مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمن بعدي .

وفي ترجمة علي (ع) من الاستيعاب ما هذا نصه : وروى طائفة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي رضي الله عنه : لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق . قال : وكان علي رضي الله عنه يقول :

(٨٧) هذه الفضيلة من خصائص أمير المؤمنين ، ولذلك أوردتها النسائي في خصائصه ، وبها وبأمثالها تكفر الخوارج واشباههم .

(٨٨) وأخرج ابن خالويه في كتاب الآل عن ابن عباس وابو يعلى والبزار عن سعد بن أبي وقاص والطبراني عن أم سلمة نحوها .

والله انه لعهد النبي الامي أنه لا يحبني الا مؤمن ولا يبغضني الا منافق اه .
قلت : وأخرجه مسلم في كتاب الايمان من صحيحه ، وقد توارى قوله
صلى الله عليه وآله وسلم : « من كنت مولاه فعلي مولاه » (٨٩) اللهم وال من
والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وادر الحق معه حيث
دار اه .

ومقامنا لا يسع استقصاء ما جاء في وجوب موالاته ولا يفي باستيفاء
ما دل على تحريم معاداته ، فنلفت الراغب في ذلك من أخواننا المسلمين الى
ما أودعناه في كتابنا سبيل المؤمنين ، فانه متكفل بالتفصيل متعهد باقامة
البرهان والدليل على أن هذا المقدار كاف لاولي الابصار ، واذا صح اجتهاد
معاوية في مقابل هذه الاحاديث الصحيحة وجاز تأوله في عرض تلك النصوص
الصريحة ، فتأول من يستفرغ وسعه في التعبد بالادلة ويستغرق جهده في العمل
بقواعد الملة أولى بالصحة وأحق بالجواز على أن افعاله لم تكن الا لطلب
الملك (٩٠) واتزاعه من أهله وعداوته لعلي انما هي ناشئة عن الاحقاد البدوية
والضعائن الجاهلية .

(٨٩) قد أعترف به صاحب الفتاوي الحامدية بتواتره وعده من المتواترات
في رسالته المختصرة الموسومة بالصلاة الفاخرة بالاحاديث المتواترة ، وكذلك
الحافظ السيوطي وغيره .

(٩٠) وقد صرح معاوية به يوم النخيلة حيث قال من جملة خطبه خطبها
يومئذ : والله اني ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا
وانما قاتلتكم لا تأمر عليكم ، وقد اعطاني الله ذلك واتهم كارهون .
رواه الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن سويد ، ونقله اهل الاخبار
وكان عبد الرحمن بن شريك اذا حدث بذلك يقول : هذا والله التهلك - فراجع
صفحة ٢٦ من المجلد ٤ من شرح النهج الحديدي المطبوع في مصر .

وأما المتأولة من فقراء المسلمين ومساكين أهل الدين فإنه لا طمع لهم
بملك ، ولا أمل لهم بسلطان ولا ثار لهم يطلبونه ولا غرض لهم سوى الحق
يقصدونه ، وقد أقتفوا أثر البرهان واتبعوا أدلة أهل الايمان فان أصابوا
فما جورون وان أخطأوا فمعذورون . وهذا آخر ما أردناه في هذا الفصل
فأحكموا أيها المنصفون بالعدل . والسلام على من أتبع الهدى وخشي عواقب
الردى ورحمة الله وبركاته .

فصل

٩

فيمن أفتى بكفر الشيعة وتفصيل ما أستدل به على ذلك ، والغرض
استئصال بذور الشقاق بأيضاح خطأه واجتثاث ارومة الافتراق ببيان اشتباهه
حرصا على أن لا يكال بصاعه ، واتقاء من تصديقه واتباعه ، وقد اقتصرنا
من ذلك على ما وجدناه في باب الردة والتعزير من الفتاوي الحامدية وتلقيحها
بأمضاء الشيخ نوح الحنفي لا شتار هذين الكتابين ورجوع من بأيديهم
منصب الفتوى في المملكة المحروسة اليهما .

قال في جواب من سأل عن السبب في وجوب مقاتلة الشيعة وجواز
قتلهم : أعلم أسعدك الله أن هؤلاء الكفرة والبغاة الفجرة جمعوا بين اصناف
الكفر والبغي والعناد وأنواع الفسق والزندقة والالحاد ، ومن توقف في
كفرهم والحادهم ووجوب قتالهم وجواز قتلهم فهو كافر مثلهم .

قال : وسبب وجوب قتالهم وجواز قتلهم البغي والكفر معا ، أما البغي
فأنهم خرجوا عن طاعة الامام خلد الله تعالى ملكه الى يوم القيامة ، وقد قال
الله تعالى : « فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله » ، والامر للوجوب

فينبغي للمسلمين اذا دعاهم الامام الى قتال هؤلاء الباغين الملعونين على لسان سيد المرسلين أن لا يتأخروا عنه بل يجب عليهم أن يعينوه ويقاتلوهم معه .
 قال : وأما الكفر فمن وجوه : منها أنهم يستخفون بالدين ويستهنئون بالشرع المبين ، ومنها أنهم يهينون العلم والعلماء ، ومنها أنهم يستحلون المحرمات ويهتكون الحرمات ، ومنها أنهم ينكرون خلافة الشيخين ويريدون أن يوقعوا في الدين الشين ، ومنها أنهم يطولون ألسنتهم على عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها ويتكلمون في حقها مالا يليق بشأنها (من أمر الافك) مع أن الله تعالى أنزل عدة آيات في براءتها (قال والله يعلم أنه كاذب فيما قال) فهم كافرون بتكذيب القرآن العظيم وسابون النبي ضمنا بنسبتهم الى أهل بيته هذا الامر العظيم ، ومنها أنهم يسبون الشيخين سود الله وجوههم في الدارين . . . الى أن قال : فيجب قتل هؤلاء الاشرار الكفار تابوا أو لم يتوبوا ، ثم حكم بأسترقاق نسائهم وذرائعهم اه .

قلت : هذا الذي لا تبرك الا بل على مثله ، هذا الذي لا تقوم السماء والارض بحمله ، هذا الذي لا يتسنى للغيور أن يقيم في أرض ينسرف فيه ، هذا الذي لا يستطيع الحي أن يستظل بسماء تشرق شمسها على معتقله ، هذا الذي ما أنزل الله به من سلطان ، هذا الذي يأباه الله ورسوله وكل ذي وجدان ، هذا هو الاختلاف الذي ليس بعده ائتلاف ، هذا هو الافتراق الذي ليس بعده اتفاق ، هذا هو المحاربة التي ليس بعدها مصاحبة . هذا والله الافك والبهتان ، هذا والله الظلم والعدوان .

بجدك قل لي هل دري صاحب الفتوى أي دماء من أهل الشهادتين سفكها ، وأي حرائر قاتلات هتكها ، وأي حرمات لله عز وجل انتهكها ، وأي

صبيحة من بني الاسلام سلبها ، وأي أموال مزيكات نهبها ، وأي ديار معسورة بالصلاة وتلاوة القرآن خربها ، وأي كبد لرسول الله بذلك فراها ، وأي عين لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بفتواه أقذاها ، وأي فتنة بين المسلمين أججها ، وأي حرب بينهم ألجمها واسرجها ، وأي شوكة لهم بذلك كسرهما ، وأي دولة لاعدائهم أعزها ونصرها ، وأي مخالفة لحكم الله ارتكبتها ، وأي أوزار بتكثيره للمسلمين احتجبها (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ؟ ! •

ولو دري الى أي غاية بلغ الشيعة في المحافظة على قوانين الدين ونواميس الشريعة ، أو علم الى أي أوج ارتقوا في الاحتياط بالاحكام ، أو الى أي حد انتهوا في التسلك بثقلي سيد الانام ، أو الى أي مرتبة اخذوا بالنسبة السنية أو الى أي مقدار اقتدوا بالعترة الطاهرة الزكية ، لدعا بالويل والثبور وتمنى أن يكون قبل هذه المباشرة من أهل القبور •

ظن الرجل انه قضى على الشيعة بعداوته ، وزعم أنه اسقطهم بافكه وبهتانه ففلاش سهسه وظلت مطيته ، بل كان كالباحث عن حتفه بظلفه ، والجادع مارن أنفه بكفه •

أجل والله ما قضى إلا على مروءته ولا أسقط بأكاذيبه غير أماته ، وقد افتضح بين علماء العالم واتضح تحامله بالزور لدى فضلاء بني آدم ، وكان كمنغضي الانبياء إذ سطوروا الاساطير افتراء عليهم وأعداء الاوصياء ، اذ ملأوا الطوامير في نسبة الاباطيل اليهم ، فما أثر ذلك فيهم الا رفعة ، ولا ازددت شرائعهم الا عزاً ومنعة « سنة الله قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » كان العزم على أن نربأ عن مناقشته ولا نلوث اليراع بمحاسبته لوضوح

افترائه وظهور ظلمه واعتدائه ، لكن اقتدينا بالكتاب الكريم والذكر الحكيم ،
إذ تصدى للرد على كل أفك أثيم فقال جل وعلا : « وقالت اليهود يد الله
مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء »
الى غير ذلك مما كان في التنزيل من هذا القبيل .

ذكر الرجل لوجوب قتال الشيعة وجواز قتلهم سببين (البغي والكفر)
وقد علم الله ورسوله وأولو الفضل من عباده أنه ظلم الشيعة بذلك وبغي
عليهم ، كما افك اعداء الانبياء اذ نسبوا السحر والجنون اليهم ،
ونحن نناشدكم الله أيها الناس متى كانت الشيعة غير خاضعة
للسلطان ، وفي أي جهة من مملكته المحروسة كان ذلك منهم ، وبما بغوا عليه ؟
أرأيتموه تأخروا عن أداء الخراج ، أو توقفوا عن دفع الضرائب والاعشار
والاغانات ، أو تخلفوا عن جهاد عدوه ، أو قصروا عن طليعة عساكره ، أو
تقهقروا عن مقدمة جنوده ، أو خانوه في خدمة ، أو كفروا له نعمة ؟ ! كلا والله
ما كان ذلك منهم ولا هو جائز عندهم ، والناصب الكاذب يعلم براءتهم منه (١)
ويقطع بأنهم في غاية البعد عنه ، وانما أراد اغراء السلطان بهم وحمله على
الوقية فيهم حرصا على استئصالهم ومبالغة في ابادتهم واحتياطنا على أن
لا يكون لهم نصيب من مراحم الدولة ولا حصة من عدل القانون ولا سهم
من أنصاف الولاة ولا حظ من معاشرة العامة (ولا تحسبن الله غافلا عما
يعلم الناصب وغيره أن الشيعة والسنة في الخضوع للسلطان وعدمه
على حد سواء ، لان من كان منهما في مملكته فهو مطيع بحكم الوجدان
والعيان ، ومن كان من كلا الطائفتين في ممالك الاجانب فهو ممنوع عن طاعته
وأما شيعة ايران فكأهل السنة في مراكش وأفغان فأبي فرق بين الشيعة والسنة
في هذا الامر يا مسلمون ؟ .

يعمل الظالمون) •

وأما قوله بكفرهم فإنه قول من لا يخاف من الله سطوة ولا يخشى منه
قمة ، قول لم يرجع فيه الى دين ولا عمل فيه بما تواتر عن سيد النبيين
والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم من الحكم بالاسلام ، على كل من أقام
الصلاة وآتى الزكاة وصام الشهر وحج البيت من أهل الشهاداتين والايان
باليوم الآخر •

وقد أوردنا في أوائل هذه الرسالة فصلاً لبيان معنى الاسلام والايان ،
وهو الفصل الثاني منها وأوردنا فيه وفي الفصول الثلاثة التي بعده طائفة من
الصحاح الحاكمة بما قلناه ، وتكلمنا هناك بما يجدر بالباحث المدقق أن يقف
عليه ، فللمرجو ممن وقف على هذا الفصل مراجعة تلك الفصول ، ليعلم أن
قواعد الشريعة تحكم بآيانات الشيعة ، ويعرف ان الصحاح المتواترة تقضي
بأحترامهم في الدنيا ونجاتهم في الآخرة •

وأما الوجوه التي اعتمد الناصب عليها في التكفير فانها من أوضح افراد
الافك وافضح أنواع التزوير •

إفك لا يكون من صبي يرجى فلاحه ، وزور لا تأتي به أمة وكعاء الا
أن تكون مدخولة العقل ، ونحن نذكر تلك الوجوه (وهي ستة) وتكلم في
كل منها بما يوجب العلم وتقضي به الامانة :

الوجه الاول

زعم أن الشيعة تستخف بالدين وتهزأ بالشرع المبين ، وهذا قول لا يخفى
زوره وإفك لا يمتلئ ظهوره ، فان الشيعة أحوط الناس على الدين وأعظمهم

تقديسا للشرع المبين ، وتلك كتبهم في الاصول والفروع والتفسير والحديث تشهد (وقد ملأت ما بين الخافقين) لهم بذلك ، على ان هذا الامر غني عن البرهان بعد أن كان شاهده الحس والوجدان •

واذا استتال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا وليته دلنا على الموارد التي استخف بها الشيعة من معالم الدين ، أو أخبرنا عن المقامات التي استهزأ فيها بالشرع المبين • أتراهم استخفوا بالخلق تبارك وتعالى فشبهوه بخلقه تارة ، وجوزوا عليه القبيح أخرى ، أم استخفوا بالانبياء والاولياء ، فنسبوا اليهم صلوات الله عليهم ما يليق بالاشقياء ، أم استخفوا بمقام سيد البشر فقالوا انه والعايز بالله هجر ؟ ! •

كلا والله انهم لا عظم تقديسا لله واكبر تنزيها لانبيائه واكثر تعظيما لخلفائه ، واحكم قواعد في الاصول واشد احتياطا في الفروع وأكثر تثبنا في قبول الحديث واحرز للواقع في كل ما يرجع للدين ، وانا ألفت الباحث الى أصول الامامية وفروعهم ليعلم الحقيقة ، على أن من ساح في بلادهم ، وجاس خلال ديارهم ير مواظبتهم على الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر الواجبات في جميع الاحوال رجالا ونساء كبارا وصغارا أحرارا ومماليك ، بحيث لا يتسامح في ذلك منهم إلا من سرى اليه الداء من معاشرة غيرهم ، ومن ترك فريضة من الصلوات الخمس أو أفطر يوما من شهر رمضان بلا عذر ، يعزر عندهم بخمس وعشرين سوطا فان أعاد عزر ثانيا فان أعاد قتل ، والاحوط تأخير إعدامه الى المرة الرابعة ، ولا يؤخر الى الخامسة (لو لم تكن الحدود معطلة) بأجماعهم •

هذا في غير المنكر أما المنكر لوجوب الصلاة أو الصوم أو الزكاة أو

الخمس أو الحج أو غيرها من الضروريات ، كحرمة الزنى واللواط والسرقة وشرب الخمر والغيبة والفساد في الارض واشباهها أو الشاك في شيء من ذلك فانه يقتل بمجرد الانكار أو الشك ، وقد امتازوا بالاستنابة عن الميت في الصلاة والصوم كما يستنيون عنه في الحج ، وأوجبوا على وليه قضاء ما فاتته من الصلاة والصوم في الجملة ، ولو علموا أن في ذمته زكاة أو خمسا أو مظالم أخرجوها من أصل ماله وإن لم يوص بها كسائر الديون ، وهكذا احتياطهم في جميع العبادات والمعاملات والایتماعات وسائر الشرعيات ، فكيف يتسنى للناسب بعد هذا أن يرميهم بالاستخفاف بالدين والاستهزاء بالشرع المبين ، نعوذ بالله من سببات العقل وقبح الزال ، وبه نستجير من بوائق العثرة وسوء الخطل ، أنه أرحم الراحمين .

الوجه الثاني

أنهم يهينون العلم والعلماء ، سألتكم أيها المنصفون بالحقيقة التي ضيعها المرجفون هل سمعتم أوحش من هذا العدوان ، أو بلغكم أفحش من هذا البهتان ، أو رأيتم أحق من هذا الدليل ، أو حدثتم بأسخف من هذا الوجه الساقط الرذيل ؟ أليسيسة يقال ذلك ؟ ! وهم الذين أسسوا العلوم ومهدوها وأحكسوا المعارف وشيدوها وسبقوا بالتأليف فلم يلحقوا وعرجوا الى أوج الفضل فحلّقوا ، فما من علم من العلوم الدينية الا وهم أصله وفرعه ، وما من فن من الفنون الاسلامية الا وهم معدنه (١) .

(١) من أبتغى تفصيل هذه الجملة والوقوف على حقيقتها فعليه بكتاب « تأسيس الشيعة » لمؤلفه شيخ المسلمين ومن انتهت اليه النوبة في الاستواء

وما أدري بأي شيء أهانوا العلم والمعارف بالمدارس التي عمروها ،
 أم بالاطنان التي رغبة في العلم هجروها ، أم بالاعمار التي على التعلم قصرها
 أم بالافكار التي في خدمة العلم حصروها ، أم بالاموال التي في سبيله اتلفوها
 أم بالقرى التي على طلابه وقفوها ، أم بالقواعد التي أحكموها ، والاصول
 التي أبرموها ، والاحكام التي أقاموا دليلها ، والغاية التي اوضحوا للعالمين
 سبيلها ؟؟؟ *

وما أدري كيف رماهم باهانة العلماء مع شهادة البر والفاجر بأنهم أشد
 الناس للعلماء تعظيماً ، وأعظم العالمين لهم تبيحاً ، لا يرجعون في الحوادث
 إلا اليهم ، ولا يعولون في أمور الدنيا والدين إلا عليهم .

نعم هناك من قضاة الرشوة وشيوخ الزور وعلماء السوء والمرجفين في
 المسلمين والناصبين للمؤمنين ، من لا يسمع المؤمن تعظيمه ولا تباح له مولاته ،
 فأهاتته بالاعراض عنه وعدم اخذ الدين منه واجبة بأجماع المسلمين وحكم
 الضرورة من الدين ، على أنا نقض على الناصب بنفسه اذ أهان بهذه الفتوى
 جميع علماء الشيعة وكافة حفاظ الشريعة ، بل أهان بقوله : « ومن توقف في
 كفرهم والحادهم ووجوب قتالهم وجواز قتلهم فهو كافر مثلهم » جميع من

على دست آباءه الطيبين الطاهرين الامام الشريف آية الله ابي محمد الحسن
 من آل شرف الدين المشهور بالسيد حسن الصدر الموسوي العاملي الكاظمي
 فانه متع الله المسلمين بشريف وجوده تتبع العلوم الدينية ذكراً واستقصى
 الفنون الاسلامية سبراً واستوفى البحث عن مؤسسيها واستقرأ الكلام في
 طبقات المصنفين فيها ، فأثبت بذلك للعيان واظهر بالحس والوجدان سبق
 الامامية الى جميع الفنون الاسلامية ، وقد اختصر هذا السفر الثمين في كتاب
 وسماه بكتاب « الشيعة وفنون الاسلام » وهو من الكتب المنتشرة بفضل
 مطبعة العرفان .

توقف في هذه المسألة من أهل السنة وجميع من حكم من علمائهم بإسلام الشيعة ممن سمعت كلامهم في الفصل المختص بما أفتى به علماء السنة كما لا يخفى ، ومن وقف على حكم هذا الرجل بكفر من توقف في تكفير الشيعة بعد مراجعة ذلك الفصل وهو الفصل ٦ من الفصول المتقدمة علم أنه قد كفر أماميه أبا حنيفة والأشعري وكفر الامام الشافعي وسفيان الثوري وابن أبي ليلى وداود بن علي والحسن البصري وسعيد بن المسيب وابن عيينة وابن سيرين والزهري وأبا طاهر القزويني والامام السبكي وأبا المحاسن الروياني والقدماء من علماء بغداد قاطبة ، وكفر ابن حزم الظاهري والشيخ الكبير ابن العربي والعارف الشمراني وصاحب فتح القدير والملا علي الحنفي وابن تيمية وابن عابدين والمعارض النبهاني وغيرهم ، اذ حكموا جميعا بإسلام كافة أهل الاركان الخمسة من الشيعة وغيرهم فان كانت أهانة العلماء كفرا فالناصب من أكفر العالمين ، اذ أهان بهذه الفتوى جميع أئمة المسلمين وكافة علماء الموحدين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

الوجه الثالث

أنهم يستحلون المحرمات ويهتكون الحرمات ، بالله عليك هل يكون في صفاقة الوجه ، وصلابة الخد ، وعدم الحياء ، والجراة على الافك أكثر من هذا ؟ نعوذ بالله من الخذلان وبه نستجير من سوء عواقب الظلم والعدوان . سلوا أيها المسلمون كتب الامامية متونها وشروحها قديمها وحديثها تخبركم - وصاحب البيت أدري بالذي فيه - أنهم أبعد الناس عن المحرمات

واحوط العالمين على الحرمات ، ألم يحكم فقهم بالجلد والرجم معا على كل من المحصن اذا زنى ببالغة عاقلة والمحصنة اذا زنى بها البالغ وان لم يكن عاقلا ؟ ألم يقض بالقتل على مطلق من زنى بالمرأة مكرها لها وعلى كل من زنى بمحارمه النسبية وعلى الذمي اذا زنى بالمسلمة مطلقا ، ألم يوجب مائة جلدة للمحصن اذا زنى بطفلة أو مجنونة وللزانية اذا لم تكن محصنة أو كانت محصنة لكن الزاني بها طفل ، ألم يعلن فقهم بأقامة الحد على الذكر الحر غير المحصن اذا زنى بضربه مائة جلدة وجز رأسه ونفيه سنة كاملة ، ألم يصرح بضرب الملوكة والمملوكة البالغين العاقلين خمسين جلدة اذا زنى أحدهما مطلقا ، ألم يعضوا في حد من تحرر بعضه فأوجبوا له من حد الاحرار بقدر ما فيه من الحرية ومن حد العبيد بقدر العبودية ، ألم يوجبوا لمن زنى في زمان معظم أو مكان شريف عقوبة زائدة على الحد لهتكه حرمة الزمان أو المكان ، ألم يحكموا على مطلق الحر البالغ اذا لاط بالقتل بالسيف أو بالرجم أو بالقائه من شاهق أو بهدم جدار عليه ؟ وهل عرفت انه يجوز إحراقه عندهم ، وهل بلغك أن هذا الحكم ثابت للمحصن وغيره ، ألم يحكموا بالقتل كذلك على المفعول به ان كان بالغا عاقلا مختارا ، ألم يوجبوا تعزير الصبي فاعلا أو قابلا وتأديب المجنون فاعلا أو مفعولا ، ألم يعلنوا بالحكم بمائة جلدة على كل من الفاعل والقابل مع البلوغ والعقل والاختيار اذا حصل منهما مجرد التفخيذ او بين الاليتين دون الايقاب ؟؟ (١) •

ألم يصرحوا بالحكم بمائة جلدة على كل واحدة من المساحقتين ، ألم يحكموا بخمس وسبعين جلدة على القيادة وثمانين على كل من القذف وتناول

(١) من غير فرق بين المحصن وغيره وقيل يرجم المحصن •

المسكر ولو حشيشة ، ألم يحكموا على السارق أول مرة بقطع الاربع من أصابع يده اليمنى ، فلو سرق ثانيا قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ، وفي الثالثة يحبس أبدا ، وفي الرابعة يقتل ؟ ؟ الى غير ذلك مما لا يسع المقام تفصيله من جزاء المفسد في الارض والمرتد عن الاسلام وبقية الحدود وسائر التعزيرات ومن أراد التفصيل فعليه بأبوابها من فقه الامامية وحديثهم ، وقد أشر منها ببركة الطبع في إيران وفضل المطابع في الهند ألوف ومئات مختصرات ومطولات ، فراجعها لتعلم حال الشيعة في انكار المنكرات واستعظام المحرمات ولهم في أهل الكبائر حكم قد امتازوا به ، وذلك أن صاحب الكبيرة مطلقا اذا أقاموا عليه الحد مرتين قتلوه في الثالثة ، وربما احتاطوا بتأخيره الى الرابعة ولا قائل منهم بتأخيره الى الخامسة . هذا في غير المستحل أما المستحل فيقتل عندهم بمجرد الاستحلال .

ناشدتكم الله رب العالمين ، هل يجوز دينا أم يسموغ مروءة ان ترمى الشيعة بعد هذا كله بأستحلال المحرمات وهتك الحرمات ؟ ! وليت الظالم دلنا على محرم أباحوه او ارشدنا الى حرمة من حرمات الدين هتكوها . هيهات هيهات ، انهم أبر من أن يكون ذلك منهم وأجل من أن يؤثر شيء مما هودونه عنهم ، وانما وصفهم الناصب بصفاته وألزمهم بذنوبه وموبقاته ، اذ أستحل بهذه القتوى أنواعا من المحرمات واستباح أقساما من الحرمات ، أستحل الكذب والبهتان ، أستحل الظلم والعدوان ، أستحل تكفير المؤمنين ، أستحل ايقاد الحرب بين المسلمين ، أستحل قتل الشيعة وهم ركن الاسلام ، أستحل نهب مالهم وهو الحرام ، أستحل سبي المسلمات القاتلات ، أستحل اطفال المسلمين وهتك الحرمات ، وقد أباد بهذه القتوى من مؤمني حلب أربعين الفا

أو يزيدون وانتهبت اموالهم وأخرج الباقون منهم من ديارهم الى نبل والنغولة وأم العمد والدلبوز والفوعة وقراها ، وهاجم الامير ملحم بن الامير حيدر « بسبب هذه الفتوى » جبل عامل سنة ١١٤٧ قاتلته الحرمات واستباح الحرمات « يوم وقعة انصار » وقتل وسلب وخرب ونهب واسر النبا واربع مائة من المؤمنين فلم يرجعوا حتى هلك في الكنيف بيروت ، الى غير ذلك مما كان بسبب هذه الفتوى من الفظائع والفجائع . على أنها في ذاتها بائقة الدهر وفاقرة الظهر ، الحكم لله والمصير اليه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الوجه الرابع

انهم ينكرون خلافة الشيخين ، ويريدون أن يوقعوا في الدين الشين^(١) والجواب انه لا ينكر استخلاف الشيخين رضى الله عنهما ذو شعور ، ولا يرتاب فيه ذو وجدان ، وقد امتدت امارتهما من سنة ١١ الى سنة ٢٣ وفتحت بها الفتوحات وضرب الدين فيها بجراحه ، على أن خلافتها من الشؤون السياسية التي خرجت بأقضائها وتصرمها عن محل الابتلاء ، فأى وجه لتنافر المسلمين اليوم بسببها وأى ثمرة عملية تترتب فعلا على الاعتقاد بها .

فهللوا يا قومنا للنظر في سياستنا الحاضرة وعرجوا عما كان من شؤون السياسة الغابرة ، فان الاحوال حرجة والمآزق ضيقة لا يناسبها نبش الدفائن ولا يليق بها إثارة الضغائن ، وقد آن للمسلمين ان يلتفتوا الى ما حل بهم من هذه المنابذات والمشاغبات التي غادرتهم طعمة الوحوش وفرائس الحشرات .

(١) لم يأت بهذه الفقرة « أعني قوله ويريدون أن يوقعوا في الدين الغين » الا لمجرد السجع والا فقد عرفت انهم احوط الناس على الدين .

وأي وجه لتكفير المسلمين بأنكار سياسة خالية وخلافة ماضية؟ قد أجمع أهل القبلة على أنها ليست من أصول الدين، وتصافقوا على أنها ليست مما بني الإسلام عليه، ونحن نظرنا فيما صح عند أهل السنة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تفسير معنى الإسلام والايان فلم نجد^(٢) مقيدا بها، وتتبعنا الامور التي جعلها صلى الله عليه وآله وسلم سببا في احترام الدماء والاعراض والاموال فلم تكن^(٣) من جملتها، واستقرأنا من نصوصه شرائط دخول الجنة فلم نجدها^(٤) في زمرتها، فأبي مانع بعد هذا من جريان الاجتهاد فيها، وأي دليل على كفر المتأولين من منكريها.

فإن القوم لم تكن بينهم وبين الحق عداوة وانما قادتهم الادلة الشرعية الى القطع بأشراط أمور في القائم في مقام رسول الله صلى الله عليه وآله والمستوي على مراقبة الخلافة عنه، كعدم سبق الكفر منه على الايمان وكعصيته والعهد اليه وعدم كونه مقضولا، واستدلوا على هذه الشروط بأدلة من الكتاب والسنة والعقل كثيرة لا يسع المقام بيانها، وقد استقصيناها في كتابنا «سبيل المؤمنين».

وهبها شبها كما تقول لكنها توجب العذر لمن غلبت عليه لأنها من الكتاب والسنة، وقد الجأته الى القطع بما صار اليه، فإن كان مصيبا والا فقد أجمع المسلمون على معذرة من تأول في غير أصول الدين وان اخطأ كما سمعته في فصل المتأولين.

على أنه لا وجه للتكفير بأنكارها حتى لو فرضنا أنها من أصول الدين

(٢) راجع الفصل ٣ المعقود لبيان معنى الإسلام من هذه الرسالة.

(٣) راجع الفصل ٣ المختص باحترام الموحدين من هذه الرسالة.

(٤) راجع الفصل ٥ المتعلق بنجاة الموحدين من هذه الرسالة.

عندهم ، لأنها ليست من الضروريات التي يرجع انكارها الى تكذيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا هي في نظر منكريها من الأمور التي قد أنعقد الاجماع عليها ، وقد سبقوا بشبهة من الكتاب والسنة تمنعهم من الاعتقاد بها ، ألا ترى أن الشيعة لم تكفر أهل السنة بأنكارها امامة الاثمة من أهل البيت عليهم السلام مع أن امامتهم من أصول الدين على رأي الشيعة ، وكذلك العدلية من الشيعة والمعتزلة لم تكفر طائفة الاشاعرة بأنكارها العدل مع أنه من الأصول عندهم أيضا .

وقد تأول في انكار هذه الخلافة سعد بن عباد وجباب بن المنذر الانصاريان وتخلف عنها جماعة وأكره عليها آخرون كما ذكرناه في فصل المتأولين ، فلم يكفر أحد من أولئك بما كان منه ولا فسق بما تواتر من القول والفعل عنه ، فكيف هؤلاء وحكم الله واحد يا أيها المنصفون ؟ على أن الأحاديث المتواترة من طريق العترة الطاهرة والصحيح الوافرة من طريق أهل السنة ، ألجأت هؤلاء الى القطع بعهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى علي من بعده ، فدانوا بما رأوا أنه الحق من دين الاسلام ، فهم معذورون بل مأجورون ان اصابوا بذلك وان اخطأوا بالاجماع .

قال ابن حزم حيث تكلم فيمن يكفر ولا يكفر في صفحة ٢٤٧ من الجزء الثالث من فصله ما هذا نصه : وذهبت طائفة الى أنه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد أو فتيا ، وان كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى انه الحق فإنه مأجور على كل حال ، ان اصاب فأجر ان وان اخطأ فأجر واحد .

قال : وهذا قول ابن أبي ليلى وأبي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري

على أم سلمة فقالت لي أيسب رسول الله فيكم ؟ ! قلت : معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها . قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من سب عليا فقد سبني ^(٨٧) اهـ .

وقال ابن عبد البر في ترجمة علي من استيعابه ما هذا لفظه : وقال صلى الله عليه وآله وسلم : من أحب عليا فقد أحبني ومن أبغض عليا فقد أبغضني ، ومن آذى عليا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله اهـ ^(٨٨) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه الطبراني وغيره : ما بال أقوام يبغضون عليا ومن أبغض عليا فقد أبغضني ومن فارق عليا فقد فارقني ، ان عليا مني وأنا منه ، خلق من طينتي وخلق من طينة ابراهيم ، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . يا بريدة أما علمت أن لعلي أفضل من الجارية التي أخذ وهو وليكم بعدي .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه الترمذي والحاكم وغيرهما (كما في الفصل الثاني من الباب ٩ من الصواعق) عن عمران بن حصين أن رسول الله قال : ما تريدون من علي ما تريدون من علي ما تريدون من علي ، ان عليا مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمن بعدي .

وفي ترجمة علي (ع) من الاستيعاب ما هذا نصه : وروى طائفة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي رضي الله عنه : لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق . قال : وكان علي رضي الله عنه يقول :

(٨٧) هذه الفضيلة من خصائص أمير المؤمنين ، ولذلك أوردنا النسائي في خصائصه ، وبها وبأمثالها نكفر الخوارج واشباههم .
(٨٨) وأخرج ابن خالويه في كتاب الآل عن ابن عباس وابو يعلى والبراز عن سعد بن أبي وقاص والطبراني عن أم سلمة نحوه .

والله انه لعهد النبي الامي أنه لا يجبني الا مؤمن ولا يبغضني الا منافق اه .
قلت : وأخرجه مسلم في كتاب الايمان من صحيحه ، وقد تواتر قوله
صلى الله عليه وآله وسلم : « من كنت مولاه فعلي مولاه » (٨٩) اللهم وال من
والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وادر الحق معه حيث
دار اه .

ومقامنا لا يسع استقصاء ما جاء في وجوب موالاته ولا يفني باستيفاء
ما دل على تحريم معاداته ، فنلفت الراغب في ذلك من أخواننا المسلمين الى
ما أودعناه في كتابنا سبيل المؤمنين ، فانه متكفل بالتفصيل متعهد باقامة
البرهان والدليل على أن هذا المقدار كاف لاولي الابصار ، واذا صح اجتهاد
معاوية في مقابل هذه الاحاديث الصحيحة وجاز تأوله في عرض تلك النصوص
الصريحة ، فتأول من يستفرغ وسعه في التعبد بالادلة ويستغرق جهده في العمل
بقواعد الملة أولى بالصحة وأحق بالجواز على أن افعاله لم تكن الا لطلب
الملك (٩٠) وانتزاعه من أهله وعداوته لعلي انما هي ناشئة عن الاحقاد البدرية
والضعائن الجاهلية .

(٨٩) قد أعترف به صاحب الفتاوي الحامدية بتواتره وعده من المتواترات
في رسالته المختصرة الموسومة بالصلاة الفاخرة بالاحاديث المتواترة ، وكذلك
الحافظ السيوطي وغيره .

(٩٠) وقد صرح معاوية به يوم النخيلة حيث قال من جملة خطبه خطبها
يومئذ : والله اني ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا
وانما قاتلتكم لا تأمر عليكم ، وقد اعطاني الله ذلك واتم كارهون .
رواه الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن سويد ، ونقله اهل الاخبار
وكان عبد الرحمن بن ثريك اذا حدث بذلك يقول : هذا والله التهتك - فراجع
صفحة ١٦ من المجلد ٤ من شرح النهج الحديدي المطبوع في مصر .

وأما المتأولة من فقراء المسلمين ومساكين أهل الدين فإنه لا طمع لهم بملك ، ولا أمل لهم بسلطان ولا ثار لهم يطلبونه ولا غرض لهم سوى الحق يقصدونه ، وقد أقتنوا أثر البرهان واتبعوا أدلة أهل الايمان فان أصابوا فمأجورون وان أخطأوا فمعذورون . وهذا آخر ما أردناه في هذا الفصل فأحكموا أيها المنصفون بالعدل . والسلام على من أتبع الهدى وخشي عواقب الردى ورحمة الله وبركاته .

فصل

٩

فيمن أفتى بكفر الشيعة وتفصيل ما أستدل به على ذلك ، والغرض استئصال بذور الشقاق بإيضاح خطأه واجتثاث أرومة الافتراق ببيان اشتباهه حرصا على أن لا يسكال بصاعه ، واتقاء من تصديقه واتباعه ، وقد اقتصرنا من ذلك على ما وجدناه في باب الردة والتعزير من الفتاوي الحامدية وتقييها بأمضاء الشيخ نوح الحنفي لا شتهار هذين الكتابين ورجوع من بأيديهم منصب الفتوى في المملكة المحروسة اليهما .

قال في جواب من سأل عن السبب في وجوب مقاتلة الشيعة وجواز قتلهم : إعلم أسعدك الله أن هؤلاء الكفرة والبغاة الفجرة جمعوا بين اصناف الكفر والبغي والعناد وأنواع الفسق والزندقة والالحاد ، ومن توقف في كفرهم والحادهم ووجوب قتالهم وجواز قتلهم فهو كافر مثلهم .
قال : وسبب وجوب قتالهم وجواز قتلهم البغي والكفر معا ، أما البغي فأنهم خرجوا عن طاعة الامام خلد الله تعالى ملكه الى يوم القيامة ، وقد قال الله تعالى : « فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله » ، والامر للوجوب

فينبغي للمسلمين اذا دعاهم الامام الى قتال هؤلاء الباغين الملعونين على لسان سيد المرسلين أن لا يتأخروا عنه بل يجب عليهم أن يعينوه ويقاتلوهم معه . قال : وأما الكفر فمن وجوه : منها أنهم يستخفون بالدين ويستهنئون بالشرع المبين ، ومنها أنهم يهينون العلم والعلماء ، ومنها أنهم يستحلون المحرمات ويهتكون الحرمات ، ومنها أنهم ينكرون خلافة الشيخين ويريدون أن يوقعوا في الدين الشين ، ومنها أنهم يطولون ألسنتهم على عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها ويتكلمون في حقها مالا يليق بشأنها (من أمر الافك) مع أن الله تعالى أنزل عدة آيات في براءتها (قال والله يعلم أنه كاذب فيما قال) فهم كافرون بتكذيب القرآن العظيم وسابون النبي ضمنا بنسبتهم الى أهل بيته هذا الامر العظيم ، ومنها أنهم يسبون الشيخين سود الله وجوههم في الدارين . . . الى أن قال : فيجب قتل هؤلاء الاشرار الكفار تابوا أو لم يتوبوا ، ثم حكم بأسترقاق نسائهم وذرائعهم اه .

قلت : هذا الذي لا تترك الا بل على مثله ، هذا الذي لا تقوم السماء والارض بحمله ، هذا الذي لا يتسنى للغيور أن يقيم في أرض ينشر فيه ، هذا الذي لا يستطيع الحي أن يستظل بسماء تشرق شمسها على معتقديه ، هذا الذي ما أنزل الله به من سلطان ، هذا الذي يأباه الله ورسوله وكل ذي وجدان ، هذا هو الاختلاف الذي ليس بعده ائتلاف ، هذا هو الافتراق الذي ليس بعده اتفاق ، هذا هو المحاربة التي ليس بعدها مصاحبة . هذا والله الافك والبهتان ، هذا والله الظلم والعدوان .

بجدك قل لي هل دري صاحب الفتوى أي دماء من أهل الشهادتين سفكها ، وأي حرائر قاتلات هتكها ، وأي حرمت لله عز وجل انتهكها ، وأي

صبية من بني الاسلام سلبها ، وأي أموال مزيكات نهبها ، وأي ديار معسورة بالصلاة وتلاوة القرآن خربها ، وأي كبد لرسول الله بذلك فراها ، وأي عين لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بفتواه أقدأها ، وأي فتنة بين المسلمين أججها ، وأي حرب بينهم ألجمها واسرجها ، وأي شوكة لهم بذلك كسرهما ، وأي دولة لاعدائهم أعزها ونصرها ، وأي مخالفة لحكم الله ارتكبتها ، وأي أوزار بتكفيره للمسلمين احتقبتها (ومن لم يعكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ؟ ! •

ولو دري الى أي غاية بلغ الشيعة في المحافظة على قوانين الدين ونواميس الشريعة ، أو علم الى أي أوج ارتقوا في الاحتياط بالاحكام ، أو الى أي حد اتهموا في التمسك بثقلي سيد الانام ، أو الى أي مرتبة اخذوا بالنسبة السنية أو الى أي مقدار اقتدوا بالعترة الطاهرة الزكية ، لدعا بالويل والثبور وتمنى أن يكون قبل هذه البائقة من أهل القبور •

ظن الرجل انه قضى على الشيعة بعداوته ، وزعم أنه اسقطهم بافكه وبهتانه فطاش سهمه وظلت مطيته ، بل كان كالباحث عن حتفه بظلفه ، والجادع مارن أنفه بكفه •

أجل والله ما قضى إلا على مروءته ولا أسقط بأكاذيبه غير أماته ، وقد افتضح بين علماء العالم واتضح تحامله بالزور لدى فضلاء بني آدم ، وكان كمبغضي الانبياء إذ سطوروا الاساطير افتراء عليهم وأعداء الاوصياء ، اذ ملأوا الطوامير في نسبة الاباطيل اليهم ، فما أثر ذلك فيهم الا رفعة ، ولا ازدادت شرائعهم الا عزاً ومنعة « سنة الله قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » كان العزم على أن نربأ عن مناقشته ولا نلوث اليراع بمحاسنته لوضوح

اقترائه وظهور ظلمه واعتدائه ، لكن اقتدينا بالكتاب الكريم والذكر الحكيم ،
إذ تصدى للرد على كل أفاك أثيم فقال جل وعلا : « وقالت اليهود يد الله
مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء »
الى غير ذلك مما كان في التنزيل من هذا القليل .

ذكر الرجل لوجوب قتال الشيعة وجواز قتلهم سببين (البغي والكفر)
وقد علم الله ورسوله وأولو الفضل من عباده أنه ظلم الشيعة بذلك وبغى
عليهم ، كما افك اعداء الانبياء اذ نسبوا السحر والجنون اليهم ،
ونحن نناشدكم الله أيها الناس متى كانت الشيعة غير خاضعة
للسultan ، وفي أي جهة من مملكته المحروسة كان ذلك منهم ، وبما بغوا عليه ؟
أرايتموه تأخروا عن أداء الخراج ، أو توقفوا عن دفع الضرائب والاعشار
والاعانات ، أو تخلفوا عن جهاد عدوه ، أو قصرُوا عن طليعة عساكره ، أو
تفقهروا عن مقدمة جنوده ، أو خانوه في خدمة ، أو كفروا له نعمة ؟ ! كلا والله
ما كان ذلك منهم ولا هو جائز عندهم ، والناصب الكاذب يعلم براءتهم منه (١)
ويقطع بأنهم في غاية البعد عنه ، وانما أراد اغراء السلطان بهم وحمله على
الوقية فيهم حرصا على استئصالهم ومبالغة في ابادتهم واحتياطا على أن
لا يكون لهم نصيب من مراحم الدولة ولا حصة من عدل القانون ولا سهم
من أنصاف الولاية ولا حظ من معاشرة العامة (ولا تحسبن الله غافلا عما
١) يعلم الناصب وغيره أن الشيعة والسنة في الخضوع للسلطان وعدمه
على حد سواء ، لان من كان منهما في مملكته فهو مطيع بحكم الوجدان
والعيان ، ومن كان من كلا الطائفتين في ممالك الاجانب فهو ممنوع عن طاعته
وأما شيعة ايران فكأهل السنة في مراكش وأفغان فأى فرق بين الشيعة والسنة
في هذا الامر يا مسلمون ؟ .

يعمل الظالمون) •

وأما قوله بكفرهم فإنه قول من لا يخاف من الله سطوة ولا يخشى منه تقمة ، قول لم يرجع فيه الى دين ولا عمل فيه بما تواتر عن سيد النبيين والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم من الحكم بالاسلام ، على كل من أقام الصلاة وآتى الزكاة وصام الشهر وحج البيت من أهل الشهادتين والايان باليوم الآخر •

وقد أفردنا في أوائل هذه الرسالة فصلاً لبيان معنى الاسلام والايان ، وهو الفصل الثاني منها وأوردنا فيه وفي الفصول الثلاثة التي بعده طائفة من الصحاح الحاكمة بما قلناه ، وتكلمنا هناك بما يجدر بالباحث المدقق أن يقف عليه ، فالمرجو ممن وقف على هذا الفصل مراجعة تلك الفصول ، ليعلم أن قواعد الشريعة تحكم بأيمان الشيعة ، ويعرف ان الصحاح المتواترة تقضي بأحترامهم في الدنيا ونجاتهم في الآخرة •

وأما الوجوه التي اعتمد الناصب عليها في التكفير فانها من أوضح افراد الافك وافضح أنواع التزوير •

إفك لا يكون من صبي يرجى فلاحه ، وزور لا تأتي به أمة وكعاء لا أن تكون مدخولة العقل ، ونحن نذكر تلك الوجوه (وهي ستة) وتتكلم في كل منها بما يوجب العلم وتقضي به الامانة :

الوجه الاول

زعم أن الشيعة تستخف بالدين وتهزأ بالشرع المبين ، وهذا قول لا يخفى زوره وإفك لا يمتثل ظهوره ، فان الشيعة أحوط الناس على الدين وأعظمهم

تقديسا للشرع المبين ، وتلك كتبهم في الاصول والفروع والتفسير والحديث تشهد (وقد ملأت ما بين الخافقين) لهم بذلك ، على ان هذا الامر غني عن البرهان بعد أن كان شاهده الحس والوجدان .

واذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا وليته دلنا على الموارد التي استخف بها الشيعة من معالم الدين ، أو أخبرنا عن المقامات التي استهزؤا فيها بالشرع المبين . أترأهم استخفوا بالخلق تبارك وتعالى فشبهوه بخلقه تارة ، وجوزوا عليه القبيح أخرى ، أم استخفوا بالانبياء والاولياء ، فنسبوا اليهم صلوات الله عليهم ما يليق بالاشقياء ، أم استخفوا بمقام سيد البشر فقالوا انه والعياذ بالله هجر ؟ !

كلا والله انهم لا عظم تقديسا لله واكبر تنزيها لانبيائه واكثر تعظيما لخلفائه ، واحكم قواعد في الاصول واشد احتياطا في الفروع وأكثر تثبنا في قبول الحديث واحرز للواقع في كل ما يرجع للدين ، وانا ألفت الباحث الى أصول الامامية وفروعهم ليعلم الحقيقة ، على أن من ساح في بلادهم ، وجاس خلال ديارهم ير مواظبتهم على الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر الواجبات في جميع الاحوال رجالا ونساء كبارا وصغارا أحرارا ومماليك ، بحيث لا يتسامح في ذلك منهم إلا من سرى اليه الداء من معاشرة غيرهم ، ومن ترك فريضة من الصلوات الخمس أو أفطر يوما من شهر رمضان بلا عذر ، يعزر عندهم بخمس وعشرين سوطا فان أعاد عزر ثانيا فان أعاد قتل ، والاحوط تأخير إعدامه الى المرة الرابعة ، ولا يؤخر الى الخامسة (لو لم تكن الحدود معطلة) بأجماعهم .

هذا في غير المنكر أما المنكر لوجوب الصلاة أو الصوم أو الزكاة أو

الخمس أو الحج أو غيرها من الضروريات ، كحرمة الزنى والمواط والمرفقة وشرب الخمر والغيبة والفساد في الارض واشباهها أو الشاك في شيء من ذلك فانه يقتل بمجرد الانكار أو الشك ، وقد امتازوا بالاستنابة عن الميت في الصلاة والصوم كما يستنيون عنه في الحج ، وأوجبوا على وليه قضاء ما فاتته من الصلاة والصوم في الجملة ، ولو علموا أن في ذمته زكاة أو خمسا أو مظالم أخرجوها من أصل ماله وإن لم يوص بها كسائر الديون ، وهكذا احتياطهم في جميع العبادات والمعاملات والالتقاءات وسائر الشرعيات ، فكيف يتسنى للنائب بعد هذا أن يرميهم بالاستخفاف بالدين والاستهزاء بالشرع المبين ، نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل ، وبه نستجير من بوائق العثرة وسوء الخلط ، أنه أرحم الراحمين .

الوجه الثاني

أنهم يهينون العلم والعلماء ، سألتكم أيها المنصفون بالحقيقة التي ضيعها المرجفون هل سمعتم أوحش من هذا العدوان ، أو بلغكم أفحش من هذا البهتان ، أو رأيتم أحق من هذا الدليل ، أو حدثتم بأسخف من هذا الوجه الساقط الرذيل ؟ أللشيعة يقال ذلك ؟ ! وهم الذين أسسوا العلوم ومهدوها وأحكموا المعارف وشيدوها وسبقوا بالتأليف فلم يلحقوا وعرجوا الى أوج الفضل فحلّقوا ، فما من علم من العلوم الدينية الا وهم أصله وفرعه ، وما من فن من الفنون الاسلامية الا وهم معدنه (١) .

(١) من أبتغى تفصيل هذه الجملة والوقوف على حقيقتها فعليه بكتاب « تأسيس الشيعة » لمؤلفه شيخ المسلمين ومن انتهت اليه النوبة في الاستواء

وما أدري بأي شيء أهانوا العلم والمعارف أبا المدارس التي عمروها ،
 أم بالاوطان التي رغبة في العلم هجروها ، أم بالاعمار التي على التعلم قصروها
 أم بالافكار التي في خدمة العلم حصروها ، أم بالاموال التي في سبيله اتلفوها
 أم بالقرى التي على طلابه وقفوها ، أم بالقواعد التي أحكموها ، والاصول
 التي أبرموها ، والاحكام التي أقاموا دليلها ، والغاية التي اوضحوا للعالمين
 سبيلها ??? •

وما أدري كيف رماهم باهانة العلماء مع شهادة البر والفاجر بأنهم أشد
 الناس للعلماء تعظيماً ، وأعظم العالمين لهم تبيحاً ، لا يرجعون في الحوادث
 إلا اليهم ، ولا يعولون في أمور الدنيا والدين إلا عليهم •

نعم هناك من قضاة الرشوة وشيوخ الزور وعلماء السوء والمرجفين في
 المسلمين والناصبين للمؤمنين ، من لا يسمع المؤمن تعظيمه ولا تباح له موالاته ،
 فأهاقته بالاعراض عنه وعدم اخذ الدين منه واجبة بأجماع المسلمين وحكم
 الضرورة من الدين ، على أنا ننقض على الناصب بنفسه اذ أهان بهذه الفتوى
 جميع علماء الشيعة وكافة حفاظ الشريعة ، بل أهان بقوله : « ومن توقف في
 كفرهم والحادهم ووجوب قتالهم وجواز قتلهم فهو كافر مثلهم » جميع من
 على دست آباءه الطيبين الطاهرين الامام الشريف آية الله ابي محمد الحسن
 من آل شرف الدين المشهور بالسيد حسن الصدر الموسوي العاملي الكاظمي
 فانه متع الله المسلمين بشريف وجوده تتبع العلوم الدينية ذكراً واستقصى
 الفنون الاسلامية سبراً واستوفى البحث عن مؤسسيها واستقرأ الكلام في
 طبقات المصنفين فيها ، فأثبت بذلك للعيان واطهر بالحس والوجدان سبق
 الامامية الى جميع الفنون الاسلامية ، وقد اختصر هذا السفر الثمين في كتاب
 وسمه بكتاب « الشيعة وفنون الاسلام » وهو من الكتب المنتشرة بفضل
 مطبعة العرفان •

توقف في هذه المسألة من أهل السنة وجميع من حكم من علمائهم بإسلام الشيعة ممن سمعت كلامهم في الفصل المختص بما اُفتي به علماء السنة كما لا يخفى ، ومن وقف على حكم هذا الرجل بكفر من توقف في تكفير الشيعة بعد مراجعة ذلك الفصل وهو الفصل ٦ من الفصول المتقدمة علم أنه قد كفر أماميه أبا حنيفة والاشعري وكفر الامام الشافعي وسفيان الثوري وابن أبي ليلى وداود بن علي والحسن البصري وسعيد بن المسيب وابن عيينة وابن سيرين والزهري وأبا طاهر القزويني والامام السبكي وأبا المحاسن الروياني والقدماء من علماء بغداد قاطبة ، وكفر ابن حزم الظاهري والشيخ الكبير ابن العربي والعارف الشعرازي وصاحب فتح القدير والملا علي الحنفي وابن تيمية وابن عابدين والمعاصر النبهاني وغيرهم ، اذ حكموا جميعا بإسلام كافة أهل الأركان الخمسة من الشيعة وغيرهم فان كانت أهانة العلماء كفرا فالناصب من أكثر العالمين ، اذ أهان بهذه الفتوى جميع أئمة المسلمين وكافة علماء الموحدين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

الوجه الثالث

أنهم يستحلون المحرمات ويهتكون الحرمات ، بالله عليك هل يكون في صفاقة الوجه ، وصلابة الخد ، وعدم الحياء ، والجرأة على الافك أكثر من هذا ؟ نعوذ بالله من الخذلان وبه نستجير من سوء عواقب الظلم والعدوان . سلوا أيها المسلمون كتب الامامية متونها وشروحها قديسها وحديثها تخبركم - وصاحب البيت أدري بالذي فيه - أنهم أبعد الناس عن المحرمات

واحوط العالمين على الحرمات ، ألم يحكم فقههم بالجلد والرجم معا على كل من المحصن اذا زنى ببالغة عاقلة والمحصنة اذا زنى بها البالغ وان لم يكن عاقلا ؟ ألم يقض بالقتل على مطلق من زنى بالمرأة مكرها لها وعلى كل من زنى بسحارمه النسبية وعلى الذمي اذا زنى بالمسلمة مطلقا ، ألم يوجب مائة جلدة للمحصن اذا زنى بطفلة أو مجنونة وللزانية اذا لم تكن محصنة أو كانت محصنة لكن الزاني بها طفل ، ألم يعلن فقههم بأقامة الحد على الذكر الحر غير المحصن اذا زنى بضربه مائة جلدة وجز رأسه ونفيه سنة كاملة ، ألم يصرح بضرب المملوك والمملوكة البالغين العاقلين خمسين جلدة اذا زنى أحدهما مطلقا ، ألم ييفضوا في حد من تحرر بعضه فأوجبوا له من حد الاحرار بقدر ما فيه من الحرية ومن حد العبيد بقدر العبودية ، ألم يوجبوا لمن زنى في زمان معظم أو مكان شريف عقوبة زائدة على الحد لهتكه حرمة الزمان أو المكان ، ألم يحكموا على مطلق الحر البالغ اذا لاط بالقتل بالسيف أو بالرجم أو بالقائه من شاهق أو بهدم جدار عليه ؟ وهل عرفت انه يجوز إحراقه عندهم ، وهل بلغك أن هذا الحكم ثابت للمحصن وغيره ، ألم يحكموا بالقتل كذلك على المفعول به ان كان بالغاً عاقلا مختارا ، ألم يوجبوا تعزيز الصبي فاعلا أو قابلا وتأديب المجنون فاعلا أو مفعولا ، ألم يعلنوا بالحكم بمائة جلدة على كل من الفاعل والقابل مع البلوغ والعقل والاختيار اذا حصل منهما مجرد التفخيذ او بين الاليتين دون الايقاب ؟؟؟ (١) •

ألم يصرحوا بالحكم بمائة جلدة على كل واحدة من المساحقتين ، ألم يحكموا بخمس وسبعين جلدة على القيادة وثمانين على كل من القذف وتناول

(١) من غير فرق بين المحصن وغيره وقيل يجرم المحصن •

المسكر ولو حشيشة ، ألم يحكموا على السارق أول مرة بقطع الاربع من أصابع يده اليمنى ، فلو سرق ثانيا قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ، وفي الثالثة يحبس أبدا ، وفي الرابعة يقتل ؟؟ الى غير ذلك مما لا يسع المقام تفصيله من جزاء المفسد في الارض والمرد عن الاسلام وبقية الحدود وسائر التعزيرات ومن أراد التفصيل فعليه بأبوابها من فقه الامامية وحديثهم ، وقد أقتصر منها ببركة الطبع في إيران وفضل المطابع في الهند ألوف ومئات مختصرات ومطولات ، فراجعها لتعلم حال الشيعة في انكار المنكرات واستعظام المحرمات ولهم في أهل الكبائر حكم قد امتازوا به ، وذلك أن صاحب الكبيرة مطلقا اذا أقاموا عليه الحد مرتين قتلوه في الثالثة ، وربما احتاطوا بتأخيره الى الرابعة ولا قائل منهم بتأخيره الى الخامسة . هذا في غير المستحل أما المستحل فيقتل عندهم بمجرد الاستحلال .

ناشدتكم الله رب العالمين ، هل يجوز دينا أم يسوغ مروءة ان ترمى الشيعة بعد هذا كله باستحلال المحرمات وهتك الحرمات ؟ ! وليت الظالم دلنا على محرم أباحوه او ارشدنا الى حرمة من حرمات الدين هتكوها . هيئات هيئات ، انهم أبر من أن يكون ذلك منهم وأجل من أن يؤثر شيء مما هودونه عنهم ، وانما وصفهم الناصب بصفاته وألزمهم بذنوبه وموبقاته ، اذ أستحل بهذه الفتوى أنواعا من المحرمات واستباح أقساما من الحرمات ، أستحل الكذب والبهتان ، أستحل الظلم والعدوان ، أستحل تكفير المؤمنين ، أستحل ايقاد الحرب بين المسلمين ، أستحل قتل الشيعة وهم ركن الاسلام ، أستحل نهب مالهم وهو الحرام ، أستحل سبي المسلمات القائرات ، أستحل اطفال المسلمين وهتك الحرمات ، وقد أباد بهذه الفتوى من مؤمني حلب أربعين الفا

أو يزيدون واقتبعت اموالهم وأخرج الباقون منهم من ديارهم الى نبل والنغالة وأم العمد والدلبوز والفوعة وقراها ، وهاجم الامير ملحم بن الامير حيدر « بسبب هذه الفتوى » جبل عامل سنة ١١٤٧ قاتنته الحرمات واستباح الحرمات « يوم وقعة انصار » وقتل وسلب وخرب ونهب واسر الفا واربع مائة من المؤمنين فلم يرجعوا حتى هلك في الكنيف بيروت ، الى غير ذلك مما كان بسبب هذه الفتوى من الفظائع والفجائع . على أنها في ذاتها بائقة الدهر وفارقة الظهر ، الحكم لله والمصير اليه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الوجه الرابع

انهم ينكرون خلافة الشيخين ، ويريدون أن يوقعوا في الدين الشين^(١) والجواب انه لا ينكر استخلاف الشيخين رضى الله عنهما ذو شعور ، ولا يرتاب فيه ذو وجدان ، وقد امتدت امارتهما من سنة ١١ الى سنة ٢٣ وفتحت بها الفتوحات وضرب الدين فيها بجرانه ، على أن خلافتهما من الشؤون السياسية التي خرجت بأقضائها وتصرمها عن محل الابتلاء ، فأبي وجه لتنافر المسلمين اليوم بسببها وأي ثمرة عملية تترتب فعلا على الاعتقاد بها .

فهللوا يا قومنا للنظر في سياستنا الحاضرة وعرجوا عما كان من شؤون السياسة الغابرة ، فان الاحوال حرجة والمآزق ضيقة لا يناسبها نبش الدفائن ولا يليق بها إثارة الضغائن ، وقد آن للمسلمين ان يلتفتوا الى ما حل بهم من هذه المنابذات والمشاغبات التي غادرتهم طعمة الوحوش وفرائس الحشرات .

(١) لم يأت بهذه الفقرة « أعني قوله ويريدون أن يوقعوا في الدين الشين » الا لمجرد السجع والا فقد عرفت انهم احوط الناس على الدين .

وأي وجه لتكفير المسلمين بأنكار سياسة خالية وخلافة ماضية؟ قد أجمع أهل القبلة على أنها ليست من أصول الدين، وتوافقوا على أنها ليست من بني الإسلام عليه، ونحن نظرننا فيما صح عند أهل السنة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تفسير معنى الإسلام والايان فلم نجد (٢) مقليدا بها، وتتبعنا الامور التي جعلها صلى الله عليه وآله وسلم سببا في احترام الدماء والاعراض والاموال فلم تكن (٣) من جملتها، واستقرأنا من نصوصه شرائط دخول الجنة فلم نجدها (٤) في زمرتها، فأبي مانع بعد هذا من جريان الاجتهاد فيها، وأي دليل على كفر المتأولين من منكريها •

فإن القوم لم تكن بينهم وبين الحق عداوة وانما قادتهم الادلة الشرعية الى القطع بأشراط أمور في القاءهم في مقام رسول الله صلى الله عليه وآله والمستوي على مرقاة الخلافة عنه، كعدم سبق الكفر منه على الايمان وكعصمته والعهد اليه وعدم كونه مفضولا، واستدلوا على هذه الشروط بأدلة من الكتاب والسنة والعقل كثيرة لا يسع المقام بيانها، وقد استقصيناها في كتابنا «سبيل المؤمنين» •

وهيها شبيها كما تقول لكنها توجب العذر لمن غلبت عليه لانها من الكتاب والسنة، وقد الجأت الى القطع بما صار اليه، فإن كان مصيبا والا فقد أجمع المسلمون على معذرة من تأول في غير أصول الدين وان اخطأ كما سمعته في فصل المتأولين •

على أنه لا وجه للتكفير بأفكارها حتى لو فرضنا أنها من أصول الدين

(٢) راجع الفصل ٣ المعنود لبيان معنى الإسلام من هذه الرسالة •

(٣) راجع الفصل ٣ المختص بأحترام الموحدين من هذه الرسالة •

(٤) راجع الفصل ٥ المتعلق بنجاة الموحدين من هذه الرسالة •

عندهم ، لأنها ليست من الضروريات التي يرجع انكارها الى تكذيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا هي في نظر منكريها من الأمور التي قد أنعقد الأجماع عليها ، وقد سبقوا بشبهة من الكتاب والسنة تمنعهم من الاعتقاد بها ، ألا ترى أن الشيعة لم تكفر أهل السنة بأنكارها امامة الاثمة من أهل البيت عليهم السلام مع أن امامتهم من أصول الدين على رأي الشيعة ، وكذلك العدلية من الشيعة والمعتزلة لم تكفر طائفة الاشاعرة بأنكارها العدل مع أنه من الأصول عندهم أيضا .

وقد تأول في انكار هذه الخلافة سعد بن عباد وحباب بن المنذر الانصاريان وتخلف عنها جماعة وأكره عليها آخرون كما ذكرناه في فصل المتأولين ، فلم يكفر أحد من أولئك بما كان منه ولا فسق بما تواتر من القول والفعل عنه ، فكيف هؤلاء وحكم الله واحد يا أيها المنصفون ؟ على أن الاحاديث المتواترة من طريق العترة الظاهرة والصحاح الوافرة من طريق أهل السنة ، ألجأت هؤلاء الى القطع بعهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى غاي من بعده ، فدانوا بما رأوا أنه الحق من دين الاسلام ، فهم معذورون بل مأجورون ان اصابوا بذلك وان اخطأوا بالاجماع .

قال ابن حزم حيث تكلم فيمن يكفر ولا يكفر في صنعة ٢٤٧ من الجزء الثالث من فصله ما هذا نصه : وذهبت طائفة الى أنه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد أو فتيا ، وان كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى انه الحق فإنه مأجور على كل حال ، ان أصاب فأجر ان وان اخطأ فأجر واحد .

قال : وهذا قول ابن أبي ليلى وأبي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري

للإمام شرف الدين ١٤٥

وداود بن علي ، وهو قول كل من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة
(رض) لا نعلم منهم خلافاً في ذلك أصلاً .

قلت : اجماع الصحابة وهؤلاء الأئمة يقطع دابر المشايخين وينقض
أساس المجازفين ، ضرورة أن القائمين بخلافة علي والمنكرين لغيره لم يقولوا
هذا القول ولم يعتقدوا هذا الأمر إلا بعد الاجتهاد التام واستفراغ الوسع
والطاقة وبذل الجهد في الاستنباط من الكتاب والسنة ، ولقد عز عليهم فراق
آخوانهم من أهل السنة في هذه المسألة ، وقاسوا في سبيلها من أنواع البلايا
وأقسام المحن والرزايا ما قد علمه جميع الناس ، ولكن ما يصنعون فيما يرونه
الحق ويقطعون بأنه عين الصواب ، وقد صرح بمعذرتهم وكونهم مأجورين
جماعة من أفاضل المعاصرين كالعلامة القاسمي الدمشقي حيث قال في ميزان
الجرح والتعديل بعد ذكر الشيعة واحتجاج مسلم بهم في صحيحه ما هذا
لفظه : لأن مجتهدي كل فرقة من فرق الإسلام مأجورون أصابوا أم أخطأوا بنص
الحديث النبوي اه .

قلت : ومن راجع من هذه الرسالة الفصل المشتتل على فتاوي علماء السنة
يجدهم مجمعين على ذلك ، ومن سبر فصل المتأولين لا يرتاب فيه . والحمد
لله رب العالمين .

الوجه الخامس

أنهم يطولون ألسنتهم على عائشة الصديقة رضي الله عنها ويتكلمون في
حقها من أمر الأفك وانعياذ بالله ما لا يليق بشأنها . . . إلى آخر إفكه وبهتانه .
والجواب أنها عند الإمامية وفي نفس الأمر والواقع أقبي جيباً واطهر ثوباً

وأعلى نفساً وأعلى عرضاً وأمنع صوتاً وارفع جناحاً وأعز خدراً واسمي مقاما
من أن يجوز عليها غير النزاهة أو يمكن في حقها إلا العفة والصيانة ، وكتب
الامامية قديمها وحديثها شاهد عدل بما أقول ، على أن أصولهم في عصمة الانبياء
تحيل ما بهتها به أهل الافك بتاتا ، وقواعدهم تمنع وقوعه عقلا ، ولذا صرح فقيه
الطائفة وثقتها أستاذنا المقدس الشيخ محمد طه النجفي أعلا الله مقامه وهو على
منبر الدرس بوجوب عصمتها من مفسون الافك عملا بما يستقبل بحكمه
العقل من وجوب نزاهة الانبياء عن أقل عائبه ولزوم طهارة اعراضهم عن أدنى
وصمة ، فنحن والله لا نحتاج في براءتها الى دليل ولا نجوز عليها ولا على غيرها
من أزواج الانبياء والاولياء كل ما كان من هذا القبيل .

قال سيدنا الامام الشريف المرتضى علم الهدى في المجلس ٣٨ من الجزء الثاني
من أماليه ردا على من نسب الخنا الى امرأة نوح ما هذا لفظه : ان الانبياء عليهم
الصلاة والسلام يجب عقلا أن ينزهوا عن مثل هذه الحال لانها تعروتشين وتعض
من القدر ، وقد جنب الله تعالى أنبياء عليهم الصلاة والسلام ما هو دون
ذلك تعظيما لهم وتوقيرا لكل ما ينفر عن القبول منهم . . . الى آخر
كلامه الدال وجوب نزاهة امرأة نوح وامرأة لوط من الخنا ، وعلى ذلك اجماع
مفسري الشيعة ومتكلميهم وسائر علمائهم .

نعم ننتقد من أفعال أم المؤمنين خروجها من بيتها بعد قوله تعالى « وقرن
في بيوتكن » ، وركوبها الجمل بعد تحذيرها من ذلك ومجيئها الى البصرة
تقود جيشا عربيا تطلب على زعمها بدم عثمان ، وهي التي آلمت حربه وألبت
عليه وقالت فيه ما قالت ، ونلومها على أفعالها في البصرة يوم الجمل الاصغر
مع عثمان ابن حنيف وحكيم بن جبلة ، ونستنكر أعمالها يوم الجمل الاكبر مع

أمير المؤمنين ويوم البغل حيث ظنت ان بني هاشم يريدون دفن الحسن المجتبي عند جده (ص) فكان ما كان منها ومن مروان ، بل نعتب عليها في سائر سيرتها مع سائر أهل البيت عليهم السلام ، والناصب الكاذب بلغ في عداوة الشيعة الى حد لا يبلغه مسلم وتجشم في بغضائهم مسلكا لا يسلكه موحد ، اذ وصم الاسلام وأهله بما أفتراه في هذا الوجه على الشيعة وهم نصف المسلمين وصمة أقر بها عيون الكافرين وفرى بها مرائر الموحدين وظلم بها أم المؤمنين وجميع المسلمين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

أنهم يسبون الشيخين رضي الله تعالى عنهما .
والجواب أن البحث يقع هنا في كل من صغرى هذا الوجه وكبراه ،
وبعبارة أخرى هي اوضح يقع البحث في مقامين :

« المقام الاول » في أنهم هل يسبون أو لا يسبون ؟ .

« والثاني » في أنه هل يكفر الساب (والعياذ بالله) أولا يكفر ، وقد رأيت البحث في المقام الاول عبثا صرفا ولغوا محضا ، اذ لا يمكن إذعان الخصم ببراءة الشيعة من هذا الامر ، ولو حلفنا له برب الكعبة ، بل لا يلتفت الى نفيه عنهم ولو جئناه بكل آية ، والامامية طالما اذنت فلم يسمع اذانها وشد ما أعلنت فلم يصنع لاعلانها ، فسد هذا الباب أقرب الى الصواب وأولى بأولي الالباب ولا حول ولا قوة الا بالله .

وأما المقام الثاني فالحق فيه عدم الكفر ، ولنا على ذلك أدلة قاطعة وبراهين

ساطعة نذكر منها ستة ثم نوكل الحكم بعدها لرأي المنصفين :

«الاول» الأصل مع عدم ما يدل على الكفر من عقل أو نقل أو اجتماع .

« الثاني » أنا تتبعنا سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فما رأيناه يكفر أحداً بشتهم واحد من أصحابه رضي الله عنهم ، وكان الصحابة يتنازعون ويتشائمون على عهده فلم يؤثر عنه تكفير أحد منهم بسبب ذلك ، حتى تشائموا مرة أمامه وتضاربوا بالنعال كما رواه البخاري عنهم في أول كتاب الصلح من صحيحه وأخرجه مسلم في آخر باب دعاء النبي الى الله من كتاب الجهاد من صحيحه) وتقاتل الاوس والخزرج مرة على عهده صلى الله عليه وآله وسلم ، وأخذوا السلاح واصطفوا للقتال كما في آخر صفحة ١٠٧ من الجزء الثاني من السيرة الحلبية وكذا في السيرة الدحلانية وغيرها ، فأصلح بينهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكفر بذلك أحداً منهم ، وموارد أختلافهم وتشائمهم بل تقاتلهم وتحاربهم مسطورة في كتب الحديث والخبار . فهل بلغكم تكفير النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأحدهم بهذا السبب ، أم هل سمعتم ذلك عن أحد الصحابة رضي الله عنهم ؟؟ وإذا كان القوم لم يثبتوا لانفسهم هذه المنزلة فكيف أثبتوها لهم المجازفون ؟

« الثالث » ما سمعته في الفصول الثلاثة المنعقدة لبيان معنى الايمان واحترام الموحدين ونجاتهم من الاحاديث الصحيحة والنصوص المتواترة الصريحة ، فراجعها لتعلم حكمها على مطلق أهل الاركان الخمسة بالايمان والاحترام ودخول الجنة ولا يخفى على كل من لحظها بطرفه أو رمقها ببصره أو سمع بيانها أو عرف لسانها أمتناع تقييدها واستحالة تخصيصها ، ولذا أجمع المسلمون على عدم تخصيصها بما أخرجه مسلم في أوائل صحيحه من الاحاديث

القاهرة بكفر التارك للصلاة من المسلمين والمقاتل منهم للمسلم والعبد الآبق والنائحة على الميت والطاعن في النسب ، بل قالوا ان الغرض من هذه الصحاح وأمثالها انما هو تغليظ الحرمة وتفضيع المعصية لا الكفر الحقيقي ، فلتكن الاخبار المتعلقة في السب مثلاً على فرض صحتها نظير هذه الصحاح ، ويوضح لك ما تقول اجماع الخلف والسلف من أهل السنة على أن من مات موحداً دخل الجنة ولو عمل من المعاصي ما عبل ، كما ستسمعه عن الفاضل النووي قريباً ان شاء الله تعالى .

« الرابع » ما أورده القاضي عياض في الباب الاول من القسم الرابع من كتاب الشفاء ، أن رجلاً من المسلمين سب أبا بكر بنحضر منه رضي الله عنه فقال ابو برزة الاسلمي : خليفة رسول الله دعني أضرب عنقه . فقال : أجلس ليس ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اه . وأخرجه الامام أحمد من حديث أبي بكر في صفحة ٩ من الجزء الاول من مسنده . بالله عليك اذا كان هذا حكم الصديق فيمن واجهه بالسب وهذه فتواه فيمن تمسور على مقامه بالشتيم فمن أين نحكم بعده بالتكفير ، وكيف تقضى بوجوب القتل أو نقتي بجواز التعزير ؟ نحن أعرف منه بالاحكام أم أحرص على إقامة الحدود ؟ كلا ! بل لو ارتد ذلك الساب لاقام عليه حد المرتدين ، ولو كفر بها لرتب عليه آثار الكافرين ، وحاشا أبا بكر من تعطيل حدود الله أو تبديل أحكامه عز وجل .

وقد اقتدى به في ذلك الصالحون ، ونسج على منواله المتورعون كعمر ابن عبد العزيز حيث كتب اليه عامله بالكوفة يستشيريه في قتل رجل سب عمر بن الخطاب (رض) فكتب اليه كما في الباب المتقدم ذكره من الشفاء : لا يحل قتل

امرىء مسلم بسبب أحد من الناس ، الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن سبه فقد حل دمه .

وأخرج محمد بن سعد في أحوال عمر بن عبد العزيز في صفحة ٢٧٩ من الجزء الخامس من طبقاته بسنده الى سهيل بن أبي صالح قال : ان عمر بن عبد العزيز قال : لا يقتل أحد في سب أحد الا في سب نبي - وأخرج احمد بن حنبل في حديث أبي هريرة في صفحة ٤٣٦ من الجزء الثاني من مسنده أن رجلا شتم أبا بكر والنبي (ص) جالس ، فجعل النبي (ص) يعجب ويتبسم . . . الحديث «الخامس» اجماع فقهاءهم على أن مجرد السب لا يوجب الكفر ، وقد نقله من علماء السنة خلق كثير فمنهم فقيه الحنفية في عصره (الامين) ابن عابدين ، حيث جزم في كتابيه رد المحتار وتنبيه الولاة بعدم كفر المتأولين في هذه المسألة ، وصرح في كليهما بأن القول بكفرهم مخالف لاجماع الفقهاء مناقض لما في متونهم وشروحهم ، فراجع من رد المحتار صفحة ٣٠٢ من جزئها الثالث في باب المرتد لتعلم الحقيقة .

ومنهم صاحب الاختيار حيث قال - كما نص عليه ابن عابدين فيما أشرنا اليه من رد المحتار - : اتفق الأئمة على تضليل أهل البدع أجمع وتخطئتهم وسب أحد من الصحابة وبغضه لا يكون كفرا لكن يضل اهـ .

ومنهم ابن المنذر حيث صرح - كما في رد المحتار أيضا - بما يقتضي قتل اجماع الفقهاء على عدم تكفير الخوارج ، وان أستحلوا دماء المسلمين وأموالهم وكفروا الصحابة رضى الله عنهم ^(١) .

(١) اذا كان هؤلاء مسلمين ، وقد مرقوا من الدين وأستحلوا ما حرم الله من دماء المسلمين فالامر في غيرهم سهل يسير ، وهذا الاجماع دال على ما هو أعم من المطلوب مثبت لما هو أعظم من المقصود كما لا يخفى .

ومنهم صاحب فتح القدير حيث قطع بعدم كفر أحد من أهل البدع ،
وان خالف ببدعته دليلا قطعيًا كالخوارج الذين يكفرون الصحابة ويسبونهم
مثلا ، وذكر أن ما وقع في كلام أهل المذهب من تكفيرهم ليس من كلام الفقهاء
الذين هم المجتهدون وإنما هو من كلام غيرهم ، قال : ولا عبرة بغير الفقهاء
والمنقول عن الفقهاء ما ذكرناه اهـ .

ومنهم ابن حجر حيث قال كما في خاتمة الصواعق ، فمذهبننا (فيمن
يسب) أنه لا يكفر بذلك اهـ .

ومنهم الشيخ أبو طاهر القزويني في كتابه سراج العقول حيث نقل القول
بعدم كفر أحد من أهل الأركان الخمسة من الروافض وغيرهم عن جمهور
العلماء والخلفاء من أيام الصحابة إلى زمنه ، فراجع ما نقلناه عنه في الفصل
المعقود لفتاوى علماء السنة .

ومنهم العارف الشعراني حيث قال في آخر المبحث ٥٨ من يواقيته ما هذا
لفظه : فقد علمت يا أخي أن جميع العلماء المتدينين أمسكوا عن القول بالتكفير
لأحد من أهل القبلة اهـ .

وقد أرسل ابن حزم عدم الكفر إرسال المسلمات ، فقال في صفحة ٢٥٧
من أواخر الجزء الثالث من فصله ما هذا لفظه : وأما من سب أحدا من الصحابة
فإن كان جاهلا فمعذور وإن قامت عليه الحجة فتماذى غير معاند فهو فاسق
كمن زنى أو سرق ، وإن عاند الله تعالى ورسوله في ذلك فهو كافر . قال :
وقد قال عمر بحضرة النبي (ص) عن حاطب « وحاطب مهاجري بدري » : دعني
أضرب عنق هذا المنافق ، فما كان عمر بتكفيره حاطبا كافرا ، بل كان مخطئا
متأولا اهـ .

قلت : وحسبك في عدم كفر الموحدين بمجرد هذا ما هو معلوم بحكم البدهة الاولى من أجماع اهل السنة على ان مطلق الموحدين يدخلون الجنة على كل حال . قال الفاضل النووي « في باب الدليل على ان من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا من شرح الصحيح » : وأعلم ان مذهب اهل السنة وما عليه أهل الحق من الخلف والسلف أن من مات موحدا دخل الجنة قطعا . . . الى أن قال : فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل اه .

« السادس » أنه لا يفتى بالتكفير عندهم الا ان يكون الموجب للكفر مجتمعا على ايجابه ، لذلك قال في شرح تنوير الابصار : وأعلم انه لا يفتى بكفر مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن أو كان في كفره خلاف ولو كان ذلك رواية ضعيفة اه .

وقال الخير الرملي كما في صفحة ٣٩٨ من الجزء الثالث من رد المحتار : ولو كانت « تلك الرواية » لغير أهل مذهبنا ، وأستدل على ذلك بأشراط كون ما يوجب الكفر مجتمعا على ايجابه لذلك .

قلت : اذا كان التكفير مشروطا بهذا فكيف يفتى بالكفر في مسألتنا مع ما سمعت من أنعقاد الاجماع على عدم الكفر فيها ؟ ولو أنكر الخصم ذلك الاجماع فحسبه وجود القائل بعدم التكفير ، فإنه مما لا يمكن انكاره كما لا يخفى . وقد اعزب الناصب اذ حكم بعدم قبول توبته مع أجماعهم على قبول توبة من يسب الله عز وجل (٢) .

(٢) نسجوا في هذه الفتوى على منوال اليهود اذ أجسعت أجبارهم على ان من شتم الله تعالى يؤدب ومن شتم الاجبار يقتل ، وقد أنكر ذلك عليهم ابن حزم اذ نقله عنهم في صفحة ٢٢١ من الجزء الاول من فصله قبل انتهاء الجزء

فهل هذا الا تحامل قبيح وظلم صريح ، وجراحة على الله عزوجل في تبديل
 أحكامه واستخفاف فيما شرع الله سبحانه من حلاله وحرامه ، وما أراد الا
 مدفوعا على هذه الفتوى من ملوك الجور تحسينا لافعالهم أو مستأجرا عليها
 من ولاة الجور تصحيحا لاعمالهم .
 ولا غرو فان علماء السوء وقضاة الرشوة يبدلون أحكام الله بالتافه
 ويسعون الامة بالزرر القليل .

فقاتل الله الحرص على الدنيا ، وقبح الله التهالك على الخسائس ، ما أشد
 ضررها وما أقطع خطرهما ، نبذ أولئك الدجالون حكم الله وراء ظهورهم طمعا
 في الوظائف ، وحكموا بما تقتضيه سياسة ملوكهم رغبة في المناصب ، وأرجفوا
 في المؤمنين وفرقوا كلمة المسلمين ، ولولاهم لتعارفت الارواح واثلت القلوب
 وامترجت النفوس واتحدت العزائم ، فلم يطمع بالمسلمين طامع ولم يرمقهم من
 النواظر الا بصر خاشع ، ولكن وأسفاه استحوذ عليهم أولئك المفسدون الذين
 ينحرون دين الله في سبيل الوظائف ويضحون عباده في طلب القضاء والافتاء ،
 فتناكرت بفتاويهم وجوه المسلمين وتباينت بأراجيفهم رغائب الموحدين ، حتى
 كان من تفوق آرائهم وتضارب اهوائهم ما تصاعدت به الزفرات وفاضت منه
 العبرات ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

بورقتين ، ثم قال : فأعجبوا لهذا وأعلموا أنهم ملحدون لا دين لهم اهـ قلت :
 وهب ان الرافضي كافر فقد نشأ على مذهبه وتدين به من قبل البلوغ فلم
 لا تقبل توبته كما تقبل توبة المجوس والصابئة يا منصفون .

فصل

١٠

في الإشارة الى سير مما نسبته الكذابون الى الشيعة وبيان براءتهم منه ، والغرض من ذلك استئصال شأفة التنافر واقتلاع بذرة التدابر وأزالة كل عثرة في طريق الاجتماع ودك كل عقبة في سبيل الوئام ، وقبل الشروع في المقصود تقدم جملة لا تتم بدونها الفائدة ، حاصلها : أن في أهل السنة من رمى الامامية بدواهي وفواقر قد علم اليوم بفضل المطابع وبركة انتشار الكتب وتقلص العصبية وبزوغ الحقائق أنهم في غاية البعد عنها وتمايم التقديس منها ، والرامون لهم بها على أربعة اقسام :

« القسم الاول » طائفة من العلماء حملهم على ذلك مجرد التزلف الى ملوك بني أمية وسلاطين بني العباس ، اذ كانت الشيعة بعد صفين والطف أعداء السياسة الاموية وأضداد الدولة العباسية ، يجتهدون في رفضها ويعملون على تقضها ، ففتكت بهم الحكام وقتلتهم تحت كل حجر ومدر ، ووازرهم على ذلك القراء المراءون والعلماء الدجالون ، فبلغوا في تسويد صحائف الشيعة كل مبلغ ، وألصقوا بهم كل عاتبة ، تهجيناً لمذهبهم وتقييحاً لمشربهم وتصحيحاً لما كان يرتكبه بنو أمية من تقتيل أبناءهم واستحياء نسائهم ، وكانوا ينتظرون الفرج بسقوط الدولة الاموية ، فلما ملك بنو العباس نسجوا معهم على ذلك المنوال وعملوا مع أئمة أهل البيت افطع الاعمال ، حتى قضى (الكاظم) في سجونهم ، وتجرع (الرضا) كأس السم من يد مأمونهم ، وكرهوا قبر الحسين عليه السلام ، وأبادوا نسل محمد صلى الله عليه وآله ، فعاد على شيعة أهل البيت ذلك البلاء وحملت بهم من ولادة الدولة العباسية وعلمائها تلك اللواء ،

الولاية تفنيهم بسهامها وعلماؤهم بالتزلف ترميهم بأقلامها .. بيد أن ظلم السيف لم يبق وظلم القلم مسجل ما بقيت كتب الضلال ، فالعادل المثبت لا يصدق في حق الشيعة علماؤهم تلك الدولتين ، ولا يعتني بما كان في أيامهما من الراجيف فأنها أكاذيب أوجبتها سياسة الملك واقتضتها قواعد الظالمين .

« القسم الثاني » طائفة من العلماء حملهم على ذلك مجرد الخوف من ميل الناس الى الشيعة ، ومحض الحذر من أتباع سائر المسلمين لطريقتهم ، وكأنهم قد أستباحوا بذلك تفير الناس عنهم بكل طريق ، فقالوا ما قالوا ونالوا ما نالوا ، على علم منهم بأن الامامية منزهون عما افتروه عليهم مقدسون عما نسبوه اليهم ، الا في مسألة واحدة تتعلق بمباحث الامامة والسياسة لا تتحاشى منها ، وهي على قواعد الخصم اهتماما زائدا لو أنصفوا لانها ليست من الاصول عندهم كما لا يخفى .

« القسم الثالث » طائفة قد التبس الامر عليهم ، لان اسم الشيعة غير خاص بالامامية بل مشترك بينها وبين فرق كثيرة ، كالآغا خانية والكيسانية والناووسية والخطابية والفضحية والواقفية وغيرها ، فربما وجدوا أقوالا منكرة ومذاهب مكفرة لا حدى تلك الفرق الضالة التي يطلق عليها لفظ الشيعة فظنوا أنه مذهب الجميع ، فأرسلوه عنهم ارسال المسلمات ، وأعانهم على ذلك وغر في صدورهم وغيظ في نفوسهم ، يمنعانهم عن التثبت في النقل .

ولله ورع الامامية وتثبتهم اذ يراون الكرامية وهم طائفة من أهل السنة يذهبون الى أن الله سبحانه وتعالى مستقر على العرش أستقرارك على الارض ، ويجدون آخرون يقولون بأنه تعالى بكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه وعادته الملائكة ، ويلفون الحائطية والحديثية (وهما فرقتان من المعتزلة) يقولون

بحلول الله عز وجل في بعض الانبياء مقالة النصارى في ابن مريم عليهما السلام نص على ذلك الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ، ومع ذلك لم ينسبوا القولين الاولين الى مطلق أهل السنة ، ولا ألحقوا المقالة الاخيرة بمطلق المعتزلة ، وانما نسبوا تلك الاقوال الى أربابها وقصروها على أصحابها ، فلم ينسب غيرهم مقالة الخطابية والناووسية مثلاً الى مطلق الشيعة يا منصفون •

« القسم الرابع » جماعة قد أعتمدوا في نقل تلك الدواهي والظلمات عن الشيعة على من تقدمهم من علماء سلفهم ، اذ رأوهم ينقلون شيئاً فنقلوه ووجدوا أثراً فأتبعوه ، ولو رجعوا في معرفة أقوال الامامية الى علمائهم وأخذوا مذهبهم في الاصول والفروع من مؤلفاتهم ، لكان أقرب الى التثبت والورع • وما أدري كيف نبذوا في هذا المقام كتب الامامية على كثرتها وأتشارها وأعتمدوا على نقل أعدائهم المرجفين وخصمائهم المجازفين الذين تحكموا في تضليلهم ، وسلقوهم بالسنة الافتراء وهذا عصر لا يصغى فيه الى من يرسل نقله أرسال الكذابين ، أو يطلق كلامه اطلاق المسوهين ، حتى يرشدنا الى المأخذ ويدلنا على المستند ، وقد طبع في أماكن من فارس والهند ألوف من مصنفات أصحابنا في الفقه والحديث والكلام والعقائد والتفسير والاصول والاوراد والاذكار والسلوك والاخلاق ، فليطلبها من أراد الاستبصار ولا يعول على كتب المهولين الذين بشوا روح البغضاء في جسم المسلمين ، ونقلوا عن الشيعة كل إفك مبین ، واليك منه ما عقد الفصل لذكره •

قال ابن حزم الظاهري في صفحة ١٨٣ من الجزء الرابع من الفصل ما هذا نصه : ومن الامامية من يجيز نكاح تسع نساء ، ومنهم من يحرم الكرب

(وهو نوع من السلق يشبه القنيط) لانه انما ثبت على دم الحسين (١) ولم يكن قبل ذلك .

قلت : أما نكاح ما زاد على الاربع فأجماع الامامية قاطبة نصا وفتوى على حرمة ، وهذا الحكم من ضروريات مذهبهم بحيث لا يشتبه فيه أحد منهم ، واما الكرب فليس له في كلام الامامية عنوان مخصوص وحكمه عندهم حكم الخس والفجل واللفت وأشباهها ، وأنا أنشدكم أيها الباحثون بعزة الحقيقة وناموس العدل وشرف الانصاف أن تستقصوا فقه الامامية وأصولهم وتستقرئوا حديثهم وتفسيرهم وتصفحو قديم كتبهم وحديثها مختصرها ومطولها متونها وشروحها ، فإن وجدتم أثرا لما قال فالشيعة ليست على شيء من الحق ، والا فأبن حزم وأمثاله من أكذب الخلق ، وقد أرجف بالامامية في غير هذا المقام من فصله ارجافا لا يصدر من ذي دين ، وكذب عليهم أكاذيب لا تكون من ذي يقين ، وظلمهم ظلما لا يقدم عليه مؤمن بالمعاد ، وبهتهم بهتان من لا يخشى الله ولا يستحي من العباد . ونحن بسبب أنتشار كتب الامامية في غنى عن التصدي لتزييف أقاويله وتكذيب أباطيله ، على ان الرجل لم يقتصر في ظلمه على الشيعة خاصة بل ظلم أئمة اهل السنة وبهت علماء المعتزلة وكفر كثيرا من السلف ولم يكذب أحد يسلم من لسانه حتى قال ابن العريف كما في ترجمة علي بن أحمد بن حزم من الوفيات : كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين .

وحسبك ما نقله في شنع المرجئة عن الامام الاشعري وأصحابه ، من أن (١) الامامية أجل من أن تعول في أحكام الله على الخرافات الباردة والترهات المسخنة كهذه الحكاية وأمثالها .

أعلان الكفر باللسان وعبادة الاصنام والاولثان بلا تقية ولا عذر لاينافيان مقام
الولاية لله عز وجل ، فراجع صفحة ٢٠٤ من الجزء ٤ من الفصل • ونقل في
الصفحة الاولى من الجزء ٤ أيضا عن الباقلاني القول بجواز كل فسق وكفر
على الانبياء ، حاشا الكذب في البلاغ • ونقل في صفحة ٢٠٥ من الجزء ٤
أيضا عن بعض الاشاعرة القول بجواز الكذب في البلاغ على الانبياء • ونقل
عن السمناني وهو من أئمة الاشاعرة في صفحة ٢٢٤ من الجزء الرابع تجويز
الكفر على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم • ونسب الى محمد بن
الحسن بن فورك وسليمان بن خلف الباجي - وهما من أئمة الاشعرية - أموراً
عظيمة يطول المقام بتعدادها •

والغرض أن الرجل لا يستحيي من الكذب ولا يتأثم من البهتان ، وقد
أجمع فقهاء عصره كما في ترجمته من الوفيات على تضليله ، وذكره ابن خلدون
في الفصل الذي عقده لعلم الفقه وما يتبعه من مقدمته الشهيرة فكان مما قال
فيه : وتقم الناس عليه وأوسعوا مذاهبه استهجاناً وانكاراً وتلقوا كتبه بالاغفال
والترك حتى أنه ليحظر بيعها في الاسواق ، وربما تمزق في بعض الاحيان اه •
فلا يغتر أحد بما ينقله عن الامامية وغيرهم « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم
فاسق نبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » على
أن الرجل من موالي يزيد بن معاوية ، فلاحظ نسبه في الوفيات ، ولذا فضل أم
حبيرة بنت أبي سفيان على أبي بكر وعمر وعثمان حيث تكلم في وجوه الفضل
والمفاضلة بين الصحابة ، وأختار تفضيل نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم على
جميع من عدا الانبياء من سائر الناس ، وأعتمد في ذلك على خز عبلات مسخنة
وترهات باردة وتثبت بسفاسف فاضحة وتمويهات واضحة ، فليراجعها كل

مغرور بأبن حزم في صفحة ١١٢ وما بعدها الى صفحة ١٣٤ من الجزء الرابع من الفصل وليعجب . وقد ظهر منه في تلك المقامات وما بعدها نصب عظيم لأمير المؤمنين وعداوة لاهل البيت بالغة ، حتى فضل صهيبا في صفحة ١٥٢ من الجزء الرابع على العباس وبنيه وعلى عقيل وبنيه وعلى سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام ، وانكر كل فضيلة لاهل البيت فراجع ونسج على منواله في بهت الامامية جماعة كثيرين منهم الشهرستاني في الملل والنحل اذ ألحق بهم كل مستهجن وألصق فيهم كل قبيح . ذكر أنهم أفتروا بعد الامام أبي محمد الحسن العسكري إحدى عشرة فرقة ، والله يعلم أنهم لم يفتروا في أصول الدين أو شيء من العقائد وانما أراد بتفريقهم اطفاء نورهم ، وليته أسند شيئا من الاقاويل التي نقلها عن تلك الفرق الى كتاب يتلى أو شخص خلقه الله تعالى ، وليته أخبرنا عن بلاد واحدة من تلك الفرق أو زمانها أو اسمها ، فإنه قال : وليس لهم ألقاب مشهورة ولكننا نذكر أقاويلهم . بالله عليك هل سمعت بفرق متخاصمة ونحل آراؤها متعاركة لا يعرف لهم في الاحياء والاموات رجل ولا امرأة ولا يوجد في الخارج لهم مسمى ولا اسم ؟ وقد نقل عن زرارة بن أعين وهشام بن الحكم (٢) ومؤمن الطاق محمد ابن النعمان وهشام بن سالم أمورا ترتعد منها الفرائص وتقتشع الجلود ، فلم يقدح ذلك في سمو مقامهم وعظيم خطرهم عند الله ورسوله والمؤمنين ، وما ادري كيف أختص الشهرستاني واصحابه بالاطلاع على أقوال هؤلاء الاعلام دوننا ، مع أنهم سلفنا وفرطنا قد بحثنا عن رأيهم وأخذنا من الدين بهديهم ،

(٢) قد أستوفينا الرد في هذه المسألة على الشهرستاني في كتابنا مختصر الكلام في مؤلفي الشيعة من صدر الاسلام فراجع ما نشر منه في صفحة ١٨٩ وفي صفحة ٢٣١ من المجلد الثاني من العرفان .

فنحن أعرف الناس بمذاهبهم وصحاحنا مشحونة من حديثهم وأسفارنا مسلوقة من أقوالهم في الكلام والتفسير والفقه وأصوله ، وفي أيدينا جملة أحوالهم وتفاصيل أخبارهم ، فلا يجوز أن يخفى علينا من أحوالهم ما ظهر لغيرنا ، مع بعده عنهم في المشرب ومخالفته لهم في المذهب ، وكونهم ليسوا محالاً لابتلائنا في شيء من أمور الدنيا والدين ، ولو رأيناهم يذهبون إلى ما عزاه الشهرستاني إليهم لبرأنا منهم كما هي سنتنا فيمن نراه معوجاً عن الحق أو منتهجاً نهج الضلال .

وقد أعرضنا عن بعض أولاد أئمتنا مع شدة إخلاصنا لهذا البيت الظاهر ، وكفرنا جماعة ممن صحبهم وفسقنا آخرين وضعفنا قوماً وأمسكنا عن قوم آخرين كما يشهد به الخير بطريقتنا ، فلو كان هؤلاء كما ذكره الشهرستاني لم يعظم علينا تكفيرهم ولا لحقناهم بأبي الخطاب محمد بن مقلص الأجدة وبالمغيرة بن سعد وعبدالله بن سبأ والمختار بن أبي عبيد وأمثالهم ، لكن أعداء أهل البيت عمدوا إلى أكابر أصحابهم فرموهم بهذه الطامات كي يسقطوهم من أعين الناس حسداً منهم وبغياً ، ثم جاء الشهرستاني فرأى أثراً فأتبعه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وقد بلغت القحة ببعض المتعصبين إلى رمي المتأولة (وهم الإمامية في عرف سوريا) بأنكار الصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر الواجبات ، حتى قل ذلك عنهم جودت باشا كما في صفحة ٣٦٦ من الجزء الأول من ترجمة كتابه المطبوع في بيروت سنة ١٣٠٨ (٣) فأعجبوا لهذه الأكاذيب الدالة على (٣) ذكرنا في كتاب مؤلفي الشيعة كلام جودت وأستوفينا المقام في رده ، فراجع ما نشر منه في صفحة ١٩٠ من المجلد الثاني من العرفان ، وقد سمعت في الفصل السابق حال الإمامية في إيجاب الواجبات وتحريم المحرمات فلا وجه للإعادة .

حقيق الكاذب وقلة حياته ، نعوذ بالله من الخذلان .
 وربما أفك بعض المخرفين فنسب الى الشيعة أنهم لا يأكلون لحوم الابل ،
 هذا مع ما ينجر من الجزر كل يوم في مشاهد الأئمة عليهم السلام وغيرهما من
 بلاد الامامية ولا سيما في الذحف الاشرف وهي عاصمة فقهاءهم ، عاى أن من
 راجع من فقههم باب الاطعمة والاشربة لا يجدهم يفتون بکراهة الابل كما يفتون
 بکراهة الخيل والبغال والحمير ، بل يذكرون الابل في غير المكروه قبل البقر
 والغنم والمزء ، وفي باب الذبابة يصرحون بأن تذكية الابل بنحرها في وهدة
 اللبة ، وهذا أمر من الضروريات لا يجهله أحد منهم أصلا .

وأعجب من هذا نسبة بعض الآفكين الى الشيعة عدم ايجاب العدة على
 النساء ، مع أنهم أحوط في هذه المسألة من غيرهم ، ضرورة أن المتوفي عنها
 زوجها تعتد بأربعة اشهر وعشر ليال مبدؤها نفس وفاته ، وتظهر الشر فيما
 لو علمت اليوم أنه مات منذ أربعة اشهر وعشر ليال أو أكثر فأنها لا تتزوج على
 رأيهم حتى تتربص المدة وعند غيرهم تتزوج في تلك الساعة .

وأيضا اذا مات عنها وهي حامل تتربص عندهم بأبعد الاجلين من وضع
 الحمل ومضي المدة ، فلو مضت المدة قبل وضع الحمل لا تتزوج عندهم حتى
 تضع حملها ، وكذا لو وضعت قبل مضي المدة . . . وان أردت التفصيل فعليك
 بفقہ الامامية وحديثهم وتفاسيرهم ، وقد ملأت أنحاء الهند وارجاء فارس
 وانتشرت في العراقين وسوريا وسائر بلاد الاسلام ، وأنا ارشدك الى أسماء
 بعض ما هو مطبوع منها إكمالا للفائدة وخدمة للعلم ، فن الكتب الفقهية
 شرائع الاسلام وجواهر الكلام ومسالك الافهام ومدارك الاحكام وكشف
 اللثام ومفتاح الكرامة وتذكرة العلامة والبرهان القاطع والمختصر النافع

والروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية وجامع المقاصد في شرح القواعد
إلى ما لا يحصى من الكتب المطولة فضلا عن المختصرة ، وحبيبك من حديثهم
وسائل الشيعة إلى أحكام الشريعة ، ومن تفاسيرهم مجمع البيان في تفسير
القرآن فراجعها لتعلم الحقيقة والله المستعان على ما تصفون .

« فصل (١) »

كنا فظن العصية العمياء تقلصت وأيامها الوحشية تصرمت ، وإن المسلمين
أحسوا اليوم بما حل بهم من المنازعات والمشاعات التي تركتهم طعمة الوحوش
والحشرات ، وكنا نقول بزغت الحقائق بفضل المطابع وانتشار كتب الشيعة فلا
أفأك ولا بهات ولا رامي لهم بعدها بهات ، لكن النواصب أبوا إلا إيقاف الفتنة
التامة وإيقاد الحرب العوان (تقريبا بين المؤمنين وأرصادا لمن حارب الله
ورسوله من قبل وليحلفن أن أردنا إلا الحسنى والله يشهد أنهم لكاذبون) .

قام في سوريا من حثالة الأمويين طغام دأبهم العهر والخمر يدعون إلى
سلفهم الفاجر يريدون ليعيدوها أموية يزيدية هيأما في مجاهل ضلالهم وتسكعوا
في مفاوز محالهم ، ركبوا في ذلك رؤوسهم وأرخوا فيه أعنة أقاليمهم ، فألحقوا
بالشيعة كل مستهجن وبتهوهم بكل عائبة « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

(١) إنما عقدنا هذا الفصل وزدناه فيما في هذه الطبعة (أعني الطبعة
الثانية) تأثرا من هؤلاء النواصب الكذبة ، ولئن لم ينتهوا لنعذرنا إلى الله عز
وجل بهم .

في الفصل السابق حال الأمامية في أعقاب الواجبات وتحريم الحرمات
وجه للاعادة .

الا اثم هم المفسدون ولكن لا يشعرون» .

خط قرد يزيد في خطته وفي مجلة الامويين قوارض ترتعد منها القرائن
لكن فتيان المؤمنين خصوه فخطموه وقد غوه فقصوه لا شلت أيمانهم .

وقتب التشايبى مشب سوء فلم ينشب أن أبكم فأفحم وانكبح
فأفتضح ، والحمد لله رب العالمين .

وضوب النصولي نضوله على الامام فنصل بذلك من دين الاسلام ، وقد
طاش سهمه وسفه رأيه وخولط في عقله فهو في (كتابه) أحق ذالغ (٢) ومن

شك فليراجع .

ومع ذلك فقد كال الكيالي بصاعه وانتظم في سلك أتباعه فثار ثائر هوجه
وهبت عواصف رعنه ، فبرهن بما كتب على إطفاء شعله ذهنه وفلول اشباة عقله
« وخسر هنالك المبطلون » . « ومن يضل الله فما له من هاد » .

ما لهؤلاء السفهاء والتطوع في هذا الجيش الوهبي ، وما كان أغناهم
عن ذلك الارجاف والاحجاف ، وما هذا الهوس الحزبي الذي أماتته السنون
يبعثه هؤلاء العادون ليشقوا عصا المسلمين ويلتقوا بأسهم بينهم .

وان من عصب برأمنه العار وخطم أنفه بالشنار وعافر المدام وعائق الغلام
وأضاع الصلاة واتبع الشهوات لجدير بالموبقات ، وحقيق بالمندبات المخزيات .

ولو أني بليت بهاشمي خولته بنو عبد المبدان
لهان علي ما ألقى ولكن تعالوا وأنظروا بمن أتبلاني
ولقد أسرف منار الخوارج بسا أرحف واجحف وبغى وطغى وهبت الشيعة
بهتانا عظيما « ومن يكسب خطيئة او إثما ثم يرمي به بريئا فقد احتمل بهتانا
(٢) وهو الذي لا يزال دالغ اللسان وذلك غايه الحق .

واثما مبينا « شنها في مجلده التاسع والعشرين غارة ملحاحا أو سعت قلب الدين وأهله جراحا إيقادا للفتنة وتمسكا بقرن الشيطان وتزلزا لخوارج القرن الرابع عشر وابتغاء لعرض الدنيا « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » •

وتبا وترحاً لمن يتلوّن كالحرباء ويدين بالسياسة كيف تشاء ، فيوما بحزوى ويوما بالعقيق وبالعذيب يوما ويوما بالخليصاء •

نشر المنار ^(٢) دعايته الى النصب والخرافات والتفريق بين المسلمين بالتسوية والترهات ، وادرج لذلك الناصب الكاذب رسالة خالية الوطاب الا من الافك والسباب ، فأين النهضة التي يزعم المنار قيامه بها على أساس الوحدة الاسلامية وأين ما يدعيه من مجاهدة البدع والخرافات ؟ ! هيهات هيهات (لقد حن قدح ليس منها وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها) ربنا لا تؤاخذنا بسا فعل السفهاء منا ، ونعوذ بك من طغوى نفوسهم وسفه أحلامهم وعمه بصائرهم وبغي طغامهم ، ونبرأ اليك من نعرتهم الممقوتة وعصبيتهم الملعونة ، فقد شقوا بها عصا المسلمين وكان بسببها من الفشل وذهاب ريع الاسلام ما يفري المرائر ويمزق لفائف القلوب •

وهناك أفاضل نحلهم على الصحة في سوء ظنهم بالشييعي ونبزهم إياه بالفرض ونسبتهم الاباطيل اليه ، حيث أنسوا بناحية من تقدمهم ممن رأوه ينز الشيعة ويلمزمهم فنحوا نحوه وتلوا في ذلك تلوه إخلادا اليه بثقتهم واعتقادا (٣) في الجزء ٦ وما بعده من المجلد ٢٩ تباعا •

عليه في كل ما يقول ، فلا تثريب إذن على الوحيد الرافعي اذا قال (٤) ان الرافضة شكوا في نص القرآن وقالوا انه وقع نقص وزيادة وتغيير وتبديل اهـ . ولا جناح علينا اذا سألناه فقلنا له من تعني هنا بالرافضة ، أتعني الامامية أم غيرهم ، فان غنيتهم فقد كذبك من أغراك بهم وكل من نسب اليهم تحريف القرآن فانه مفتر عليهم ظالم لهم ، لان قداسة القرآن الحكيم من ضروريات دينهم الاسلامي ومذهبهم الامامي ، ومن شك فيها من المسلمين فهو مرتد بأجماع الامامية ، فاذا ثبت عليه ذلك قتل ثم لا يغسل ولا يكفن ولا يصلي عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين . وظواهر القرآن فضلا عن نصوصه من أبلغ حجج الله تعالى وأقوى أدلة اهل الحق بحكم البداهة الاولى من منهب الامامية ، ولذلك تراهم يضربون بظواهر الاحاديث المخالفة للقرآن عرض الجدار ولا يأبهون بها وان كانت صحيحة ، وتلك كتبهم في الحديث والفقه والاصول صريحة بما تقول .

والقرآن الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه انما هو ما بين الدفتين ، وهو ما في أيدي الناس لا يزيد حرفا ولا ينقص حرفا ، ولا تبديل فيه لكلمة بكلمة ولا لحرف بحرف ، وكل حرف من حروفه متواتر في كل جيل تواترا قطعيًا الى عهد الوحي والنبوة ، وكان مجموعا على ذلك العهد الاقدس مؤلفا على ما هو عليه الآن ، وكان جبرائيل عليه السلام يعارض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن في كل عام مرة وقد عارضه به عام وفاته مرتين .

والصحابة كانوا يعرضونه ويتلونه على النبي حتى ختموه عليه صلى الله

(٤) في صفحة ١٦١ من كتابه (تحت راية القرآن) .

للإمام شرف الدين ١٢٧

كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له ، وأنه كان يعرض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويتلى عليه ، وأن جماعة من الصحابة كعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدة ختمات ، وكل ذلك بأدنى تأمل يدل على أنه كان مجبوعاً مربباً غير مبتور ولا مبثوث .

قال الهندي : وذكر أن من خالف من الإمامية والحشوية لا يقصد بخلافهم ، فإن الخلاف مضاف الى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة فظنوا صحتها لا يرجع بمنها عن المعلوم المقطوع على صحته - انتهى .

قال الامام الهندي أ وقال السيد المرتضى أيضاً : أن العلم بقصحة القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام المشهورة وأشعار العرب المنطوية ، فإن العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وبلغت الى حد لم تبلغ اليه فيما ذكرناه ، لأن القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية والاحكام الدينية ، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وعنايته الغاية حتى عرفوا كل شيء فيه اعرابه وقراءته وحروفه وآياته ، فكيف يجوز أن يكون مغيراً أو متقصصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد - انتهى .

قال الامام الهندي : وقال القاضي نور الله التوسلاني الذي هو من علماءهم المشهورين في كتابه المسمى بتصائب النواصب : ما نسب الى الشيعة الإمامية من وقوع التغيير في القرآن ليس مما قال به جمهور الإمامية ، إنما قال به شذوذة قليلة منهم لا اعتداد بهم فيما بينهم - انتهى .

قال الامام الهندي : وقال الملا صادق في شرح الكليني : « يظهر القرآن بهذا الترتيب عند ظهور الامام الثاني عشر ويشهر به » انتهى .

قال الامام الهندي : وقال محمد بن الحسن الحر العاملي الذي هو من كبار المحدثين في الفرقة الامامية في رسالة كتبها في رد بعض معاصريه « هر كسيكه تتبع اخبار وتفحص تواريخ و آثار نموده بعلم يقيني ميداند كه قرآن در غايت واعلى درجه تواتر بوده وآلاف صحابه حفظ و قتل ميكردند آن را و در عهد رسول خدا صلى الله عليه وآله وسلم مجموع ومؤلف بود » انتهى .

قال الامام الهندي : فظهر أن المذهب المحقق عند علماء الفرقة الامامية الاثني عشرية أن القرآن الذي أنزله الله على نبيه هوما بين الدفتين ، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك ، وانه كان مجموعا مؤلفا في عهد رسول الله (ص) وحفظه وقله الوف من الصحابة ، وجماعة من الصحابة كعبد الله بن مسعود وابي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي عدة ختمات ، ويظهر القرآن ويشهر بهذا الترتيب عند ظهور الامام الثاني عشر رضى الله عنه .

قال : والشرذمة القليلة التي قالت بوقوع التغير فقولهم مردود عندهم ولا اعتداد به فيما بينهم .

قال : وبعض الاخبار الضعيفة التي رويت في مذهبهم لا يرجع بثبوتها عن المعلوم المقطوع على صحته .

قال : وهو حق لان خبر الواحد اذا اقتضى علما ولم يوجد في الادلة القاطعة ما يدل عليه وجب رده ، على ما صرح به ابن المطهر الحلي في كتابه المسمى بمبادئ الوصول الى علم الاصول ، وقد قال الله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

قال : ففي تفسير الصراط المستقيم الذي هو تفسير معتبر عند علماء

الشيعة « أي إنا لحافظون له من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان » انتهى

هذا كلام الامام الهندي عينا ، وانما اكتفينا بما نقله من كلام اعلام الشيعة الامامية المسطور في كتبهم المعتبرة لان الاستقصاء يوجب الخروج عما أخذناه على أنفسنا من اجتناب الاطئاب الممل .

ومن أراد النقل عن الطوائف والامم فليقتف أثر هذا الامام في الاستناد الى الكتب المعتبرة عند تلك الامة أو الطائفة ، ولا يعول في النقل عنها على المرجفين من خصائنها والالءاء من أعدائها .

وأنا اكبر السفر الجليل « تحت راية القرآن » واقدر قدر مؤلفه « المصطفى الصادق » وأعلم أنه بعيد الغاية رزين الحصة ، وكنت أربأ به وبسفره الشين المؤلف لعموم المسلمين عن جرح عواطف الشيعة وهم ركن الدين وشطر المسلمين ، وفيهم الملوك والامراء والعلماء والادباء والكتبة والشعراء والساسة المفكرون والدهاة المدبرون وأهل الحمية الاسلامية والنفوس العبقرية والشمم والكرم والعزائم والهمم ، وقد انبثوا في الانحاء وانتشروا في الارض انتشار الكواكب في السماء ، فليس من الحكمة ولا من العقل أن يستهان بهم ، وهم أهل حول وقوة وغنى وثروة واموال مبدولة في سبيل الدين وأقدس تتسنى أن تكون فداء المسلمين .

وليس من التثبت أن يعتمد في مقام النقل عنهم على أرجاف المرجفين واجحاف المجحفين « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » .

فصل

١٢

نوضح فيه سبب التباعد بين الطائفتين ونكشف عن مكنون السر في تنافرهما ، زيادة على ما سمعت في الفصول السابقة ، والغرض تشخيص الداء لنصف الناجع فيه من الدواء ، فهنا مقصدان : ^(١)

المقصد الاول

في الامور التي ينفر منها الشيعي ولا يكاد يشرج بسببها مع السني ، وأهمها شيئان :

(الاول) ما سمعته في الفصول السابقة ^(١) من التكفير والتحقير والشتم والتزوير .

(الثاني) أغراض أخواننا أهل السنة عن مذهب الاثمة من أهل البيت ، وعدم الاعتناء بأقوالهم في أصول الدين وفروعه بالمرّة ، وعدم الرجوع اليهم في تفسير القرآن العزيز (وهو شقيقهم) الا دون ما يرجعون فيه الى مثقال ابن سليمان المجسم المرجىء الدجال ، وعدم الاحتجاج بحديثهم الا دون ما يحتجون بدعاة الخوارج والمشبهة والمرجئة والقدزية ، ولو أحصيت جميع ما في كتبهم من حديث ذرية المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ما كان الا دون ما أخرجه البخاري وحده عن عكرمة البربري الخارجي المكذب .

وانكى من هذا كله عدم احتجاج البخاري في صحيحه بأئمة أهل البيت النبوي ، اذ لم يرو شيئا عن الصادق والكاظم والرضا والجواد والهادي

(١) ولا سيما التاسع والعاشر والحادي عشر .

والزكي العسكري وكان معاصرا له ، ولا روى عن الحسن (٢) بن الحسن
ولا عن زيد بن علي بن الحسين ، ولا عن يحيى بن زيد ، ولا عن النفس
الزكية محمد بن عبد الله الكامل بن الحسن الرضا بن الحسن السبط ، ولا
عن أخيه إبراهيم بن عبد الله ، ولا عن الحسين الفخي بن علي بن الحسن بن
الحسن ، ولا عن يحيى بن عبد الله بن الحسن ، ولا عن أخيه إدريس بن عبد الله
ولا عن محمد بن جعفر الصادق ، ولا عن محمد بن إبراهيم بن اسماعيل بن
إبراهيم بن الحسين بن الحسن المعروف بأبي طباطبا ، ولا عن أخيه القاسم
الرمي ، ولا عن محمد بن محمد بن زيد بن علي ، ولا عن محمد بن القاسم
ابن علي بن عمر الأشرف ابن زين العابدين صاحب الطالقان المعاصر للبخاري (٣)
ولا عن غيرهم من أعلام العترة الطاهرة وأغصان الشجرة الزاهرة ، كعبد الله
ابن الحسن وعلي بن جعفر العريضي وغيرهما من ثقل رسول الله ، وبقيته في
أمة صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى أنه لم يرو شيئا من حديث سبطه الأكبر
وويحاته من الدنيا أبي محمد الحسن المجتبي سيد شباب أهل الجنة ، مع
احتجازه بداعية الخوارج واشدهم عداوة لأهل البيت عمران بن حطان القائل
في ابن ملجم وضربته لأمير المؤمنين عليه السلام :

يا ضربة من تقي ما أراد بها
إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوما فأحسبه
أوفي البرية عند الله ميزانا

أما ورب الكعبة وباعث النبين لقد وقعت هنا وقعة المدهوش وقعت

(٢) الحسن بن الحسن هو الامام بعد عمه الحسين السبط على رأي
الشيعة الزيدية وبعده زيد ثم من ذكرناهم بعد زيد ، وترتيبهم في الامامة على
حسب ما رتبناهم في الذكر عليهم السلام .

(٣) قتل في العراق سنة ٢٥٠ قبل وفاة البخاري بست سنوات .

مقام المذنب ، وما كنت أحسب أن الامر يبلغ هذه الغاية ، وقد باح العلامة ابن خلدون بسرها المكنون حيث قال في الفصل الذي عقده لعلم الفقه وما يتبعه من مقدمته الشهيرة بعد ذكر مذاهب أهل السنة ما هذا لفظه : وشذ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها وفقه افردوا به ، وبنوه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة ^(٤) بالقدح وعلى قولهم بعصمة الائمة ، ورفع الخلاف عن أقوالهم ، وهي كلها أصول واهية ^(٥) .

قال : وشذ بمثل ذلك الخوارج ^(٦) ولم يحتفل الجمهور بمذاهبهم ، بل أوسعوها جانب الانكار والقدح ، فلا نعرف شيئا من مذاهبهم ^(٧) ولا نروي كتبهم ولا أثر لشيء منها الا في مواظهم ، فكتب الشيعة في بلادهم ،
 (٤) ما أدري كيف يمكن ان تبني المذاهب الفقهية على تناول بعض الصحابة بالقدح ، وما عرفت كيف تستنبط الاحكام الشرعية الفرعية من تناول أحد من الناس ، وابن خلدون يعد من الفلاسفة ، فما هذا الهذيان منه يا أولي الالباب ؟ .

(٥) ان أصحابنا « الامامية » أثبتوا في كتبهم الكلامية عصمة أئمتهم بالادلة العقلية والنقلية ، والمقام لا يسع بيانها ولو تصدينا لها لخرجنا عن موضوع هذه الرسالة ، وحسبك دليلا على عصمتهم ، كونهم بمنزلة الكتاب الذي لا يأتيه الباطل وكونهم أمان هذه الامة من الاختلاف ، فاذا خالفتهم قبيلة من العرب كانت حزب ابليس ، وكونهم سفينة النجاة وباب حطة هذه الامة ، وكونهم النافين عن هذا الدين تحريف الضالين واتحال المبطلين وتأويل الجاهلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

(٦) أنظر كيف جعل أهل البيت (الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) شذاذ مارقة كالخوارج نعوذ بالله .

(٧) كذب ابن خلدون نفسه في هذه الكلمة ، فانه اذا كان لا يعرف شيئا من مذاهبهم ولا يروى كتبهم ولا أثر لشيء منها عنده فمن أين عرف انهم شذاذ ضلال مبتدعون ومن أين عرف أصولهم واهية « قتل الخراصون » .

وحيث كانت دولتهم قائمة في المغرب والمشرق واليمن والخوراج كذلك ولكل منهم كتب وتأليف وآراء في الفقه غريبة • هذا كلامه فتأمله وأعجب •

ثم رجع الى مذاهب أهل السنة فذكر انتشار مذهب أبي حنيفة في العراق ومذهب مالك في الحجاز ، ومذهب احمد في الشام وفي بغداد ، ومذهب الشافعي في مصر ، وهنا قال ما هذا لفظه : ثم انقضى فقه أهل السنة من مصر بظهور دولة الرافضة ، وتداول بها فقه أهل البيت ^(٨) وتلاشى من سواهم ، الى أن ذهبت دولة العبيدين من الرافضة على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ورجع اليهم فقه الشافعي الخ •

إذا وصف الطائي بالبخل مادر وغير قسا بالفهاة باقل
وقال السهي للشمس أنت ضئيلة وقال الدجى للصبح لولئك حائل
وطاولت الارض السماء سفاهة وكاثرت الشهب الحصى والجنادل
وقال ابن خلدون وأمثاله انهم على الهدى والسنة وأن أهل البيت شذاذ مبتدعة وضلال رافضة •

فياموت زر ان الحياة ذميمة ويا نفس جدي ان سبقك هازل
ولا غرو ان قام المسلم عند سماع هذه الكلمة وقعد ، بل لا عجب ان مات أسفا على الاسلام وأهله ، اذ بلغ الامر هذه الغاية ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم •

أيقول ابن خلدون أن أهل البيت شذاذ ضلال مبتدعون ، وهم الذين

(٨) أنظر كيف اعترف بأن الرافضة يدينون الله بمذهب أهل البيت •
لكم ذخركم ان النبي ورهطه وجيلهم ذخري اذا التمس الذخر
جعلت هواي الفاطميين زلفه الى خالقي ما دمت أو دام لي عمر
وكوفني ديني على أن منصبي شئام ونجري أية ذكر النجر

أذهب الله عنهم الرجس بنص التنزيل^(٩) وهبط بطهيريهم جبرائيل وبأهل بهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم^(١٠) بأمر ربه الجليل ، وقد فرض القرآن مودتهم^(١١) وأوجب الرحمن ولايتهم^(١٢) وهم شهيئة النجاة^(١٣) إذا طغت الحجج للنفاق ، وأمان الأمة^(١٤) إذا عصفت عواصف الشقاق ، وباب

(٩) إشارة الى قوله تعالى « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » فراجع ما علقناه على هذه الآية في الفصل الثاني من المطلب الاول من كلمتنا الغراء .

(١٠) إشارة الى قوله تعالى « فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل » الآية فراجع ما علقناه عليها في الفصل الاول من الكلمة الغراء أيضا .

(١١) إشارة الى قوله تعالى « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى » فراجع ما علقناه عليها في الفصل الثالث من الكلمة الغراء .

(١٢) إشارة الى ما أخرجه الديلمي وغيره - كما في الصواعق وغيرهما - عن أبي سعيد الخدري أن النبي (ص) قال « ووقفوهم أنهم مسئولون » عن ولاية علي . وقال الإمام الواحدي - كما في تفسير هذه الآية من الصواعق أيضا - أنهم مسئولون عن ولاية علي وأهل البيت .

(١٣) وقال ابن حجر في صفحة ٩٣ من صواعقه حيث تكلم في تفسير الآية ٧ من الآيات التي أوردتها في الباب ١١ من الصواعق ما هذا لفظه : وجاء من طرق عديدة يقوي بعضها بعضا : إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل بحفينة فوج من ركبها نجا (قال) وفي رواية مسلم ومن تخلف عنها غرق (قال) وفي رواية هلك الخ .

(١٤) إشارة الى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « النجوم أمان لاهل الارض من العرق ، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف ، فإذا خالفتهم قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس » أخرجه الحاكم عن ابن عباس مرفوعا وصححه علي شرط البخاري ومسلم كما في صفحة ٩٣ من الصواعق المحرقة لابن حجر حيث تكلم في الآية ٧ من الباب ١١ - وأخرج ابن أبي شيبة ومسدد في مسنديهما والترمذي في نوادر الاصيل - وأبو يعلى

حظة^(١٥) يأمن من دخلها، والعروة الوثقى لا انفصام لها، وأحد الثقلين^(١٦) لا يضل
عن نصيبك بهما، ولا يهتدي إلى الله من ضل عن أحدهما وقد أرفنا صلى الله

عنه^(١٧) والطبراني والحاكم عن سلمة بن الأكوع قال: قال رسول الله (ص) النجوم
أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي - وقد قلته الحافظ السيوطي في
كتاب أحياء الميت بفضائل أهل البيت والنبهاني في أربعينه وغير واحد
من العلماء.

(١٥) إشارة إلى قول رسول الله (ص) « مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة
نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق » ومثل باب حطة في بني إسرائيل
أخرجه الحاكم عن أبي ذر عليه الرحمة - وأخرج الطبراني في الصغير والأوسط
عن أبي سعيد قال: سمعت النبي (ص) يقول: « أنما مثل أهل بيتي فيكم
مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق » وأنما مثل أهل بيتي
فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له .

(١٦) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم « اني تارك فيكم
ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن
يفترقا حتى يردا علي الخوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما » أخرجه الترمذي
والحاكم كما في أحياء الميت للسيوطي ، وهو من الأحاديث المستفيضة رواه
أكثر المحدثين بالفاظ متقاربة وأسانيدهم فيه صحيحة قال لابن حجر بعد
قله أنه عن الترمذي وغيره في أثناء تفسيره لآية الرابعة من الباب ١١ من
صواعقه ما هذا لفظه: ثم أعلم ان لحديث التمسك بذلك ملقا كثيرة وردت
عن نيف وعشرين صحابيا (قال) وهو له طرق مبسطة في بحادي عشر الشبه ،
وفي بعض تلك الطرق أنه لما قال ذلك بحجة الطواع بعرفة ، وفي أخرى أنه قاله
بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه ، وفي أخرى أنه قال ذلك
بغدير أخم ، وفي أخرى أنه قاله لما قام خطيبا بعد أنصرفه من الطائف (قال)
ولا تنافي اذ لا مانع من أنه كرر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماما
بشأن الكتاب العزيز والعروة الطاهرة . . . إلى آخر كلامه فراجع في صفحة
٩٣ من الصواعق .

عليه وآله وسلم بأن نجعلهم منا مكان الرأس ^(١٧) من الجسد ، بل مكان العينين من الرأس ، ونهانا عن التقدم عليهم ^(١٨) والتقصير عنهم ، ونص على أنهم القوامون على الدين ، النافون عنه في كل خلف من هذه الامة ^(١٩) تحريف الضالين ، وقد أعلن صلى الله عليه وآله وسلم بأن معرفتهم براءة من النار ^(٢٠) وحبهم جواز على الصراط ، والولاية لهم أمان من العذاب - وأن

(١٧) إشارة الى ما نقله غير واحد من الاعلام كالعلامة الصبان في الصفحة ١١٤ من أسعافه المطبوع في هامش نور الأبصار حيث قال ما لهذا الفظه : وروى جماعة من أهل السنن من عدة من الصحابة أن النبي (ص) قال : مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك (قال) وفي رواية لفرق (قال) وفي رواية أخرى زج في النار (قال) في أخرى عن أبي نذر زيادة وسمعت يقول : اجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد ومكان العينين من الرأس .

(١٨) إشارة الى قوله (ص) في حديث التمسك بالثقلين « افلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تلعسوهما فأنهم أعلم منكم » ونقله عن الطبراني غير واحد من العلماء كالإمام أبي بكر العلوي في باب ٥ من إرشفة الصادق وابن حجر حيث تكلم في تفسير الآية الرابعة في الباب ١١ من صواعقه .

(١٩) إشارة الى ما أخرجه الملا في سيرته بسنده الى رسول الله (ص) قال : في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وابتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، ألا وإن أنستكم وفدكم الى الله فأنظروا من توفدون - وقد نقله ابن حجر في صفحة ٩٢ من صواعقه .

(٢٠) إشارة الى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد أمان من العذاب » رواه القاضي عياض في الفصل الذي عقده لبيان أن من توقيره وبره (ص) برآله وذريته من كتابه « الشفاء » فراجع أول صفحة ٤١ من قسمه الثاني طبع الاستانة سنة ١٣٢٨ هـ .

الإعمال الصالحة لا تنفع عامليها الا بمعرفة حقهم (٢١) ولا تزول يوم القيامة
 قدما أحد من هذه الامة (٢٢) حتى يسأل عن حبه ولو أن رجلا أفنى عمره
 قائما وقاعدا وراكعا وساجدا بين الركن والمقام مات غير موال لهم دخل النار (٢٣)
 فهل يحسن من الامة المسلمة بعد هذا أن تجري الا على أسلوبهم ، وهل
 يتسنى لمسلم يؤمن بالله ورسوله أن يستن بغير سنتهم ، فكيف يعدّهم ابن
 خلدون في أهل البدع بكل صراحة ووقاحة من غير خجل ولا وجل .

(٢١) إشارة الى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الزموا
 مودتنا أهل البيت فإنه من لقي الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا » والذي
 نفسي بيده لا ينفع عبدا عمله الا بمعرفة حقنا « أخرجه الطبراني في الاوسط
 ونقله السيوطي في احياء الميت بفضائل أهل البيت والنبهاني في أربعينه .

(٢٢) إشارة الى قول رسول الله (ص) : لا تزول قدما عبد حتى يسأل
 عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن ماله فيما أنفقه
 وعن أين اكتسبه ، وعن محبتنا أهل البيت . أخرجه الطبراني عن ابن عباس
 مرفوعا ونقله السيوطي في احياء الميت والنبهاني في أربعينه .

(٢٣) إشارة الى قوله (ص) من حديث أخرجه الطبراني والحاكم « كما
 في احياء الميت واربعين النبّهاني وغيرهما » فلو أن رجلا صنف « أي صف
 قدميه » بين الركن والمقام فصلي وصام وهو مبغض لآل محمد دخل النار اهـ .
 وأخرج الحاكم وابن حبان في صحيحه « كما في احياء الميت واربعين النبّهاني
 وغيرهما » عن أبي سعيد قال : قال رسول الله (ص) : والذي نفسي بيده
 لا يبغضنا أهل البيت رجل الا دخل النار .

وأخرج الطبراني « كما في احياء الميت للسيوطي » عن الحسن السبط
 أنه قال لمعاوية ابن خديج : اياك وبغضنا فان رسول الله قال لا يبغضنا أحد
 ولا يحسدنا أحد الا ذيد يوم القيامة عن الحوض بسياط من النار اهـ .
 وأخرج الطبراني في الاوسط كما في احياء الميت واربعين النبّهاني عن جابر
 قال : خطبنا رسول الله فسمعته وهو يقول : أيها الناس من أبغضنا أهل البيت
 حشره الله يوم القيامة يهوديا اهـ .

أبهذا أمرته آية القربى وآية التطهير وآيتا أولي الامر والاعتصام بحبل الله ، أم بهذا أمره سبحانه حيث يقول « وكونوا مع الصادقين » أم به صدع رسول الله (ص) في نصوصه المجمع على صحتها ؟ وقد استقصيناها بطرقها واسانيدھا في كتابنا سبيل المؤمنين ، واستقصتها علماؤنا الاعلام في مؤلفاتهم فراجعها لتعلم حقيقة أهل البيت ومنزلتهم في دين الاسلام .

على أنهم الاذنب لهم يستوجب الجفاء ، ولا قصور بهم يقتضي هذا الاعراض ، فليت أهل المذاهب الاربعة تفلوا في مقام الاختلاف مذهب أهل البيت كما ينقلون أسائر المذاهب التي لا يعلمون بها ، ما رأيانهم يعاملون أهل البيت هذه المعاملة في عصر من الاعصار ، وانما يعاملونهم معاملة من الم يخلقه الله عز وجل ، أو من لم يؤثر عنه شيء من العلم والحكمة .

نعم ربما تعرضوا لشيعتهم فنبزوههم بالرفض ، وسلقوهم بالسنة الافتراء كما سمعت في الفصول السابقة — وقد ولى زمن الاعتداء وا قبل عصر الاخاء ، وآن لجميع المسلمين أن يدخلوا مدينة العلم النبوي من بابها ويلجوا من باب حطة ويلجأوا الى أمان أهل الارض بركوب سفينتهم ومقاربة شيعتهم ، فقد زال سوء التفاهم من بين ، وأسفر الصبح عن توثق الروابط بين الطائفتين ، والحمد لله رب العالمين .

المقصد الثاني

في الامور التي ينفر منها أهل السنة ولا يأتلفون بها مع الشيعة ، وهي أمور مكذوبة بهتنا بها المبطلون ، وقد سمعت في الفصول السابقة جملة منها ، ووقفت على ما يشفي صدرك من الاجوبة عنها ، ولم يبق سوى مسألة الصحابة رضي الله عنهم فأنها المسألة الوحيدة والمعضلة الشديدة ، وذلك أن بعض الغلاة من الفرق التي يطلق عليها لفظ الشيعة ، كالكاملية يتعاملون على

الصحابة كافة رضي الله عنهم وينالون من جميع السلف ، فيظن الجاهل أن ذلك رأي مطلق الشيعة ، ويتوهم أنه مذهب الجميع ، فيرمي الصالح بحجر الطالح ، ويأخذ البريء بذنب المسيء ، كما هو الشأن فيمن يختلط عليه الحابل بالنابل ، ولو عرف رأي الامامية في هذه المسألة ووقف على كلامهم فيها لعلم أنه أوسط الآراء ، إذ لم يفرطوا تفریط الغلاة ولا أفرطوا أفرط الجمهور .

وكيف يجوز عليهم ما يقوله الجاهلون أو يمكن في حقهم ما يتوهمه الغافلون ، بعد اقتنائهم في التشيع بكبراء الصحابة كما يعلمه الخير (بالاستيعاب والاصابة وأسد الغابة) واليك اكمالا للفائدة واتماما للغرض بعض ما يحضرني من أسماء الشيعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتعلم أنا بهم اقتدينا وبهديهم اهتدينا ، وسأفرد لهم ان وفق الله كتابا يوضح للناس تشيعهم ويحتوي على تفاصيل شؤونهم ، ولعل بعض أهل النشاط من حملة العلم وسدنة الحقيقة يسبقني الى تأليف ذلك الكتاب فيكون لي الشرف ، إذ خدمته بذكر أسماء بعضهم في هذا الباب ، وها هي على ترتيب حروف الهجاء .

أ

أبو رافع القبطي مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واسمه أسلم أو ابراهيم وقيل هرمز وقيل ثابت وقيل غير ذلك ، وله أولاد وأحفاد كلهم خصيصون بأهل البيت ومنقطعون اليهم ، أما اولاده فرافع والحسن والمغيرة وعبيد الله (الذي أفرد كتابا فيمن حضر صفين مع علي من الصحابة ، وقد نقل عنه صاحب الاصابة وغيره) وعلي الذي ألف كتابا في فنون الفقه

على مذهب أهل البيت ، وهو أول كتاب فقهى عمل في الاسلام بعد صحيفة علي (ع) . وأما أحفاد أبي رافع فالحسن وصالح وعبيد الله أولاد علي بن أبي رافع ، والفضل بن عبيد الله بن أبي رافع ولهم ذرية كلها صالحة ، ولترجع الى ما كنا فيه فنقول : وأبو المنذر أبي بن كعب سيد القراء (٢٤) . وأبان بن سعيد بن العاص الاموي . وأنس بن الحرث أو ابن الحرث بن نبيه الذي سمع — كما في ترجمته من الاصابة — رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ان أبني هذا يعني الحسين (ع) يقتل بأرض يقال لها كربلاء فمن شهد ذلك منكم فليصره . قال : فخرج أنس بن حرث الى كربلاء فقتل بها مع الحسين عليه السلام اه . وفي ترجمته من الاستيعاب مثله . وأسيد بن ثعلبة الانصاري البدرى . وأسلم بن الحرث بن عبد المطلب الهاشمي وهو أخو نوفل . وأسلم ابن بجرة الساعدي . والاسود بن عيسى بن أسماء التميمي . وأعين بن ضبيعة ابن ناجية الدارمي التميمي . وأنس بن مدرك الخثعمي الاكلمي . وامرؤ القيس بن عابس الكندي . واويس بن عامر القرني وهو من أفضل التابعين بشر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأسلم على عهده ولم يره صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد ذكره ابن حجر في القسم الثالث من اصابته .

وأبو ليلى الغفاري لم أقف له على أسم وهو الذي أخرج عنه ابو أحمد وابن منده وغيرهما — كما في ترجمته من الاصابة — أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ستكون من بعدي فتنة ، فاذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب ، فانه أول من آمن بي واول من يضافحني يوم القيامة ، وهو الصديق الاكبر وهو فاروق هذه الامة وهو يعسوب » (٢٤) ذكره ابن الشحنة في تاريخه فيمن تخلف عن بيعة السقيفة مع علي عليه السلام .

للامام شرف الدين ١٨١

المؤمنين » الحديث ، ورواه عنه ابن عبد البر في ترجمته من الاستيعاب أيضا .
وأبو فضالة الانصاري لم أقف أيضا له على اسم ، روى صاحب الاستيعاب
والإصابة في ترجمته عن ابنه فضالة أنه سمع عليا يقول : أن رسول الله (ص)
أخبرني أنني لا أموت حتى أوامر ثم تخضب هذه من هذه (يعني كريمته من
هامته) قال فضالة : فصحه أبي فقتل فيمن قتل في صفين ، وكان بدريا رحمه
الله . وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن عم رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم وأخوه من الرضاعة أرضعتها حليلة السعدية .

ب

وبريد الأسلمي أحد الذين رثاهم أمير المؤمنين عليه السلام بقوله :
جزى الله خيرا عصابة أسلمية صباح الوجوه صرعوا حول هاشم
بريد وعبد الله منهم ومنقذ وعروة وابنا مالك في الأكرام
وبريدة بن الحبيب الأسلمي . وبلال بن رباح الحبشي . والبراء
ابن عازب (٢٥) بن الحارث الانصاري . والبراء بن مالك وهو أخو أنس
ابن مالك الانصاري . وبشير وهو أخو وداعة بن أبي زيد الانصاري وقد
شهد هو وأخوه صفين وكانا من خيار المستبصرين واستشهد أبوهما في أحد

ت

وتمام بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي عليهم الرحمة .

ث

وثابت بن عبيد الانصاري . وثابت بن قيس بن الخطيم الظفري . وثعلبة
ابن قيطي بن صخر الانصاري .

(٢٥) ذكره ابن الشحنة في تاريخه فيمن تخلف مع علي عن بيعة السقيفة .

ج

وجندب بن جنادة وهو أبو ذر الغفاري • وجارية بن قدامة السعدي •
 وجارية بن زيد • وجابر بن عبدالله الانصاري • وجيلة بن عمرو بن اوس
 الساعدي • وجبير بن الحباب الانصاري • وجعدة بن هبيرة المخزومي وأمه
 أم هاني شقيقة أمير المؤمنين (ع) • وجعفر بن أبي سفيان بن الحارث
 ابن عبد المطلب الهاشمي • وجهجاه بن سعيد الغفاري • وجراد بن مالك
 ابن نويرة التميمي المقتول يوم البطاح مع أبيه وقد رثاه عمه مسم • وجراد
 ابن طهية الوحيددي وهو والد شبيب بن جراد الشهيد يوم الطف مع سيد
 الشهداء عليه السلام •

ح

وحجر بن عدي الكندي • وحذيفة بن اليمان العبسي • والحارث بن
 العباس بن عبد المطلب الهاشمي • وأبو الورد بن القيس واسمه (فيما ذكره
 أبو عمر) حرب المازني • والحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب •
 وأبو قتادة الحارث بن ربعي بن بلدهة الانصاري • والحارث بن زهير
 الازدي • والحارث بن حاطب بن عمرو الانصاري • والحارث بن عمرو
 ابن حرام الخزرجي • والحارث بن النعمان بن أمية الاوسي • وحازم بن
 ابي حازم الاحمسي • والحجاج ابن عمرو بن غزية الانصاري • وحسان
 ابن خوط بن مسعر الشيباني وهو من بيت كلهم صفوة شهد الجمل مع علي
 عليه السلام ومعه ابناه الحارث وبشر ، واخوه بشر بن خوط ، وحفيده
 عنبس بن الحارث بن حسان المذكور ، وابن اخيه وهيب بن عمرو بن خوط
 وابن اخيه الآخر الاسود بن بشر بن خوط ، وابنا ابن اخيه وهما الحسين

وحذيفة ابنا مخدوج بن بشر بن خوط ، وكان اللواء مع الحسين بن مخدوج
ابن بشر بن خوط ، فاستشهد فأخذه اخوه حذيفة فاستشهد فأخذه عمهما
الاسود فاستشهد فأخذه عنبس بن الحارث بن حسان المذكور ،
فاستشهد فأخذه وهيب بن عمرو بن خوط ، فاستشهد بخ بخ ، ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، ياليتنا كنا معهم فنفوز فوزا عظيما .
وحنظلة بن النعمان بن عامر الانصاري . وحكيم بن جبلة العبدي
صاحب المنام المشكور يوم الجمل الاصغر ، وقد استشهد يومئذ ، وأستشهد
معه ابنه الاشرف واخوه الرعل بن جبلة في سبعين رجلا من عشيرته ، وكانت
تلك الواقعة لخمس ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٣٦ قبل مجيء
أمير المؤمنين الى البصرة ثم جاء عليه السلام فكان يوم الجمل الاكبر .
وحبيب بن مظاهر بن رئاب بن الاشتر بن حجون بن فقعه الشهيد بين
يدي الحسين عليه السلام ، وهو تابعي أدرك أيام النبي صلى الله عليه وآله
وسلم ولم يره ، وقد ذكره ابن حجر في القسم الثالث من اصابته . والحكم
ابن المغفل عوف الغامدي الشهيد يوم النهروان .

خ

وخالد بن سعيد بن العاص (٢٦) الاموي . وأبو أيوب خالد بن زيد
الانصاري . وخالد بن ربيعة الجدلي . وخالد بن الوليد الانصاري . وخالد
ابن المعمر السدوسي . وخويلد بن عمرو الانصاري . وخباب بن الارت
التميمي ويقال الخزاعي . وذو الشهادتين خزيمة بن ثابت الانصاري . وخرشة
ابن مالك الاودي . وخليفة بن عدي البياضي .

(٢٦) ذكره ابن الشحنة في تاريخه فيمن تخلف يوم السقيفة مع علي (ع) .

د

وأبو ليلى داود بن بلال والد عبد الرحمن الانصاري • وقد اختلف
العلماء في اسمه •

ر

وربيعة بن قيس العدواني • ورفاعة بن رافع بن مالك الانصاري •
ورافع بن أبي رافع القبطي •

ز

وزيد بن أرقم الخزرجي • وزيد بن صوحان العبدي • وزيد بن أسلم
البلوي • وزيد بن جارية أو ابن حارثة الانصاري • وزيد أو يزيد بن
شراحيل الانصاري • وزيد بن حبيش الاسدي • وزيد بن مطرف الذي
أخرج عنه مطين والبارودي وابن جرير وابن شاهين كما في ترجمته من
الاصابة أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من
أحب أن يحيى حياته ويسوت ميتتي ويدخل الجنة فليتول عليا وذريته من
بعده ه • وأبو زينب زهير بن الحارث بن عوف • وزيد بن وهب الجهني
الحسلي •

س

وأبو عبد الله سلمان الخير الفارسي • وسلمان بن ثمامة الجعفي •
وسليمان بن صرد الخزاعي المتفاني في الأخذ بشار سيد الشهداء والشهيد
في سبيل ذلك • وسليمان بن هاشم المرقال الزهري • وسهل بن حنيف
الانصاري • وسهيل بن عمرو الانصاري • وسلمة بن أبي سلمة ربيب النبي
صلى الله عليه وآله وسلم • وسويد بن غفلة الجعفي • وسماك بن خرشة

والظاهر أنه غير أبي دجانة الانصاري • وسنان بن شفعلة الاوسي الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : حدثني جبرائيل أن الله عز وجل لما زوج فاطمة عليها أمر رضوان فأمر شجرة طوبى فحملت رقاقا بعدد محبي آل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم ا ه • أخرجه عنه أبو موسى كما في ترجمة سنان من الاصابة • وسعنة بن عريض التيمناوي الذي دار بينه وبين معاوية كلام في المدينة فيه ذكر علي (ع) فغض ابن عريض من معاوية ، فقال معاوية : ما أراه الا قد خرف فأقيموه ، فقال (كما في ترجمته من الاصابة) ما خرفت ولكن أنشدك الله يا معاوية أما تذكر لما كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاء علي فاستقبله النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : قاتل الله من يقاتلك وعادى من يعاديك ؟ قال : فقطع معاوية حديثه وأخذ في حديث آخر ا ه • وسعيد بن الحارث ابن عبد المطلب • وسعيد بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب • وسعيد بن نمران الهمداني • وسعيد بن وهب الخوياني • وسعيد بن سعد بن عبادة الانصاري ، وأما أبوه سعد فقد ذكره صاحب الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة وفيه نظر • وسعد بن الحارث بن الصمة الانصاري • وسعد بن مسعود الثقفي وهو عم المختار • وسعد بن عمرو الانصاري • وسفيان بن هاني بن بن جبير الجيشاني •

ش

وشراحيل بن مرة الهمداني الذي روى عنه كما في ترجمته من الاصابة ابن السكن وابن شاهين وابن قانع والطبراني أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي : ابشر يا علي حياتك وموتك معي •

وشريح بن هاني بن يزيد الحارثي وهو غير القاضي • وشيبان بن محرث •

ص

وصعصة • وصيخان ابنا صوحان • وصالح الانصاري السلمي • وصبيح
مولى أم سلمة • وصيفي بن ربعي الاوسي •

ض

والضحاك وهو الاحنف بن قيس التميمي الذي يضرب المثل بحلمه
وأدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يجتمع به ، ودعا له رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم •

ط

وطاهر بن ابي هالة التميمي • وطريف بن أبان الانماري •

ظ

وأبو الاسود ظالم بن عمرو الدؤلي ، ذكره ابن حجر في القسم الثالث
من أصابته ، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام •

ع

وأبو اليقظان عمار بن ياسر • وعمار بن أبي سلمة الدالاني المستشهد
كما في ترجمته من الاصابة بين يدي الحسين عليه السلام يوم الطف •
والعباس بن عبد المطلب • وعقيل بن أبي طالب • وعمارة بن حمزة بن
عبد المطلب • وعون بن جعفر بن أبي طالب • وعتبة ابن أبي لهب •
وعبد الله بن العباس • وعبد الله بن جعفر • وعبد الله بن حنين بن أسد بن
هاشم • وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب • وعبد الله بن ربيعة بن الحرث بن
عبد المطلب • وعبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب • وعبد الله

ابن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب • وعبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث
 ابن عبد المطلب • وعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب • وعبيد الله بن نوفل بن
 الحرث بن عبد المطلب • وعبد الله بن يقطر ، وفي الاصابة ابن يقظة وهو رضيع
 الحسين عليه السلام ، وقد استشهد في سبيل نصرته • وعبد الله بن ذباب
 المذحجي • وعبد الله بن سلمة الكندي • وعبد الله بن الطفيل العامري • وعبد الله
 ابن بديل الخزاعي • وعبد الله بن مسعود الهذلي • وعبد الله بن خباب بن الارث
 التميمي • وعبد الله بن عبد المدان الحارثي • وعبد الله بن كعب الحارثي •
 وعبد الله بن حوالة الازدي المذكور في الجزء الاول من أمل الآمل • وعبد الله
 ابن سهل بن حنيف • وعبد الله بن ورقاء الساولي • وعبيد الله بن سهيل
 الانصاري النبتي • وعبد الله بن ابي رافع • وعبيد بن التيهان ، ويسمى
 عتيكا الانصاري • وعبيد بن عازب • وعبيدة بن عمرو السلماني • وعارة
 ابن شهاب الثوري • وعمرو بن أبي سلمة ، ربيب النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم • وعمرو بن الحقيق الخزاعي • وعمرو بن أنس الانصاري • وعمرو
 ابن شراحيل • وعمرو بن عيسى بن مسعود • وعمرو بن فروة بن عوف
 الانصاري • وعمرو بن محسن وعمرو بن هبيرة المخزومي • وعمرو بن سلمة
 المرادي ، ذكر ابن حجر في ترجمته من الاصابة أنه قتل مع حجر ، وفيه نظر
 لا يخفى على أهل العلم • وعمرو بن عريب الهمداني • وعمرو بن مرة الهندي •
 وعبد الرحمن بن عباس بن عبد المطلب • وعبد الرحمن بن بديل الخزاعي •
 وعبد الرحمن بن ابي الخزاعي • وعبد الرحمن بن حسل الجمحي • وعبد الرحمن
 ابن خراش الانصاري • وعبد الرحمن بن السائب المخزومي • وعبد الرحمن
 ابن عبد رب الانصاري ، ذكره ابن عقدة في كتاب الموالاتة فيمن سمع النص

يوم الغدير ، وشهد به في الرحبة لأمير المؤمنين ، كما في الاصابة وغيرها .
وعدي بن حاتم الطائي . وعثمان بن حنيف الانصاري . وعروة بن نمران
ابن الفضفاض بن عمرو بن قعاس بن عبد يغوث المرادي ثم العطيبي ، وهو
أبو هاني بن عروة الشهيد في سبيل سيد الشهداء دفاعا عن مسلم بن عقيل ،
وعروة بن زيد الخيل . وعروة بن شفاف بن شريح بن سعد بن حارثة بن لام
الطائي الذي شهد قتال الخوارج مع أمير المؤمنين فقال له : لا يفلت منهم
عشرة ولا يقتلون منا عشرة ، فكان الامر كذلك ، وكان عروة هذا فيمن قتل
يومئذ رحمه الله تعالى . وعروة بن مالك السلمي أحد الذين رثاهم أمير المؤمنين
عليه السلام بقوله :

بريد وعبد الله منهم ومالك وعروة ابنا مالك في الاكارم
وعطية الذي ذكره الاسماعيلي في الصحابة . وعتبة بن الدغل الثعلبي .
وعلباء بن الهيثم بن جرير . وعوف وهو مسطح بن اثالة المطليبي . وعنترة
السلمي الذكواني . والعلاء بن عمرو الانصاري . وعقبة بن عمرو بن ثعلبة
الانصاري . وابو الطفيل عامر بن وائلة الكناني . وعباد بن الصامت بن
قيس الانصاري . وعلي بن أبي رافع القبطي .

ف

والفضل بن العباس بن عبد المطلب . وفروة بن عمرو بن ودقة الانصاري
والفاكه بن سعد بن جبير الانصاري .

ق

وقيس بن سعد بن عبادة الانصاري . وقيس بن المكشوح البجلي .
وقيس بن خرشة القيسي . وقيس بن أبي قيس . وقثم بن العباس بن

عبد المطلب • وقرضة بن كعب الانصاري •

ك

وكعب بن عمرو بن عباد الانصاري المعروف بأبي اليسر •

م

والمقداد بن عمرو الكندي • والمغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب •
ومالك ومتمم ابنا نوية • ومالك بن التيهان • ومهاجر بن خالد بن الوليد
المخزومي ، رضع حب الوصي من لبن أمه وكانت من الشيعة ، وهي بنت
أنس بن مدرك بن كعب الذي ذكرناه سابقا في حرف الالف • ومخنف بن
سليم وهو جد أبي مخنف الغامدي • ومحمد بن أبي بكر بن أبي قحافة التيمي
والمسور بن شداد بن عمير القرشي • ومرداس بن مالك الاسلمي • والمسيب
ابن نجية بن ربيعة الفزاري الشهيد في طلب ثار سيد الشهداء مع سليمان
ابن صرد الخزاعي •

ن

ونعيم بن مسعود بن عامر الاشجعي • ونضلة بن عبيد الاسلمي •

هـ

وهاشم المرقال بن عتبة بن ابي وقاص الزهري • وهالة بن أبي هالة •
وابنه هند التميميان • وهاني بن عروة بن الفضاض بن نمران بن عمرو بن
حفص بن عبد يغوث المرادي ، الشهيد في سبيل الدفاع عن مسلم بن عقيل ،
ذكره في القسم الثالث من الاصابة • وهاني بن نيار حليف الانصار •

و

والوليد بن جابر بن ظالم الطائي • ووداعة بن أبي زيد الانصاري •

وابو جحيفة وهب بن عبدالله السوائي •

ي

ويعلى بن حمزة بن عبد المطلب الهاشمي • ويعلى بن عمير النهدي •
 ويزيد بن طعمة الانصاري • ويزيد بن نويرة الانصاري • ويزيد بن حوثة
 الانصاري وآخرون يعرفهم المتتبعون •

على أنا تنولى من الصحابة كل من سبق في عدم تشيعه بشبهة اضطرته
 الى الحياد أو الى مسايرة أهل السلطة بقصد الاحتياط على الدين ، وهم
 كثيرون جدا فكيف ترمى الشيعة بعد هذا ببغض الصحابة كافة (سبحانه)
 هذا بهتان عظيم) • ✕

نعم هناك جماعة نافقوا في صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 وظهر نفاقهم بما أحدثوه بعده من الحوادث العظيمة ، وبما نصبوه لعلي ولسائر
 أهل البيت من العداوة والبغضاء ، حتى كان ما كان « ومن أهل المدينة مردوا
 على الفلق لا تعلمهم نحن نعلمهم » وقد تواترت الاخبار عن أئمتنا الأبرار
 بردتهم ، وحسبك في إثبات ذلك ما أخرجه البخاري في باب الحوض وهو في
 آخر كتاب الرقاق من الجزء الرابع من صحيحه عن أبي هريرة قال : قال
 رسول الله (ص) بينا أنا قائم (يعني يوم القيامة على الحوض) فإذا زمرة
 حتى إذا عرفتهم ، خرج رجل من بيني وبينهم فقال : هلم • فقلت : أين ؟ قال :
 الى النار والله • قلت : وما شأنهم ؟ قال : انهم ارتدوا بعدك على أدبارهم
 القهقري ، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال :
 هلم • قلت : الى أين ؟ قال : الى النار والله • قلت : ما شأنهم ؟ قال : انهم ارتدوا
 بعدك على أدبارهم القهقري ، فلا أراه يخلص منهم الا مثل همل النعم اه •

وأخرج البخاري في باب الحوض عن أبي هريرة أيضا أنه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيحلاؤن عن الحوض فأقول : يارب اصحابي • فيقول : أنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك ، أنهم ارتدوا على أعقابهم القهقري اه •

وأخرج في الباب المذكور أيضا عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ليردن علي ناس من أصحابي الحوض حتى عرفتهم اختلجوا دوني فأقول : اصحابي • فيقول : لاتدري ما أحدثوا بعدك اه •

وأخرج في الباب المذكور أيضا عن سهل بن سعد قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أني فرطكم على الحوض من مر علي شرب ومن شرب لم يظأ أبدا ، وليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم • قال البخاري : قال ابو حازم : فسمعت النعمان بن أبي عياش فقال : هكذا سمعت من سهل ؟ فقلت : نعم • فقال : أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها : فأقول انهم مني • فيقال : أنك لاتدري ما أحدثوا بعدك • فأقول : سحقا سحقا لمن غير بعدي اه •

وأخرج في آخر الباب المذكور عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما قالت : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم ، وسيؤخذ ناس دوني فأقول : يارب مني ومن أمتي • فيقال : هل شعرت ما عملوا بعدك ، والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم • قال البخاري : فكان ابن أبي مليكة يقول : اللهم انا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا ونقتن عن ديننا اه •

وأخرج أيضا في باب غزوة الحديبية من الجزء الثالث من صحيحه عن

العلاء بن المسيب عن أبيه قال : لقيت البراء بن عازب رضي الله عنهما فقلت : طوبى لك صبحت النبي وبايعته تحت الشجرة • فقال : يا بن أخي انك لا تدري ما أحدثنا بعده اه •

وأخرج أيضا في أول باب قوله تعالى : « واتخذ الله إبراهيم خيلا » من كتاب بدء الخلق من الجزء الثاني من صحيحه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : انكم تحشرون حفاة عراة غرلا (٢٧) ثم قرأ « كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا أنا كنا فاعلين » وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم ، وإن ناسا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : أصحابي أصحابي • فيقال : انهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم • فأقول كما قال العبد الصالح : « وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم » الى قوله « الحكيم » •

ومن وقف على ما أخرجه الامام احمد من حديث ابي الطفيل في آخر الجزء الخامس من مسنده يعلم أن فيهم قوما دحرجوا الدباب ليلة العقبة لينفروا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ناقته « وهموا بما لم ينالوا وما تقموا الا أن اغناهم الله ورسوله من فضله » ومن تلا سورة التوبة يعلم بأنهم ابتغوا الفتنة من قبل ، وقلبوا الامور لرسول الله (ص) حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون « ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون • لويجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمعون • ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل خير لكم لئن يؤمن الله ويؤمن المؤمنون ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم • يحلفون بالله لكم ليرضوكم ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا

مؤمنين ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم » • « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن » • « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون • فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون » • « الذين يلزمون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم • استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » • « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون • ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهد أنفسهم وهم كافرون • واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين • رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون » • « سيحلفون بالله لكم اذا أقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجز وماوأهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون • يحلفون لكم لترضوا عنهم فان رضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » الى آخر السورة الدالة على فشو النفاق فيهم •

فما أدري كيف صار كل من كانت له صحبة ثقة عدلا بمجرد أن مات

(٢٧) قال في لسان العرب : وفي الحديث « يحشر الناس عراة حفاة

غزلا بهما » أي قلعا ، والغزل جمع الاغرل : وهو الذين لم يختن •

تمت التعليقة بقلم مؤلفها الاقل الاحقر عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي ، والحمد لله في البدء وفي الختام ، والصلاة والسلام على خير الانام محمد وآله الكرام •

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله
الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر
الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين » الذين شكروا نعمة الرسالة فلم ينقلبوا
ولم يحدثوا بعد الرسول (ص) حدثا ، ولم يغيروا ولم يبدلوا واستقاموا على
ما أمرهم الله تعالى به ورسوله « وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون •
أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم »
وهم في غنى عن مدحة المادحين وتقريظ الواصفين بما لهم من تأييد الدين
ونشر دعوة الحق المبين ، فمودتهم واجبة والدعاء لهم فريضة « ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقوا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا
إنك رؤوف رحيم » •

تمت والحمد لله بقلم مؤلفها اقل خدمة الدين الاسلامي واحقر سدنة
المذهب الامامي عبد الحسين ابن الشريف يوسف ابن الشريف جواد ابن
الشريف اسماعيل ابن الشريف محمد ابن الشريف محمد ابن الشريف
ابراهيم ويلقب بشرف الدين ابن الشريف زين العابدين ابن الشريف علي بن
علي بن الحسين المعروف بابن أبي الحسن الموسوي العاملي عامله الله
بألطافه الخفية •

وكان تأليفها في مدينة صور من جبل عامل سنة ١٣٢٧ وقد أضفنا اليها
في هذه الطبعة فصلين كاملين وهما الفصل ٧ والفصل ١١ لم يكونا في الطبعة
الاولى ، وزدنا في غرضون بقية الفصول مطالب جمة وفوائد مهمة ولا سيما
في فصل التأويلين وهو الفصل ٨ ، والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على
خيرته من عباده محمد وآله الميامين من رجاله وسلم تسليما كثيرا •

الكلمة الغراء

في

تفضيل الزهراء

(عليها السلام)

تأليف

الأبام عبد الحسين شرف الدين الموسوي
قدس الله سره

دار النعان في النجف
للطباعة والنشر

صاحبها حسن الشيخ ابراهيم الكتبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وسلم
تسليما كثيرا •

وبعد فهذه هي (الكلمة الغراء) في تفضيل فاطمة الزهراء عليها السلام ،
ألقيتها (١١) جوابا لمن سألني فقال :

هل للإمامية دليل يعتبره خصومهم في تفضيل فاطمة الزهراء على سائر
هذه الامة ، وما ذلك الدليل والحجة ؟ أرجو التفصيل •

قلت بسم الله الرحمن الرحيم

ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، وتلك السنة لا شبهة فيها لاحد
من المسلمين ، وناهيك بهما قولاً فصلاً لا يجعده جاحد ، وحكما عدلاً
لا يكابره معاند ، فهنا مطلبان :

المطلب الاول

في دلالة الكتاب ، وحسبك من محكماته البيّنات آية المباشرة وآية
التطهير وآية المودة في القربى وآيات الابرار أدلة قاطعة تظل أعناق الوري
لها خاضعة ، فهنا فصول أربعة :

(١) بسم الله وعلقت عليها تعليقة تكشف عن دقائق اغراضها ولطيف
اشاراتنا ، وجعلتها تحت الخط في أسفل صفحاتها فلا تفوتن الباحثين مطالعتها •
عبد الحسين شرف الدين الموسوي

الفصل الاول

في آية المباهلة ، وهي قوله عز من قائل في سورة آل عمران : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » •
أجمع أهل القبلة حتى الخوارج منهم ، على ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يدع للمباهلة من النساء سوى بضعة الزهراء ، ومن الابناء سوى سبطيه وريحاقيه من الدنيا ، ومن الانفس إلا أخاه الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى ، فهؤلاء أصحاب هذه الآية بحكم الضرورة التي لا يمكن جحودها لم يشاركهم فيها أحد من العالمين ، كما هو بديهي لكل من ألم بتاريخ المسلمين وبهم خاصة نزلت (٢) لا بسواهم •

فبأهل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهم خصومه من أهل نجران فبأهلهم — وأمهات المؤمنين رضي الله عنهم كن حينئذ في حجراته صلى الله عليه وآله وسلم ، فلم يدع واحدة منهم وهن برأى منه ومسمع ، ولم يدع صغية وهي شقيقة أبيه وبقية أهلية ، ولا ام هاني ذات الشأن والمكانة وهي

(٣) فيما علمه المسلمون واخرجه المحدثون عن اعلام الصحابة رضي الله عنهم ، وقد رواه الامام الواحدي في كتابه أسباب النزول بسنده عن جابر ابن عبد الله — وكان الشعبي يفسر الآية فيقول : أبناءنا الحسن والحسين ، ونساءنا فاطمة ، وأنفسنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم • كذا في صفحة ٧٥ من أسباب النزول للواحدي حيث ذكر فيه آية المباهلة • وأخرج الدارقطني كما في الآية التاسعة من الآيات التي أوردها ابن حجر في الباب ١١ من صواعقه أن عليا يوم الشورى احتج على أهلها فقال لهم : أنشدكم بالله هل فيكم أحد جعله الله نفس النبي وأبناءه ونساءه ونساءه غيري ؟ قالوا : اللهم لا • • • الحديث •

كريمة عمه الفارج لهه ذي الايادي التي هي من المسلمات طوق الهوادي ،
ولا دعا غيرها من عقائل الشرف والمجد وخفرت عمر العلي وشيبة الحمد ، ولا
واحدة من نساء الخلفاء الثلاثة وغيرهم من المهاجرين والانصار .

كما انه لم يدع مع سيدي شباب أهل الجنة أحدا من أبناء الهاشميين ،
على أنهم كانوا (اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منشورا) ولا دعا أحدا من أبناء
الصحابة على كثرتهم ووفور فضلهم .

وكذلك لم يدع من الانفس مع علي عمه وصنو ابيه العباس بن
عبد المطلب وهو شيخ الهاشميين واجود القرشيين واعظم الناس (٣) عند
رسول الله (ص) بل لم يدع أحدا من كافة عشيرته الاقربين ولا واحدا من
السابقين الاولين رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، وكانوا بمرأى من المباهلة
ومسمع ومنتدى من أهلها ومجمع ، فلم ينتدب واحدا منهم مع من اتدأ بهم
اليها ، بل لم ينتدب أحدا من سائر أهل الارض بالطول والعرض ، وانما
خرج (ص) كما نص عليه الرازي في تفسيره الكبير وعليه مرط من شعر
أسود وقد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها
وهو يقول : اذا أنا دعوت فأمنوا . فقال اسقف نجران : يا معشر النصارى
أنى لارى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا لازاله بها فلا تباهلوهم فتهلكوا
ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة (٤) .

(*) فيما أخرجه البغوي في ترجمة ابي سفيان بن الحارث عن ابيه كما
في ترجمة العباس من الاصابة .

(٤) وهذا الحديث ذكره المفسرون والمحدثون واهل السير والახبار
وكل من أرخ حوادث السنة العاشرة للهجرة وهي سنة المباهلة . قال الرازي
بعد ايراده في تفسيره الكبير : وأعلم ان هذه الرواية كالمثق على صحتها بين
أهل التفسير والحديث . قلت : بل هي كالضروريات لديهم فلا يجهلها منهم

بخ بخ ان من وقف على هذه الوهلة العظيمة والروعة الشديدة التي رهقت أعلام نجران • ومثلي دينها ودنياها (٥) بمجرد ان برز أصحاب الكساء لمباهلتهم يعلم ان لمحمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم جلالة ربانية تغشى الابصار ومهابة روحانية يخفض لها جناح الذل والصغار ، ألا ترى أولئك الابطال «وهم ستون فارسا من أسود الشرى وليوث الوغى» كيف ارتعدت فرائصهم قلقتا وانخلعت قلوبهم فرقا ، ونادى عظيمهم بما سمعت أحد • وقد تصدى سيدنا الشريف المقدس ابن طاوس لتفصيل المباهلة ومقدماتها وما كان قبلها في نجران من المؤامرات والمناظرات في جلساتهم المتعددة المنعقدة لذلك حين دعاهم سيد الانبياء والمرسلين الى الله تعالى وأرسل اليهم في ذلك رسله ، فليراجع كتاب الاقبال من أراد الوقوف على تفصيل تلك الاحوال ليرى أعلام النبوة وآيات الاسلام وبشائر النبئين بسيدهم محمد (ص) ويعترته الطيبين الطاهرين وبذريته المباركة من بضعتة سيدة نساء العالمين • وكنت أردت ان أخرج هذه القضية من كتاب الاقبال وانشرها كرسالة على حدة تعميما لفوائدها وتسهيلا لطالبيها ، ولعل بعض اهل الهمم العالية ممن حبسوا نفوسهم على نشر الحق يسبقني الى ذلك فأكون قد فزت بتنبيهه الى هذه المهمة أن شاء الله تعالى •

(٥) اذ وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليهم ثياب الحبرات جبابا واردية ، يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله (ص) ما رأينا وفدا مثلهم ، وكان فيهم أربعة عشر رجلا هم زعماء القوم ، وفي الاربعة عشر ثلاثة نفر اليهم يؤول الامر في نجران ، وهم « السيد » واسمه الايهم وهو امامهم وصاحب رحلهم ، و « العاقب » وهو أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رأيه واسمه عبد المسيح ، و « أبو حارثة ابن علقمة » وهو استقفيهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدارسهم وكنائسهم ، وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم ، وكانت ملوك الروم قد شرفوه ومولوه وبنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده • تقل ذلك كله الإمام الواحد في كتابه أسباب النزول وغير واحد من المفسرين واهل الاخبار

هلوعا جزوعا • وهذا ليس الا للجلالة الربانية والعظمة الروحانية التي أدركها خصصهم من أول نظرة الى وجوههم المباركة ، فكأن الجلالة والعظمة والمهابة والابهة وقرب المنزلة من الله والكرامة عليه مكتوبة بنوره تعالى ، في أسارير جبهاتهم الميسونة ومعنونة في صفحات وجناتهم الكريمة ، واني لا عجب والله من المسلم لا يقدر هذا المقام قدره •

وأنت تعلم ان مباہلته صلى الله عليه وآله وسلم بهم والتماسه منهم التأمين على دعائه بمجرد فضل عظيم ، وانتخابه اياهم لهذه المهمة العظيمة واختصاصهم بهذا الشأن الكبير وايشارهم فيه على من سواهم من أهل السوابق فضل على فضل لم يسبقهم اليه سابق ، ولن يلحقهم فيه لاحق • ونزول القرآن العزيز أمرا بالمباهلة بهم بالخصوص فضل ثالث ، يزيد فضل المباہلة ظهورا ويضيف الى شرف اختصاصهم بها شرفا والى نوره نورا •

وهناك نكتة يعرف كنهها علماء البلاغة ويقدرها الراسخون في العلم العارفون بأسرار القرآن ، وهي ان الآية الكريمة ظاهرة في عموم الانبياء والنساء والانفس كما يشهد به علماء البيان ، ولا يجهله أحد ممن عرف ان الجمع المضاف حقيقة في الاستغراق ، وانما اطلقت هذه العمومات عليهم بالخصوص تبيانا لكونهم مثالي الاسلام واعلانا لكونهم أكمل الانام واذا نأبكونهم صفوة العالم وبرهاننا على انهم خيرة الخيرة من بني آدم ، وتنبيهنا الى ان فيهم من الروحانية الاسلامية والاخلاص لله في العبودية ، مالميس في جميع البرية ، وان دعوتهم الى المباہلة بحكم دعوة الجميع ، وحضورهم خاصة فيها منزل منزلة حضور الامة عامة وتأمينهم على دعائه مغن عن تأمين من عداهم ، وبهذا جاز التجوز باطلاق تلك العمومات عليهم بالخصوص • ومن

غاص على أسرار الكتاب الحكيم وتديره ووقف على أغراضه يعلم أن إطلاق هذه العمومات عليهم بالخصوص إنما هو على حد قول القائل :

ليس على الله بسستكر أن يجمع العالم في واحد

ولذا قال الزمخشري في تفسير الآية من كشافه : وفيه دليل لا شيء

أقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام هـ .

بقيت نكتة يجب التنبيه لها ، وحاصلها : أن اختصاص الزهراء من النساء والمرتضى من الانفس - مع عدم الاكتفاء بأحد السبطين من الابناء - دليل على ما ذكرناه من تفضيلهم عليهم السلام ، لأن عليا وفاطمة لما لم يكن لهما نظير في الانفس والنساء كان وجودهما مغنيا عن وجود من سواهما ، بخلاف كل من السبطين ، فإن وجود احدهما لا يغني عن وجود الآخر لتكافئهما . ولذا دعاهما (ص) جميعا ، ولو دعا احدهما دون صنوه كان ترجيحاً بلا مرجح ، وهذا ينافي الحكمة والعدل . نعم لو كان ثمة من الابناء من يساويهما لدعاه معهما ، كما انه لو كان لعلي نظير من الانفس او لفاطمة من النساء لما حاباهما ، عملاً بقاعدة الحكمة والعدل والمساواة .

بقي مما دلت عليه الآية من خصائص علي عليه السلام فضل تفضل دونه الخصائص وتغنى في جنبه الفضائل والمناقب ، ألا وهو كونه نفس النبي (ص) وجارياً بنص الآية مجراه ، الفضل الذي تعنوا له الجباه بخوعاً وتطاً من لديه المفارق خشوعاً ويسلاً الصدور هيبة واجلالاً وتضاغر دونه الهمم يأسا من بلوغ مداه ، « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » . وأنت هداك الله اذا عرفت ان الله تبارك وتعالى قد أنزل نفس النبي واجراها في محكم الذكر مجراها ، لا ترتاب حينئذ في أنه أفضل الامة وأولاها

برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيا وميتا ، وقد صرح أولياء أهل البيت واعترف اعداؤهم بدلالة الآية على هذا التفضيل الخالد في القرآن ذكره والطيب في بينات الفرقان نشره ، حتى ان الرازي مع غرامه بنقض المحكمات وهيامه في التشكيك والشبهات ، لم يناقش في دلالتها على هذا المقدار من تفضله عليه السلام ، وانما ناقش المحمود بن الحسن حيث صرح بدلالاتها على تفضيله على من كان قبل محمد من الانبياء عليه وعليهم السلام .

واليك عبارة الرازي بعين لفظه قال : ^(٦) كان في الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي وكان معلم الاثني عشرية ، وكان يزعم ان عليا رضي الله عنه أفضل من جميع الانبياء سوى محمد صلى الله عليه وآله وسلم واستدل على ذلك بقوله تعالى : « وأنفسنا وأنفسكم » اذ ليس المراد بقوله « وأنفسنا » نفس محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لان الانسان لا يدعو نفسه بل المراد غيرها ، وأجمعوا على ان ذلك الغير كان علي بن أبي طالب (رض) فدللت الآية على ان نفس علي هي نفس محمد ^(٧) ولا يمكن ان يكون المراد ان هذه النفس هي عين تلك ، فالمراد ان هذه النفس مثل تلك النفس ، وذلك يقتضي المساواة في جميع الوجوه ، تركنا العمل بهذا العموم في حق النبوة ^(٦) في تفسير آية المباهلة فراجع صفحة ٨٨ من الجزء الثاني من تفسيره الكبير « مفاتيح الغيب » ، والرازي هذا هو الخطيب محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي .

^(٧) كما قيل في مديحه عليه السلام . وهو في آية التباهل نفس الـ مصطفى ليس غيره اياها ولعلك اذا ضمنت قوله « وأنفسنا » الى قوله تعالى « ما كالا لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه » وأمعنت النظر في الآيتين يتجلي لك من الاسرار ما كان خفيا .

وفي حق الفضل بقيام الدلائل على ان محمدا عليه الصلاة والسلام كان نبيا وما كان علي كذلك ، ولانعقاد الاجماع على ان محمدا عليه السلام كان أفضل من علي (رض) فبقي فيما وراءه معسولا به . ثم الاجماع دل على ان محمدا عليه السلام كان أفضل من سائر الانبياء عليهم السلام ، فيلزم ان يكون علي أفضل من سائر الانبياء .

فهذا وجه الاستدلال بظواهر هذه ، وأمعن النظر تجده قد أوضح دلالة الآية على ذلك غاية الايضاح ، ونادى (من حيث لا يقصد) حي على الفلاح لم يعارض الشيعة فيما نقله عن قديهم وحديثهم ولا ناقشهم فيه بكلمة واحدة ، فكأنه أذعن لقولهم واعترف بدلالة الآية على رأيهم ، وانما ناقش محمود بن الحسن كما لا يخفى على أن الاجماع الذي صال به الرازي على محمود لا يعرفه محمود ومن يرى رأيه فافهم .

الفصل الثاني

في آية التطهير وهي قوله جل وعلا في سورة الاحزاب : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » لا ريب في أن أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم في هذه الآية انما هم الخمسة « أصحاب الكساء » ، وكفأك هذا برهانا على انهم أفضل من أفلته الارض يومئذ ومن افلته السماء . ألا وهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وصنوه الجاري بنص الذكر مجرى نفسه ، وبضعته التي يغضب الله لغضبها ويرضى لرضائها ، ورهبائاته من الدنيا سبطاه الشهداء سيدا شباب أهل الجنة ، فهو لأهله

هم أصحاب هذه الآية البينة ^(٨) بحكم الادلة القاطعة والحجج الساطعة ،
لم يشاركهم فيها أحد من بني آدم ، ولا زاحمهم تحت كسائها واحد من هذا
العالم .

وقد أورد الامام جلال الدين السيوطي ^(٩) في تفسير هذه الآية من
كتابه « الدر المنثور » عشرين رواية من طرق مختلفة في أن المراد من أهل
البيت هنا انما هم الخمسة لا غير ، وذكر ابن جرير في تفسيره ^(١٠) خمس عشرة
رواية بأسانيد مختلفة في قصر الآية عليهم بالخصوص .

وحسبك في ذلك قول رسول الله ^(١١) (ص) : أنزلت هذه الآية في خمسة
في وفي علي والحسن والحسين وفاطمة ^(١٢) . وقد أجمعت كلمة أهل القبلة
من أهل المذاهب الاسلامية كلها على انه (ص) لما نزل الوحي بها عليه ، ضم
(٨) صرح بذلك أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد
وقتادة وغيرهم فيما ذكره الامام البغوي وابن الخازن وكثير من المفسرين
كما في المقصد الاول من الشرف المؤبد لآل محمد ومؤلفه يوسف بن اسماعيل
المعاصر النبهاني . ومن أراد تفصيل القول بنزول هذه الآية في الخمسة
بالخصوص فعليه برشفه الصادي للامام ابي بكر بن شهاب الدين العلوي
رضي الله عنه .

(٩) كما في المقصد الاول من الشرف المؤبد .

(١٠) كما في الشرف المؤبد أيضا .

(١١) فيما أخرجه ابن جرير والطبراني بأسانيدهم اليه (ص) وقد ذكره
ابن حجر في تفسير الآية من صواعقه والنبهاني في صفحة ٧ من الشرف المؤبد .
(١٢) وأخرج الامام أحمد بن حنبل كما في تفسير الآية من الصواعق
عن أبي سعيد الخدري انها نزلت في خمسة النبي وعلي وفاطمة والحسن
والحسين ، وأخرجه عن أبي سعيد أيضا الامام الواحدي عند بلوغه للآية من
كتابه (اسباب النزول) والامام الثعلبي في تفسيره الكبير وكثيرون من
المحدثين والمفسرين .

سبطينه واباهما وامهما اليه ثم غشاهم ونفسه بذلك الكساء ، تميزا لهم عن سائر الابناء والانفس والنساء ، فلما أنفردوا تحته عن كافة أسرته واحتجبوا به عن بقية امته بلغهم الآية وهم على تلك الحال حرصا على ان لا يطمع بشاركتهم فيها أحد من الصحابة والآل . فقال مخاطبا لهم وهم معه في معزل عن كافة الناس : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا » ، فأزاح (ص) بحجبهم في كسائه حينئذ حجب الريب وهتك سدف الشبهات ، فبرح الخفاء بحكمته البالغة وسطعت أشعة الظهور ببلاغه المبين . والحمد لله رب العالمين .

ومع ذلك لم يقتصر (ص) على هذا المقدار من توضيح اختصاص الآية بهم عليهم السلام ، حتى أخرج يده من تحت الكساء ، فألوى بها الى السماء فقال : اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، يكرر ذلك وام سلمة تسمع وترى اذ كان نزول الآية وقضية الكساء في بيتها ، فقالت : وأنا معكم يا رسول الله ، ورفعت الكساء لتدخل فجذبه (١٣) من

(١٣) أخرج الامام احمد بن حنبل في صفحة ٣٢٣ من الجزء السادس من مسنده عن أم سلمة قالت : ان رسول الله (ص) قال لفاطمة : أنتني وزوجك وابنيك ، فجاءت بهم فألقى عليهم كساء فدكيا ثم وضع يده عليهم ثم قال : اللهم ان هؤلاء آل محمد فأجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد انك حميد مجيد . قالت : فرفعت الكساء لا دخل معهم فجذبه من يدي وقال انك على خير اه .

وهذا الحديث رواه بالاسناد الى أم سلمة أيضا ابو اسحاق الثعلبي في تفسيره وغير واحد من المفسرين والمحدثين . وأخرج الامام احمد من حديث أم سلمة في صفحة ٢٩٢ من الجزء السادس من مسنده ان رسول الله (ص) كان في بيتها فأنته فاطمة ببرمة فيها حريرة فقال لها : أدعي زوجك وابنيك . قالت أم سلمة : فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون معه وهو على منامة له ، على

يدها وقال : انك على خير ، وفي ذلك كله صحاح متواترة من طريق العترة الطاهرة .

فيا أهل البصائر برسول الله (ص) العارفين بسلغه من الحكمة والعصمة المقدرين قدر أفعاله واقواله هل تجدون وجها لعصرهم تحت الكساء عند دكان تحته كساء خيبري . قالت : وانا اصلي في الحجرة ، فأنزل الله عز وجل « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » قالت : فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده فألوى بها الى السماء ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . قالت : فأدخلت رأسي البيت فقلت : وانا معكم يا رسول الله . قال : انك الى خير انك الى خير اه .

وهذا الحديث أخرجه الامام الواحدي في تفسير الآية من كتابه أسباب النزول ، فراجع منه صفحة ٢٦٧ ، وأخرجه ابن جرير في تفسير الآية من تفسيره الكبير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والطبراني وغيرهم . وأخرج الترمذي والحاكم وصحاحه وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في سننه من طرق عديدة عن أم سلمة قالت : في بيتي نزلت هذه الآية وفي البيت علي وفاطمة والحسن والحسين ، فجللهم رسول الله (ص) بكساء كان عليه ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اه .

وأخرج مسلم في باب فضائل علي من صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال : أمر معاوية بن أبي سفيان سعد فقال : ما منعك أن تسب أبا تراب ؟ فقال : أما ما ذكرت ثلاثا قالهن رسول الله (ص) فلن اسبه ، لان تكون لي واحدة منهن احب الي من حمر النعم . سمعت رسول الله (ص) يقول له وقد خلقه في بعض مغازيه فقال له علي : يا رسول الله خلقتني مع النساء والصبيان ؟ فقال له رسول الله (ص) : أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبوة بعدي . وسمعت يقول يوم خيبر : لا عطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، فتناولها لها فقال ادعوا لي عليا فأتي به أرمد فبصق في عينيه ودفع الراية اليه ففتح الله عليه . ولما نزلت هذه الآية « قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم » دعا رسول الله عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال : اللهم هؤلاء أهلي اه .

تبليغهم الآية عن الله تعالى الا المبالغة البليغة في توضيح ما قلناه من اختصاصها وامتيازهم بها عن العالمين ؟ وهل تفهمون من قوله « اللهم هؤلاء اهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » الا الحصر بهم والقصر عليهم ؟ وهل ترون وجها لجذب الكساء من يد أم سلمة ومنعها من الدخول معهم على جلالة قدرها وعظم شأنها الا الذي ذكرناه ؟ فأين تذهبون وانى تؤفكون » انه لقول رسول كريم • ذي قوة عند ذي العرش مكين • مطاع ثم امين • وما صاحبكم بمجنون •

فيكون بحجبه اياهم في كسائه عابثا ، أو يكون بقوله (ص) « اللهم هؤلاء اهل بيتي » هاذيا ، أو يكون بجذبه الكساء من يد أم سلمة مجازفا ؟! حاشا لله « ان هو الا وحي يوحى • علمه شديد القوى • »

وقد تكررت منه (ص) قضية الكساء حتى احتمل بعض العلماء تكرار نزول الآية أيضا ، والصواب عندنا نزولها مرة واحدة ، لكن حكمة الصادق الامين في نصحه ببلاغه المبين اقتضت تكرير تلك القضية مرة في بيت أم سلمة

وأخرج مسلم أيضا في باب فضائل أهل البيت من صحيحه وهو في صفحة ٣٣١ من جزئه الثاني عن عائشة قالت : خرج رسول الله غداة وعليه مرط مرحل من شعر اسود ، فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا - ا ه • وهذا الحديث أخرجه احمد من حديث عائشة في مسنده ، وأخرجه ابن

جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصاحب الجمع بين الصحيحين وصاحب الجمع بين الصحاح الستة ، ومن أراد المزيد فعليه برشفة الصادي للامام أبي بكر ابن شهاب الدين العلوي ، على ان في هذا المقدار كفاية لاولي الابصار •

عند نزول الآية (١٤) وتبلغها لاهلها المخاطبين فيها ، وأخرى في بيت فاطمة (١٥) وفي كل مرة يتلو عليهم الآية مخاطبا لهم بها ، وهم في معزل عن الناس تحت ذلك الكساء درءا للشبهة في نحور اهل الزينج .

وقد بلغ بأبي هو وأمي في توضيح اختصاص الآية بهم كل مبلغ ، وسلك في إعلان ذلك مسالك ينقطع معها شغب المشاغب ولا يبقى بعدها أثر لهذيان النواصب ، حتى كان بعد نزول الآية كلما خرج الى الفجر يمر ببيت فاطمة فيقول : الصلاة يا أهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت

(١٤) كما تدل عليه الاحاديث التي سمعتها عن أم سلمة .

(١٥) ويدل عليه ما أخرجه الامام احمد في صفحة ١٠٧ من الجزء الرابع من مسنده عن وائلة ابن الاسقع انه قال من جملة حديث : أتيت فاطمة أسألها عن علي قالت ذهب الى رسول الله (ص) ، فجلست انتظره حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه علي وحسن وحسين آخذا كل واحد منهما بيده ، فأدنى عليا وفاطمة فأجلسهما بين يديه وأجلس حسينا وحسنا كل واحد منهما على فخذه ، ثم لف عليهم ثوبه — أو قال كساءه — ثم تلا « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اهـ .

وقد أخرج هذا الحديث عن وائلة أيضا كل من ابن جرير في تفسيره الكبير وابن المنذر وابن أبي شيبة وابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي في سننه وصححه الحاكم ، وغيرهم من حملة الآثار وحفظة الاخبار .

قال النبهاني في صفحة ٧ من كتاب الشرف المؤبد ما هذا لفظه : وقد ثبت من طرق عديدة ان رسول الله (ص) جاء ومعه علي وفاطمة وحسن وحسين قد أخذ كل واحد منهما بيد حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسنا كل واحد على فخذه ، ثم لف عليهما كساء ثم تلا هذه الآية « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » .

قال النبهاني : قالت أم سلمة فرفعت الكساء لادخل معهم فجذبته من يدي فقلت : وأنا معكم يا رسول الله به . فقال : انك من أزواج النبي على خير .

للامام شرف الدين ٢٠٩

ويطهركم تطهيرا ، وقد استمر على هذا ستة اشهر في رواية انس (١٦) ، وعن ابن عباس سبعة أشهر ، وفي رواية ذكرها النبهاني (١٧) وغيره ثمانية اشهر ، فصرح الحق عن محضه وبدا الصبح لذي عينين . لكن حثالة من أعداء اهل البيت وصنائع بني أمية ودعاة الخوارج ذهبوا في صرف الآية عن أهلها كل مذهب ، فقال بعضهم انها خاصة بنساء النبي (ص) وتشبهوا في ذلك بسياق الآية ، وبالغ عكرمة ومقاتل بن سليمان في الاتصار لهذا الرأي والاستدلال بالسياق عليه ، وكان عكرمة ينادي به في الاسواق (١٨) تحاملا على أصحاب الكساء ، ولا عجب فان عكرمة من الدعاة الى عداوة علي والسعاة في تضليل الناس عنه بكل طريق .

فعن يحيى بن بكير قال : قدم عكرمة مصر وهو يريد المغرب . قال : فالخوارج الذين هم في المغرب عنه أخذوا (١٩) .

وعن خالد بن عمران قال : كنا في المغرب وعندنا عكرمة في وقت الموسم

(١٦) أخرج الامام احمد في صفحة ٢٥٩ من الجزء الثالث من مسنده عن انس ابن مالك ان النبي (ص) كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر اذا خرج الى الفجر فيقول الصلاة يا أهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا هـ . وأخرجه الحاكم وصححه والترمذي وحسنه وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والطبراني وغيرهم عن انس أيضا فراجع كتاب رشفة الصادي للامام أبي بكر بن شهاب الدين العلوي .

(١٧) في صفحة ٨ من الشرف المؤبد .

(١٨) فيما نقله عنه جماعة كثيرون منهم الواحد في كتابه أسباب النزول وابن حجر في صواعقه .

(١٩) نقل القاضي الجعابي حيث أتى على ذكر عكرمة في كتاب الموالي : أن عكرمة دخل في رأي الحرورية من الخوارج فخرج يدعو اليهم بالمغرب . وعن أبي علي الاهوازي كما في ترجمة عكرمة من معجم ياقوت : أن عكرمة كان يرى رأي الخوارج ويميل الى استماع الغناء . قال : وقيل انه كان

فقال : وددت ان بيدي حربة فأعترض بها من شهد الموسم يمينا وشمالا (لبنائه على كفر من عدا الخوارج من أهل القبلة) •

وعن يعقوب الحضرمي عن جده قال : وقف عكرمة على باب المسجد فقال : ما فيه الا كافر • قال : وكان يرى رأي الا باضية (وهم من غلاة الخوارج) • وعن ابن المديني : كان عكرمة يرى رأي نجدة الحروري (وكان نجدة من أشد الخوارج عداوة لامير المؤمنين) •

وعن مصعب الزبيري : كان عكرمة يرى رأي الخوارج • وعن عطاء كان عكرمة اباظيا • وعن احمد بن حنبل أن عكرمة : كان يرى رأي الصفرية (وهم من غلاة الخوارج أيضا) •

وحدث أيوب عن عكرمة أنه قال : انما أنزل الله متشابه القرآن ليضل به (فأنظر الى آرائه ما أخبثها) •

وعن ابن أبي شبيب قال : سألت محمد بن سيرين عن عكرمة ؟ فقال : ما يستوي ان يكون من أهل الجنة ولكنه كذاب • وعن وهيب قال : شملت يحيى ابن سعيد الانصاري وأيوب فذكرا عكرمة فقال يحيى : هو كذاب •

وعن ابن المسيب أنه كذب عكرمة • وعن عبد الله بن الحارث قال : دخلت على علي بن عبد الله بن العباس فاذا عكرمة في وثاق فقلت : ألا تتقي الله ؟ فقال : ان هذا الخبيث يكذب على أبي (٢٠) •

يكذب على مولاه •

(٢٠) هذا لفظ الذهبي في ميزان الاعتدال قلا عن عبد الله بن الحارث ، والذي نقله ياقوت الرومي في ترجمة عكرمة من معجمه عن عبد الله بن الحارث قال : دخلت على علي بن عبد الله بن عباس وعكرمة موثوق في باب الكنيف فقلت : أتفعلون هذا بمولاكم ؟ فقال : ان هذا يكذب على أبي • ونقل ياقوت في آخر ترجمة عكرمة من معجمه أيضا عن يزيد بن زناد قال : دخلت على علي

للامام شرف الدين ٢١١

وعن ابن المسيب انه قال لمولى له اسمه برد : لا تكذب عليّ كما كذب
عكرمة على ابن عباس . وعن ابن عمر انه قال ذلك أيضا لمولاه نافع .
وعن طاوس : لو ان عند عكرمة مولى ابن عباس تقوى من الله وكف من
حديثه لشدت اليه المطايا . وعن ابن ذؤيب : رأيت عكرمة وكان غير ثقة .
وعن يحيى بن سعيد قال : حدثوني والله عن أيوب انه ذكر له ان عكرمة
لا يحسن الصلاة ، فقال أيوب او كان يصلي . وعن محمد بن سعيد : كان
عكرمة كثير العلم وليس يحتاج بحديثه وتكلم الناس فيه .
وعن مطرق بن عبد الله : سمعت ان مالكا يكره ان يذكره ولا يرى
ان يروي عنه . وعن احمد بن حنبل : ما علمت ان مالكا حدث بشيء لعكرمة
الا في مسألة واحدة .

وعن سليمان بن معبد السنجي قال : مات عكرمة وكثير غزاة في يوم واحد ،
فشهد الناس جنازة كثير وتركوا جنازة عكرمة (٢١) وعن الفضل الشيباني عن
رجل قال : رأيت عكرمة قائما في لعب النرد . وعن يزيد بن هارون : قدم عكرمة
البصرة فأتاه أيوب ويونس وسليمان فسمع عكرمة صوت غناء فقال : اسكتوا
ثم قال : قاتله الله لقد أجاد ، فأما يونس وسليمان فما عادا اليه . . . الى آخر
ما هو مأثور عن هذا الرجل مما يدل على سقوطه ، فراجع ترجمته في ميزان
الاعتدال للذهبي فان فيها جميع ما قلناه الآن عنه .

ابن عبد الله بن مسعود وعكرمة مقيد على باب الحش قلت : ما لهذا كذا ؟
قال : انه يكذب على ابي ا ه . فهو بمقتضى هاتين الروايتين تارة يكذب على
ابن عباس فينكر عليه ابنه ويعزره ، وتارة يكذب على ابن مسعود فينكر عليه
ولده ويعزره .

(٢١) وعن الرياشي عن الاصمعي عن نافع المدني نحوه ، وعن ابن سلام
كما في معجم ياقوت : ان أكثر الناس كانوا في جنازة كثير .

على أن كل من ترجمه كالعسقلاني في مقدمة فتح الباري وابن خلكان في وفياته وياقوت الرومي في أرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الموسوم بمعجم الأدباء وغيرهم طعنوا فيه بنحو ما سمعت ، ولما ذكر الشهرستاني في كتاب الملل والنحل رجال الخوارج كان عكرمة أول رجل عدده منهم •

وأما مقاتل فقد كان عدواً للأمير المؤمنين أيضاً ، وكان دأبه صرف الفضائل عنه حتى افتضح بذلك • قال إبراهيم الحربي كما في ترجمة مقاتل من وفيات ابن خلكان : قعد مقاتل بن سليمان فقال (اطفاء لنور أمير المؤمنين) سلوني عما دون العرش • فقال له رجل : أخبرني من خلق رأس آدم حين حج ؟ فبهت • وقال الجوزجاني كما في ترجمة مقاتل من ميزان الذهبى : كان مقاتل كذاباً جسوراً ، سمعت أبا اليمان يقول قدم هاهنا فأسند ظهره إلى القبلة وقال : سلوني عما دون العرش •
x x

قال : وحدث أنه قال بثلمها بمكة ، فقام إليه رجل فقال : أخبرني عن النملة أين أمعاؤها ؟ فسكت • وتقل ابن خلكان هذه الحكاية في ترجمة مقاتل من وفياته من طريق سفيان بن عيينة ، وكان مقاتل مع ذلك كله من رجال المرجئة وغلاة المشبهة بنصر جماعة منهم ابن حزم في صفحة ٢٠٥ من الجزء الرابع من كتابه «الفصل» ، وعده الشهرستاني في كتاب الملل والنحل من رجال المرجئة ، وقال الإمام أبو حنيفة كما في ترجمة مقاتل من ميزان الاعتدال : أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال : إنه تعالى ليس بشيء ، وأفرط مقاتل في معنى الإثبات حتى جعله مثل خلقه •

قال أبو حاتم بن حيان البستي كما في ترجمة مقاتل من وفيات ابن خلكان : كان مقاتل يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم ، وكان

مشبهها يشبه الرب بالمخلوقين • قال : وكان يكذب مع ذلك في الحديث • • • الى آخر ما قاله أئمة الجرح والتعديل فيه ، ولهم فيه وفي عكرمة كلام أوضح من ذلك في الجرح واصرح منه في التضييل والقدح ، لكن المقام لا يسمع الاستقصاء وهذا القدر كاف لما أردناه من سقوط الرجلين وفساد آرائهما وبطلان أقوالهما ولا سيما في هذا المقام فانه لا ينتظر منهما فيه الا ما يقتضيه الوغر والحقده ويستوجبه الخروج والنصب ، ولا عجب منهما وانما العتب والعجب ممن اعتد عليهما وهو يعرف كنههما •

أما ما تشبها به من وقوع الآية في سياق الخطاب مع النساء فتضييل محض وتمويه مجرد ، وان أطنب في تليقه وتزويقه صاحب نواذر الاصول وغيره من أعداء آل الرسول ، فانهم لم يألوا جهدا في تصويره وتزويره ولم يدخروا وسعا في تقريره وتحريره ، لكن مثلهم في ذلك « كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبست العنكبوت لو كانوا يعلمون » ولنا في رده وجوه :

(الاول) أنه اجتهد في مقابل النصوص الصريحة والاحاديث المتواترة الصحيحة ، وقد سمعت بعضها •

(الثاني) انها لو كانت خاصة في النساء — كما يزعم هؤلاء — لكان الخطاب في الآية بما يصلح للاناث ، واتقال عز من قائل عنكن ويظهر كن كما في غيرها من آياتهن فتذكر ضمير الخطاب فيها دون غيرها من آيات النساء كاف في رد تضييلهم •

(الثالث) ان الكلام البليغ يدخله الاستطراد والاعتراض ، وهو تخلل الجملة الاجنبية بين الكلام المتناسق كقوله تعالى في حكاية خطاب العزيز لزوجته اذ يقول لها : « انه من كيدكن ان كيدكن عظيم • يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك » فقوله يوسف أعرض عن هذا مستطرد بين خطاييه معها

كما ترى ، ومثله قوله تعالى : « ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون واني مرسل اليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون » فقوله وكذلك يفعلون مستطرد من جهة الله تعالى بين كلام بلقيس ، ونحوه قوله عز من قائل : « فلا اقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم . وانه لقرآن كريم » تقديره فلا اقسم بمواقع النجوم ، انه لقرآن كريم ، وما بينهما استطراد على استطراد ، وهذا كثير في الكتاب والسنة وكلام العرب العاربة وغيرهم من البلغاء .

وآية التطهير من هذا القبيل جاءت مستطردة بين آيات النساء ، فتبين بسبب استطرادها أن خطاب الله لهن بتلك الاوامر والنواهي والنصائح والآداب لم يكن الا لعناية الله تعالى بأهل البيت « أعني الخمسة » لئلا ينالهم « ولو من جهتهم » لوم ، أو ينسب اليهم « ولو بواسطتهم » هناة ، أو يكون عليهم للمنافقين « ولو بسببهم » سبيل ، ولولا هذا الاستطراد ما حصلت هذه النكتة الشريفة التي عظمت بها بلاغة الذكر الحكيم ، وكمل اعجازه الباهر كما لا يخفى .

(الرابع) ان القرآن لم يترتب في الجمع على حسب ترتيبه في النزول بأجماع المسلمين كافة ، وعلى هذا فالسياق لا يكافيء الادلة الصحيحة عند تعارضهما ، لعدم الوثوق حينئذ بنزول الآية في ذلك السياق ، ولذا كان الواجب في مقامنا هذا ترك فحوى السياق لو سلم ظهوره بما زعموا والاستسلام لحكم ما سمعت بعضه من الادلة القاطعة والحجج الساطعة ، ولا غرو فان حمل الآية على ما يخالف سياقها غير مناف للبلاغة ولا مخل بالاعجاز ، وقد أجمعوا على أنه لا جناح بالمصير اليه اذا قامت قواطع الادلة عليه .

وذهب بعضهم الى ان المراد من أهل البيت في الآية من حرمت عليهم الصدقة ، وهم بنو هاشم كافة ، مستدلين على ذلك بما أخرجه مسلم في باب

فضائل علي من صحيحه عن زيد بن أرقم وقد قيل له : من أهل بيته نسأؤه ؟ قال : لا . وأيم الله ان المرأة تكون مع الرجل ، العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع الى أبيها وقومها - أهل بيته الذين حرموا الصدقة بعده ه . وأنت تعلم ان استدلالهم هذا باطل من وجهين :

(أحدهما) انك لو راجعت هذا الحديث من صحيح مسلم تعلم ان زيدا انما سئل عن مراد النبي (ص) بأهل بيته الذين ذكرهم في قوله : اني تارك فيكم ما أن تمسكتهم به لن تضلوا كتاب الله وغترني أهل بيتي (٢٢) فأجاب عن خصوص هذا السؤال بما سمعت ، ولم يتعرض لبيان المراد بأهل البيت المذكورين في الآية ، اذ لم يسأل عنهم فكيف ننقل عنه في تفسير الآية ما قاله في تفسير الحديث ، وهل هذا الا كالمغالطة . ولو سئل زيد عن الآية لاجاب بالصواب كما فعل أبو سعيد الخدري ومجاهد وقتادة وغيرهم ، وما كان ليخفى عليه حديث الكساء ، ولا يخالف في تفسيرها سيد الانبياء (ص) . وبالجمله فان ما نقله مسلم عن زيد خارج عن موضوع مسألتنا هذه ، فالاستدلال به هنا مما لا وجه له .

(ثانيهما) لو فرضنا أن زيدا فسر الآية بما سمعت فانما هو مفسر لها برأي قد رآه لا تثبت به حجة ولا يقوم به برهان ، حيث لم ينقل ذلك التفسير عن رسول الله (ص) كما يراه كل من راجع الحديث في صحيح مسلم ، فكيف نعارض به الادلة القاطعة والبراهين الساطعة وقدمه على النصوص الصريحة

(٢٢) المراد من أهل بيته هنا مجموعهم من حيث المجموع بأعتبار دخول أئمتهم فيهم ، والقرينة على ذلك اقترانهم بالكتاب الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وليس المراد من غترته وأهل بيته جميعهم على سبيل الاستغراق والشمول لكل فرد فرد منهم ، وهذا المعنى هو الذي أراده زيد بن أرقم .

والاحاديث المتواترة الصحيحة ؟ لكننا منينا بقوم لا ينصفون ، فانا لله وانا اليه راجعون •

وقد أغرب الرازي اذ قال في تفسيره : واختلف في أهل البيت ، والاولى فيهم ما قاله البقاعي انهم كل من يكون من الزم النبي (ص) من الرجال والنساء والازواج والاماء والاقارب . . . الى آخر كلامه الذي نسج فيه على منوال البقاعي وخالف به سنة البشير النذير الداعي :

لكم ذخركم ان النبي ورهطه وجيلهم ذخري اذا التمس الذخر
جعلت هواي الفاطمين زلفسة الى خالقي ما دمت أو دام لي عمر
وذهب قوم الى أن الآية شاملة للزوجات ولا صحاب الكساء جمعا بين
الادلة وظاهر السياق •

ويرده أولا - ما سمعته من كلامنا في السياق فراجعوه ، وثانيا - منع أم سلمة من الدخول تحت الكساء ، فانه أقوى دليل على خروج النساء • وثالثا - لو كان غير علي وفاطمة وأبنيهما مرادا لقال (ص) حين جللهم بالكساء : اللهم هؤلاء من أهل بيتي ، لكنه قصر أهل بيته عليهم وحصرهم فيهم فقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا • وفي رواية ذكرها ابن حجر في صواعقه : أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم •

وأخرج احمد بن حنبل من حديث أم سلمة في صفحة ٢٩٦ من الجزء السادس من مسنده قالت : بينما رسول الله (ص) في بيتي يوما اذ قال الخادم أن عليا وفاطمة بالسيدة • قالت : فقال لي فتحي لي عن أهل بيتي • قالت : فقممت فتحت في البيت قريبا فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين وهما صبيان صغيران ، فأخذ المصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما واعتنق عليا بأحدى يديه

وفاطمة باليد الاخرى فقبل عليا وقبل فاطمة ، فأغدق عليهم خميسة سوداء فقال : اللهم اليك لا الى النار أنا وأهل بيتي - الحديث (٢٣) .

وهو كما ترى ظاهر في حصر أهل بيته فيهم عليهم السلام ، فهل حاباهم (ص) بكسائه او أثرهم من تلقاء نفسه بما سمعت من دعائه وثنائه ؟ أو ضل وغوى اذ قال : أنزلت هذه الآية في خمسة فيّ وفي علي والحسن والحسين وفاطمة ؟ أو نطق عن الهوى اذ كان يقف كل يوم على باب علي وفاطمة عند خروجه الى الفجر فيقول : الصلاة يا أهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا ؟ أو هجر والعياذ بالله حين قال لام سلمة قومي فتتحي لي عن أهل بيتي ؟ كلا والله « ما ضل صاحبكم وما غوى » . وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى . علمه شديد القوى « ولله در الامام ابي بكر ابن شهاب الدين حيث قال في هذا المقام من كتابه « رشفة الصادي » :

دعوا كل قول غير قول محمد فعند بزوغ الشمس ينطمس النجم

تنبيهان

(أحدهما) ان الآية دلت على عصمة الخمسة ، لان الرجس فيها عبارة عن الذنوب كما في الكشف وغيره ، وقد تصدرت بأداة الحصر وهي « انما » فأفادت ان أراد الله تعالى في أمرهم مقصورة على اذهاب الذنوب عنهم وتطهيرهم منها ، وهذا كنه العصمة وحقيقتها (١) .

(ثانيهما) أنها دلت بالالتزام على امامة أمير المؤمنين ، لانه ادعى الخلافة لنفسه وادعاها له الحسنان وفاطمة ، ولا يكونون كاذبين لان الكذب من الرجس الذين أذهب الله عنهم وظهرهم منه تطهيرا .

(٢٣) وأخرجه في آخر صفحة ٣٠٤ من الجزء ٦ عن أم سلمة أيضا .
(١) أورد النبهاني في أول كتابه (الشرف المؤبد) هذه الآية ، فنقل عن

الفصل الثالث

في آية المودة ، وهي قوله تبارك وتعالى في آل حم الشورى : « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى ^(١) » ومن يقترب حسنة نزل له فيها حسنا ان الله غفور شكور . أم يقولون افتري على الله كذبا » .

أجمع أهل البيت وتصافق أولياؤهم في كل خلف على أن القربى هنا انما هم علي وفاطمة وأبناهما ، وان الحسن في الآية انما هي مودتهم ، وان الله تعالى غفور شكور لاهل ولايتهم ، وهذا عندنا من الضروريات المفروغ عنها . وفيه صحاح متواترة عن أئمة العترة الطاهرة ، واليك ما هو مأثور عن غيرهم :

جماعة من الاعلام ما يدل على أنهم قد فهموا منها عصمة أهلها عليهم السلام واليك ما نقله بعين لفظه قال : قال الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره يقول الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل محمد ويظهركم من الدنس الذي يكون في معاصي الله تطهيرا « قال » وروي عن أبي زيد ان الرجس هاهنا الشيطان « قال » وذكر أي الطبري بسنده الى سعيد بن قتادة أنه قال قوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا) فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء وخصهم برحمة منه « قال » وقال ابن عطية والرجس اسم يقع على الاثم والعذاب وعلى النجاسات والنقائص ، فأذهب الله جميع ذلك عن أهل البيت « قال » وقال الامام النووي قيل هو الشك وقيل العذاب وقيل الاثم . قال الازهري الرجس اسم لكل مستقذر من عمل وغيره اه .

وفسر الشيخ محي الدين بن العربي لفظ الرجس في الباب ٢٩ من فتوحاته بكل ما يشين ، واليك عبارته قال : وقد ذكر النبي (ص) قد طهره الله وأهل بيته تطهيرا وأذهب عنهم الرجس وهو كل ما يشينهم ، فان الرجس هو القذر عند العرب . هكذا حكى القراء الى آخر كلامه .

(١) القربى مصدر كالزلفى والبشري وهي بمعنى القرابة ، والاستثناء هنا متصل ، والمعنى لا أسألكم على أداء الرسالة شيئا من الاجر الا أن تودوا قرباني ، فهو على حد قول القائل :

أخرج أحمد والطبراني والحاكم وابن أبي حاتم عن ابن عباس كما نص عليه ابن حجر في تفسير الآية ١٤ من الآيات التي أوردتها في الفصل الاول من الباب ١١ من صواعقه قال : لما نزلت هذه الآية قالوا : يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال (ص) : علي وفاطمة وابناهما . وهذا الحديث أخرجه عن ابن عباس أيضا ابن المنذر وابن مردويه (٣) والمقرئزي (٤) والبغوي والشعبي في تفاسيرهم والجلال السيوطي (٥) في دره المنثور ، والحافظ أبو نعيم في حليته ، والحموي في الشافعي في فرائده ، وغيرهم من المفسرين والمحدثين .

وأرسله الزمخشري في كشافه واستدل على اعتباره بروايات رواها في الكشف عن رسول الله (ص) ، فمنها ما روي عن علي قال : شكوت الى رسول الله (ص) حسد الناس لي فقال : أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وانت والحسن والحسين ؟ ومنها قوله (ص) : حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي . ومنها قول رسول الله (ص) : من مات على حب آل محمد مات شهيدا (٦) ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعا ، أي لا أسألكم عليه أجرا قط ولكن أسألكم أن تودوا قرابتي ، وكيف كان فمودتهم فريضة .

(٣) فيما نقله عنهما النبهاني في أربعينه .

(٤) فيما نقله النبهاني عنه في الشرف المؤبد .

(٥) فيما نقله عنه في الشرف المؤبد .

(٦) المراد من آل محمد في هذا الحديث ونحوه مجموعهم من حيث المجموع باعتبار أنسبهم الذين هم خلفاء رسول الله (ص) وأوصياؤه ووارثو حكمه وأولياؤه ، وهم الثقل الذي قرنه بالقرآن ونص على أنهما لا يفترقان فلا يضل من تمسك بهما ولا يهتدي من أعرض عن أحدهما ، وليس المراد

له ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تأبياً ، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره محمد مات مؤمناً مستكمل الايمان ، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها ، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان الى الجنة ، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً ، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله ، - الحديث * وأخرجه الامام الثعلبي في تفسيره الكبير عن جرير بن عبد الله البجلي ، وأورده غير واحد من المحدثين ومؤلفي المناقب *

وأنت تعلم ان هذه المنزلة السامية انما ثبتت لهم من الله تعالى لانهم خلفاؤه في أرضه وأولياؤه في بسطه وقبضه وحججه البالغة ومناهل شرائعه السائغة وامناؤه بعد النبي (ص) على وحيه وسفراؤه في أمره ونهيه ، فالمحب لهم بسبب ذلك محب لله ، والمبغض لهم مبغض لله ، ومن هنا قال فيهم الفرزدق :

من معشر حبه دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم

ان عد اهل التقى كانوا أئمتهم اوقيل من خير اهل الارض قيل هم

وأخرج الحاكم كما في تفسير هذه الآية من مجمع البيان بالاسناد الى أبي أمامة الباهلي قال : قال رسول الله (ص) ان الله تعالى خلق الانبياء من اشجار

هنا من الآل جميعهم على سبيل الاستغراق والشمول لكل فرد فرد ، لان هذه المرتبة السامية لاولياء الله خاصة * نعم تجب محبة جميع اهل بيته وكافة ذريته لا تتسا بهم اليه صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي ذلك تحصل الزلفى لله تعالى والشفاعة من رسوله صلى الله عليه وآله *

شتى وخلقت أنا وعلي من شجرة واحدة، فأنا أصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها
والحسن والحسين ثمارها وأشياعها أوراقها، فمن تعلق بعصن من أغصانها نجا
ومن زاعغ عنها هوى، ولو أن عبدا عبد الله ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام
حتى يصير كاللشن البالي وهو لا يجنبا كبه الله على منخريه في النار. ثم تلا
« قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى » هـ.

وأخرج ابو الشيخ وغيره كما في الصواعق وغيرها عن علي (ع) : فينا في
آل حم آية لا يحفظ مودتنا الا كل مؤمن، ثم قرأ « قل لا أسألكم عليه أجرا
الا المودة في القربى ومن يقترب حسنة نرد له فيها حسنا ان الله غفور شكور »
والى هذا أشار الكسيت بقوله :

وجدنا لكم في آل حم آية تأولها منا تقي ومعرب

وأخرج البزار والطبراني وغيرهما كما في الصواعق وغيرها عن الامام أبي
محمد الحسن السبط المجتبى (ع) بطرق مختلفة انه خطب خطبة قال فيها: وأنا
من أهل البيت الذين افترض الله عز وجل مودتهم وموالاتهم فقال فيما أنزل على
محمد (ص) « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى ومن يقترب حسنة
نرد له حسنا » هـ. قال : واقراف الحسنة مودتنا أهل البيت هـ.

وأخرج الطبراني كما في الصواعق وغيرها عن الامام زين العابدين علي
ابن الحسين عليهما السلام أنه لما أقيم بأبي هو وأمي اسيرا على درج دمشق
قال له بعض جفاة أهل الشام : الحمد لله الذي قتلكم هـ. فقال له : اما قرأت قل
لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى (٧) ؟ قال : واتمهم هم ؟ قال :
نعم هـ.

(٧) رواه النبهاني في المقصد الثالث من كتابه الشرف المؤبد عن السدي
عن أبي الديلم هـ.

وأخرج احمد بن حنبل كما في الصواعق أيضا عن ابن عباس في قوله تعالى « ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا » قال : هي المودة لآل محمد • وأخرجه ابن أبي حاتم كما في الشرف المؤبد ^(٨) عن ابن عباس أيضا • وعن أبي حمزة الثمالي في تفسيره عن ابن عباس انه حين استحکم الاسلام بعد الهجرة قالت الانصار : نأتى رسول الله فنقول له قد تعروك أمور فهذه أموالنا تحکم فيها كيف شئت ، فأتوه بذلك فنزلت الآية فقرأها عليهم وقال تودون قرابتي من بعدي فخرجوا مسلمين لقوله ، وقال المنافقون أن هذا لشيء أفتراه في مجلسه أراد به أن يدلنا لقرابته من بعده ، فنزلت « أم يقولون افترى على الله كذبا » الحديث •

وقد أخرج الثعلبي والبعوي كما في الصواعق عن ابن عباس أيضا مثله • قاتل الله الحسد يورد أهله الدرك الأسفل من النار • انظر كيف خرج هؤلاء من الدين وكذبوا - حسدا لاولياء الله - نبيهم وهو الصادق الامين ، فأنزل الله تعالى في نفاقهم قرآنا يتلوه المسلمون آثناء الليل واطراف النهار ، ومع ذلك فان بذرة اهل النفاق والحسد قد أجدرت بتعاهد اولي السلطة لها من بني أمية وغيرهم بما يستوجب نموها ، وجمهور المسلمين غافلون ، فالتبس الامر ووقعت الشبهة •

وانما دخل البلاء بأعتماد الجمهور على كل من كان في الصدر الاول ، وبناءهم على عدالة كل فرد ممن كانت له صحبة ، مع ما يتلونونه في الكتاب والسنة من شؤون المنافيين ^(٩) وتربصهم الدوائر بسيد النبيين والمرسلين (ص)

(٨) راجع منه صفحة ٩٥ •

(٩) وحسبكم من الكتاب سورتا التوبة والاحزاب ، فان فيهما الذكرى لاولي الالباب « ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم »

وأشد البلاء بالمنع من الخوض في تلك الاحوال وسددهم باب البحث عن حقائق أولئك الرجال ، فضيعوا على أنفسهم كثيرا من الحقائق . وربما نسجوا من حيث لا يقصدون على منوال كل منافق ، ولذلك اختلفوا في هذه الآية ، مع ما سمعت بعضه من النصوص الجلية في نزولها بسودة العترة الزكية ، والذي عرفناه من أقوال المخالفين أربعة مذاهب .

(الاول) ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وآله أن يقول لمشركي قريش « لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى » يعني الا أن تودوني في قرابتي منكم وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم ، وهذا مردود بوجوه : «أحدها» أن الآية مدنية كما سمعته قريبا عن تفسيري البغوي والشعبي وستسمعه عن غيرهم أيضا ، فأين مشركوا قريش عنها ؟ « ثانيها » أن سبب نزولها بحكم ما سمعته وما ستسمعه من الاخبار ، انما هو عرض الانصار أموالهم على رسول الله (ص) أو مفاخرتهم لبني هاشم ، فيكون الخطاب معهم لامع مشركي قريش . « ثالثها » أنه لا يصح ان يكون الخطاب مع المشركين ، اذ يقبح من الحكيم أن يطلب الاجر على أداء الرسالة ممن كفر بها وبلغ الغاية في جحودها وتكذيبها ، وانما يحسن ذلك ممن آمن بها . وعدها نعمة عليه . « رابعها » أن هذا القول مخالف لما سمعته من النص على أنها نزلت في مودة علي وفاطمة وابنائهما . « خامسها » أنه انما هو قول عكرمة وتبعه فيه جماعة من صنائع بني أمية واعداً أهل البيت ،

وناهيك من السنة باب الحوض من كتاب الرقاق من صحيح البخاري ، وباب قوله تعالى « واتخذ الله ابراهيم خليلا » وهو في كتاب بدء الخلق من الصحيح المذكور أيضا ، وما أخرجه احمد بن حنبل في آخر الجزء الخامس من مسنده عن ابي الطفيل فرجع . « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين » .

كما كنا أوضحناه في كتابنا سبيل المؤمنين ، وهؤلاء لا تقبل أقوالهم ولا سيما في مثل المقام ، وقد عرفت أن عكرمة من دعاة الخوارج وكذبة المحدثين ، كما بيناه في الفصل السابق . وأخطأ من نسب هذا القول الى ابن عباس اعتماداً على خبر رواه البخاري في باب قوله « الا المودة في القربى » من كتاب تفسير القرآن من صحيحه عن محمد بن بشار عن محمد بن جعفر ، وهما ضعيفان بأجماع الامامية ، وواقفهم يحيى بن معين — كما في ميزان الاعتدال — على تضعيف محمد بن بشار ، بل كذبه القلاس فراجع .

وكيف يقول ابن عباس في تفسير القربى غير الذي قلناه ، مع ما سمعته من الاحاديث الثابتة عنه في تفسير القربى بعلي وفاطمة وابنائهما وتفسير الحسنة بسودتهم ؟

(الثاني) من مذاهب المخالفين في تفسير الآية أن معناها قل لا اسألكم عليه أجرا الا أن تودوا القربى من الله عز وجل بالاعمال الصالحة .

(الثالث) أن معناها الا أن تودوا قرابتكم وتصلوا أرحامكم . وانت تعلم أن اصحاب هذه الاقاويل ما أرادوا بها غير التسويه والتضليل ، وحسبهم في ردها أنها في مقابل النص والدليل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير .

(الرابع) ان الآية منسوخة بقوله تعالى في سورة سبأ : « قل ما سألتكم عليه من أجر فهو لكم » وهذا من أغرب الاقاويل واعجب الاباطيل ، لان وجوب مودة القربى بكل المعاني مستمر الى يوم القيام بحكم الضرورة من دين الاسلام فما معنى هذا النسخ يا مسلمون ؟ على انه لاتنافي بين الآيتين لتكونا من قبيل الناسخ والمنسوخ ، فان معنى آية الشورى لا اسألكم على اداء رسالتي شيئا

من الاجر الا مودة قرابتي ، ومعنى آية سبأ اني ما اسألتكم على اداء رسالتي شيئاً من عرض الدنيا ، والذي طلبته منكم في سورة الشورى أجراً عليه من مودة قرابتي فانما هو لكم لا لي لان قرابتي حجج الله البالغة لديكم ونعمه السابغة عليكم ، وهو أمان اهل الارض وباب حطة وسفينة نجاة هذه الامة ، وهم كالقرآن الحكيم فمودتهم لازمة لكم ومنافعها انما هي عائدة عليكم ، فأرجع البصر هداك الله وأمعن النظر في الآيتين ، وهما قوله تعالى : « قل لا اسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى » وقوله سبحانه : « ما سألتكم عليه من أجر فهو لكم » تجد الثانية مؤكدة لمفاد الاولى ومشوقة اليه كما لا يخفى . وبقي للقوم اعتراضان : (احدهما) أنهم قالوا : لو أراد الله من الآية مودة القربى ، لقال : « الا مودة القربى » او الا المودة للقربى » . والجواب أن هذا تغافل عما لا يغفل عنه ذو حظ من فهم ، وتجاهل بما لا يجهله الخبير بسواقع الكلام ، لان الاضافة واللام هنا لا يفيدان ما أفادته في من المبالغة بسودة القربى ^(١٠) بجعلهم موضع الود والموالات كما يعلمه جهابذة الكلام العربي ويشهد به أئمة البلاغة . قال الزمخشري في كشفه بعد تفسير القربى بمن ذكرناهم عليهم السلام : فان قلت فهلا قبل الا مودة القربى او الا المودة للقربى ، وما معنى قوله الا المودة في القربى ؟ قلت : جعلوا مكانا للسودة مقرا لها ، كقولك : « لي في آل فلان مودة » ولي فيهم هوى وحب شديد » تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحله ، وليست في بصلة المودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك « المال في الكيس » ، وتقديره

(١٠) قال النبهاني حيث أورد الآية في الشرف المؤبد : القربى مصدر بمعنى القرابة ، وهو على تقدير مضاف ، أي ذو القربى يعني الاقرباء . قال : وعبر بفي ولم يعبر باللام لان الظرفية ابلغ وأكد للمودة اه .

الا المودة ثابتة في القربى وتمسكة فيه • هذا كلام الزمخشري بعين لفظه ، والله دره ما أوفر نصيبه من الاحاطة بالاسرار التي لا تنهاى البلاغة ولا يتم الاعجاز إلا بها •

(ثانيهما) أنهم قالوا هذه الآية في سورة الشورى وهي مكية ، والحسنان ولدا في المدينة فلا يمكن أرادتهما منها •

والجواب : أن هذه الآية وما بعدها الى آخر ثلاث آيات مدنية قطعاً بحكم الاخبار المتظافرة من طريق العترة الطاهرة ، وقد روى ذلك صاحب مجمع البيان عن ابن عباس وقتادة ، ويدل عليه ما سمعته قريباً عن أبي حمزة الشامي وتفسيره الثعلبي والبغوي ، وحسبك ما ذكره الامام الواحدى في كتابه « اسباب النزول » حيث قال : ابن عباس لما قدم رسول الله (ص) المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق ، وليس في يده لذلك سعة ، فقال الانصار : ان هذا الرجل قد هداكم الله به ، وهو ابن أختكم وتنوبه نوائب وحقوق وليس في يده لذك سعة ، فأجمعوا له من أموالكم ما لا يضركم فأتوه به ليعينه على ما ينوبه ، ففعلوا ثم أتوه به فقالوا : يا رسول الله انك ابن أختنا وقد هدانا الله تعالى على يدك وتنوبك نوائب وحقوق وليس لك سعة ، فرأينا ان نجتمع لك من أموالنا فأتيناك به فتستعين على ما ينوبك وهو هذا • فنزلت « قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى » اه وهذا الحديث موجود أيضاً في الكشف وغيره من التفاسير المعتمدة والكتب المؤلفة في أسباب النزول •

وفي الكشف وغيره رواية أخرى في سبب نزولها ، جاء فيها ان الانصار فأخروا بعض بني هاشم ، فعاتبهم النبي (ص) بذلك ، فحشوا على الركب وقالوا : أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله ، فنزلت الآية فقرأها عليهم •

أليست هذه الاخبار كلها صريحة بنزول الآية في المدينة وان المخاطبين فيها

انسا هم الانصار ؟ ولا ينافي ذلك كونها في سورة مكية ، لان ترتيب الكتاب العزيز في الجمع ليس على حسب ترتيبه في النزول اجماعا وقولا واحدا (١١) ومن ثمة كان أغلب السور المكية لا تخلو من آيات مدنية ، وكذلك اكثر السور المدنية لا يخلو من آيات مكية ، بحكم أئمة السلف والخلف من الفريقين (١٢) ووصف لسورة بكونها مكية أو مدنية تابع لأغلب آياتها ، كما صرح به أئمة هذا الفن من أهل المذاهب كلها ، على انه لا مانع من تناول الآية الكريمة للحسين (ع) حتى لو فرضنا نزولها بمكة قبل ولادتها ، لان المودة فيها غير مقصورة على من كان من القربى موجودا حين نزولها بل هي ثابتة فيهم ، وهم (١١) ألا ترى أن الاغلب من أواخره مكى والاكثر من أوائله مدني ، فلو كان مرتبا على حسب نزوله لوجب تقديم بعض ما أخر وتأخير بعض ما قدم ولكانت سورة العلق في أوائله وسورة براءة في آخره . بناء على ما رواه البخاري عن سليمان بن حرب عن شعبة ، ورواه مسلم عن بن دار عن غندر عن شعبة أيضا . ولكانت آخر آية من آياته قوله تعالى « وأتقوا يوما ترجعون فيه الى الله » ، أو آخر آية من سورة النساء ، أو قوله تعالى « ولقد جاءكم رسول من أنفسكم » الآية . كما لا يخفى على من راجع الكتب المؤلفة في هذا الموضوع .

(١٢) فراجع ان شئت التفصيل أوائل السور من مجمع البيان في تفسير القرآن أو من تفسيري الطبري والرازي الكبيرين أو من الكشاف ، أو اول كل من المائدة والاعراف والرعد والاسراء والكهف ومريم والحج والشعراء والقصص والروم ولقمان وسبأ والزمر والزخرف والدخان والرحمن والمجادلة من كتاب تفسير القرآن من أرشاد الساري في شرح صحيح البخاري وسائر المؤلفات في هذا الموضوع ، وبعد التسبع قل لي كيف الغي المعترضون صحاح الاخبار المفسرة للقربى بما قلناه وصرفوا الآية عن اهلها بمجرد كونها في سورة يقال عنها مكية ؟ ومن أوحى اليهم انها ليست كأغلب المكيات وصفت بهذا الوصف باعتبار الغلبة ؟ (ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس وقد جاءهم من ربهم الهدى) . .

على الاطلاق مكانها كما سمعت •

وبناء على هذا تكون الآية نظير قوله تعالى : « يوصيكم الله في أولادكم »
أترى أحدا من المسلمين قصر هذه الوصية على من كان موجودا من الأولاد حين
نزولها • كلا بل لم يتوهم ذلك ابن أنثى ، فليت شعري ما الفرق بين الآيتين ؟
وأما ما سمعته من قول النبي (ص) في تفسير القربى « هم علي وفاطمة
وابناهما » فيجوز أن يكون متأخرا عن نزولها ، أو أنه خبر من الله عز وجل
بالغيب فيكون من أعلام النبوة • ولا غرو فقد أخبر عن خلفائه وأنهم أثنا عشر ،
وأخبر عن يوم الجمل و كلاب الحوآب وعن الفئة الباغية وقتلها عمارا ، وعن
الذين مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، وعن الناكثين والقاسطين
والمارقين ، وعن الضغائن لعلني في نفوس قوم وأنهم لا يبدونها له إلا بعد فقده ،
وعن اشقي الآخرين وضربه سيد الوصيين بالسيف على هامته وأن شيبته الكريمة
تخضب من دم رأسه ، وعن حال بضعته الزهراء من بعده وأنها أول بيته لحوقا
به ، وعن محنة الحسن والدعاف الذي تجرعه ، وعن مصائب سيد الشهداء في
طف كربلاء ، وعما لقيه أهل بيته من الأثرة والبلاء والقتل والتشريد والتطريد
في البلاد ، وعن ولادة الجور الذين يملكون من بعده أمر هذه الأمة ، وعن بوائق
بني أمية وبني مروان وأن مدتهم تكون ألف شهر ، وعن بني العباس وملكهم ،
وعن فتنة نجد وطلوع قرن الشيطان منها إلى ما لا يحصى من أخباره عن الله
تعالى بالمغيبات • وقد رأتها الأمة بعد ذلك مثل فلق الصبح ، فعلم الله الأزلي
الذي وسع كل شيء قبل أن يكون شيء لا يضيق عن تولد الحسين من علي
وفاطمة قبل أن يخلقهما تبارك وتعالى ، وليس على الله بعزير أن يبشر بهما
نبيه (ص) ويفترض مودتهما على الأمة قبل ولادتهما ، لكرامتهما عليه وقرب
منزلتهما منه سبحانه وتعالى ، كما بشر الله آدم ونوحا وإبراهيم وموسى وعيسى

وسائر النبيين والمرسلين بمحمد (ص) وعليهم اجمعين ، وعرفهم جلالة قدره وعظم شأنه فأمنوا به وبخعوا لفضله •

ونحن مهما شككنا فلا نشك في أن العترة والكتاب ثقلا رسول الله اللذان لا يضل من تمسك بهما ، وإن كلا منهما يفرغ عن الآخر لانهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض ، وقد تواترت الاخبار عنهم في تفسير القربى بما ذكرناه • وناهيك بذلك حجة على ما قلناه على أن تفسير القربى هنا بعلي وفاطمة وابنائهما هو الذي ذهبت اليه جماهير اهل السنة وقطعت به آكارهم (١٣) وحسبك قول امام الخلف منهم والسلف محمد بن أدريس الشافعي رحمه الله •

يا أهل بيت رسول الله جبكم فرض من الله في القرآن أنزله (١٤)
كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصل عليكم لاصلاة له
وقول الشيخ ابن العربي :

رأيت ولائي آل طه فريضة على رغم اهل البعد يورثني القربى
فما طلب المبعوث أجرا على الهدى بتبليغه الا المودة في القربى
وقال المعاصر النبهاني :

آل طه يا آل خير نبي جدكم خيرة وأتم خيار
أذهب الله عنكم الرجس أهل البيت قد ما فاتم الاطهار
لم يسل جدكم على الدين أجرا غير ود القربى ونعم الاجار
وحيث ثبت هذا عن أئمة السنة وجماهير الامة ، فلا مبالاة اذن بمخالفة

(١٣) كما صرح به غير واحد من الاعلام كالسيد الامام أبي بكر بن شهاب الدين في كتابه رشفة الصادي •

(١٤) البيتان الاولان نسبهما الى الامام الشافعي ابن حجر في صواعقه والنبهاني في شرفه ، وهما مشهوران عنه منتشران سائران ، وقد نسب البيهقي الاخيرين الى ابن العربي صاحب الصواعق وغيره •

من خالف ولا بمجازفة من جازف ، ممن اشار النبهاني اليهم في كتابه الشرف المؤبد ، حيث ذكر بعضهم في خطبة الكتاب فقال : ومن هذا القبيل ما وقع في عصرنا في القسطنطينية سنة سبع وتسعين ومائتين وألف هجرية من قوم جهال غرقوا من أحوال البغضاء لآل محمد في احوال فأخذوا يتأولون بجهلهم ما ورد من الآيات والاحبار في فضل اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحي ومنبع الحكمة ، ويخرجونها عن ظواهرها بأفهامهم السقيمة وآرائهم الذميمة ، ومع ذلك فقد زعموا أنهم لاهل البيت من أهل المحبة والواداد ولم يعلموا .
أنهم هائسون من الخذلان في كل واد . . . الى آخر ما قال فيهم وفيمن نسجوا على منوالهم ممن تقدمهم فراجع .

وقال في المقصد الثالث من الكتاب المذكور : فقد رأينا من اذا سمع بذكر مزية أمتاز بها أهل البيت أو منقبة أسندت اليهم ، ووصفوا بها من الله ورسوله (ص) أو السلف الصالح أو علماء الامة أو أوليائها ، يقطب وجهه ويتغير خلقه ويود بلسان حاله أن تلك المزية لم تكن لهم ، وقد يتكلف الاقاويل الواهية والاحبار الموضوعة ، والآثار المصنوعة ليظفي بها نور الله والله متم نوره ولو كره الكافرون . هذا كلامه بعين لفظه (والحق ينطق منصفاً وعنيدا) .
نسأل الله الهداية والتوفيق لنا ولجميع المسلمين بسنه وكرمه انه أرحم

الراحمين .

الفصل الرابع

في آيات الابرار ، وهي قوله عز اسمه في سورة الدهر : « ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا . عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجييرا يوفون بالنذر » الى آخر السورة .
أجمع أولياء اهل البيت « تبعا لكافة أئمتهم عليهم السلام » على نزولها

في علي وفاطمة والحسن والحسين، وصحاحهم في ذلك متواترة من طريق العترة الطاهرة، وهذا عندهم من الضروريات التي لا يجهلها منهم أحد. وقد أخرجه عن ابن عباس جماعة من أعلام غيرهم، كالامام الواحدي في كتابه البسيط، والامام أبي اسحاق الثعلبي في تفسيره الكبير، والامام أبي المؤيد موفق بن أحمد في كتاب الفضائل، وغير واحد من الحفظة واهل الضبط.

واليك ما ذكره الزمخشري في تفسير السورة من الكشف بعين لفظه قال: وعن ابن عباس «رض» ان الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله (ص) في ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما أن برئنا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام، فشفا وما معهم شيء، فاستقرض علي من شمعون الخيري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير، فطحن فاطمة صاعا واختبرت خمسة أقراص على عددهم، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة. فأثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فأثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك، فلما أصبحوا أخذ علي «رض» بيد الحسن والحسين وأقبلوا الى رسول الله (ص) فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال: ما أشد ما يسوؤني ما أرى بكم، وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها، فسأه ذلك، فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: خذها يا محمد هناك الله في أهل بيتك، فأقرأه السورة اه.

ونحن لا حاجة بنا الى تضييع الوقت في أخراج أسانيد هذا الحديث وطرقه الى ابن عباس ومجاهد وأبي صالح وعطاء وغيرهم، ولا الى ذكر من

أخرجه من حفاظ الحديث وأئمة التفسير بعد تواتره عن أئمة الابرار وكونه
مسا لاريب فيه ، وانما نشير الى بعض ما تضمنته تلك الآيات البينات من
أسرار البلاغة لينتبه أولوا الالباب (وتعيها اذن واعية) .

أن علماء البيان وسائر أهل اللسان لا يرتابون في أن الجمع المحلي بلام
التعريف حقيقة في العموم ، وهذا مسا لا يخلتف فيه اثنان من أهل العربية ،
وأنت تعلم ان لفظ الابرار في الآية جمع بَرَّ أوبار محلي باللام كما ترى ،
فظهره في الشسول والاستغراق مسا لاريب فيه ، وانما أطلق على علي وفاطمة
والحسن والحسين تميانا لكونهم أكمل الابرار وأذانا بأنهم الاخيار وبرهاننا على
أنهم صفوة الصفوة وحجة على أنهم خيرة الخيرة، فماغسى ان يقول القائلون في عظيم
برهم ، او يصف الواصفون سمو قدرهم ؟ وأي مدحة توازن مدحة الفرقان ؟
وأي ثناء يكايل ثناء الذكر الحكيم ؟ وأي عبارة فاضلة شريفة مقدسة تكافىء
قول الله تعالى فيهم «ان الابرار» عليا وفاطمة والحسن والحسين « يشربون »
الشراب الطيب الطاهر يوم العطش الاكبر « من كأس » هي الزجاجاة اذا كان
فيها الشراب ويسمى الشراب نفسه كأسا أيضا ، وقد وصفها بقوله عز من قائل:
« كان مزاجها » الذي تزج به ماء من عين في الجنة تسمى « كافورا » لان
ماءها في بياض الكافور ورائحته وبرودته ، والدليل على أن كافورا أسم عين
في الجنة قوله تعالى « عينا » بالنصب على أنها عطف بيان أو بدل من كافورا (١)

(١) وقيل تزج لهم الكافور وتختم بالمسك ، وقيل بل فيها بياض
الكافور ورائحته وبرده وكأنها مزجت به ، وعلى هذين القولين تكون عينا
منصوبة على الاختصاص أو على البدل من محل كأس بتقدير حذف مضاف ،
ويكون المراد من الكأس على هذا نفس الشراب لا الزجاجاة ، والتقدير حينئذ
ان الابرار يشربون من شراب كان مزاجها كافورا شراب عين يشرب بها
عباد الله .

« يشرب بها عباد الله » علي وفاطمة والحسنان ، وأمثالهم من الكاملين في العبودية لله سبحانه الذين يشنون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ، إلى آخر ما اشتملت عليه آيات الفرقان من صفاتهم الكاملة . وانما وصل فعل الشراب في الآية الأولى بن الابتدائية ، ووصله في الآية الثانية بباء اللصاق لأن الكأس مبتدأ شربهم ، والعين يسزجون بها شرابهم ، فيكون المعنى يشربون الشراب بماء تلك العين ، كما تقول شربت الماء بالعسل ، وهذه العين « يفجرونها » أي يجرونها حيث شاءوا من كل مكان أرادوا « تفجيرا » سهلا يسيرا لا تلحقهم فيه كافة ، ولا يجدون فيه من مشقة ، وقد بين الله سبحانه وتعالى السبب في استحقاتهم لهذه الكرامة ، فقال : « يوفون بالنذر » جوابا لسؤال مفسر ، تقديره ما الذي فعلوه فاستحقوا به هذا الجزاء ؟ وأنت تعلم أن ليس المراد من وصفهم بالوفاء بالنذر إلا المبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات ، لأن من وفي بما أوجبه هو على نفسه كان بما أوجبه الله عليه أوفى ، وتلك شهادة لهم من الله تعالى ، ومن أصدق من الله قليلا ، لم يقتصر سبحانه في تزكيتهم بهذه الشهادة على المبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات حتى بالغ في بعدهم عن المحرمات والشبهات بما وصفهم فيه من خشية الله والخوف من يوم القيامة ، حيث قال وهو أصدق القائلين : « ويخافون يوما كان شره مستطيرا » يريد بذلك أن هذا الخوف العظيم يستوجب كونهم نصب أمره ونهيه ، وتلك منزلة المعصومين .

ومن تدبر القرآن الحكيم وغاص على أسرارها البالغة ، وجد في هذه الآيات البينات من عناية الله تعالى في هؤلاء الأبرار أمرا عظيما ، لا يوصف بكيف ولا يقدر بكم ، ألا ترى كيف رتب هذه الشبهات في تزكيتهم فكانت كل شهادة أكبر من سابقتها ، اذ شهد أولا بأنهم يوفون بالنذر ، ثم شهد ثانيا بأنهم

يخافون يوما كان شره مستطيرا ، فكافت أعظم من الاولى لدالتها بصريح العبارة على رسوخ الايمان بالله واليوم الآخر ، ثم شهد لهم ثالثا بسا هو أعظم من ذلك فقال : « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيسا وأسيرا » الضمير في حبه للطعام على الاظهر ، والمعنى انهم يطعمون الطعام مع حبه لشدة جوعهم بسبب صومهم ثلاثة أيام لا يذوقون في لياليها غير الماء ، وهذا على حد قوله تعالى « وآتى المال على حبه » وقوله سبحانه : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » وقوله « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

وانما كانت هذه الشهادة أعظم لكشفها عن كمال نفوسهم ، وبلوغهم أقصى الغايات في حب الخير والايثار على أنفسهم ، اشفاقا على المسكين ورأفة باليتيم وعطفة على الاسير . وأنت تعلم أنهم لو لم يؤثروهم لما كان عليهم في ذلك من جناح ، لكنهم مثلوا الحنان والرحمة بأجلى مظاهرها حين لم يكونوا مكلفين بذلك ولا مسؤولين عنه ، وتلك من أفضل صفات المقربين .

بقي اعظم الشهادات وأجلها وأقوى الادلة على تزكيتهم وأدلتها ، ألا وهو الذي أشار اليه سبحانه وتعالى حيث قال بلسان حالهم عن مكنون سرائرهم : « انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء » بفعل تفعلونه « ولا شكورا » بقول تقولونه « انا نخاف » من ربنا يوما « موصوفا على سبيل المجاز بكونه « عبوسا قمطريرا » شديد العبوس ، تشبيها له في شدته وضرره وتخويفه بالاسد العبوس ، أو بالحاكم المنتصر العبوس ، ويجوز وصفه بصفة أهله لعبوسهم يومئذ من شدة أهواله كقولهم « نهارك صائم » .

وأنت اذا تدبرت بشائره لهم بالامن من أهوال ذلك اليوم ، تعرف مزيد (٢) فغن مجاهد « كما في الكشف وغيره » أنهم لم يقولوا حين أطعموا الطعام شيئا وانما علمه الله منهم فأثنى به عليهم ، وهذا من عظيم عنايته بهم .

عنايته بهم (ع) حيث لم يكتف منها ببشارة واحدة ، بل جعل البشائر مترادفة متوالية ، وكل واحدة منها أعظم من سابقتها • قال أولا : « فوقاهم الله شر ذلك اليوم » تأمينا لهم من شره وضره ، ثم اربى على ذلك فقال : « ولقاهم نضرة » في وجوههم « وسرورا » في قلوبهم بدل عبوس أعدائهم وحزنهم ، ثم ترقى في البشارة فقال : « وجزاهم بما صبروا » على الاثثار مع شدة الجوع ابتغاء لمرضاة الله « جنة وحريرا » ، ثم لم يكتف في البشارة بالجنة على سبيل الاجمال حتى فصل فيها أكثر الاحوال ، فقال تعالى : « متكئين فيها على الارائك » فهم في منتهى الراحة والرفاهة والغبطة والحبور مستبشرين فكهين « لا يرون فيها شمسا » حرها يحى « ولا زمهريرا » برده يؤذي ، فالشمس والزمهرير هنا كناية عن الحر والبرد (٣) ، وقد جمعوا بين البعد عنها ودنو الظلام عليهم ، كما أشار اليه سبحانه بقوله : « ودانية عليهم ظلالها » بنصب دانية ، عطفًا على محل الجملة التي قبلها (٤) لانها في محل النصب على الحالية من المدحوحين (ع) ، والتقدير متكئين على الارائك غير رائيين شمسا ولا زمهريرا ، ودانية عليهم ظلالها •

(٣) وقيل ان الزمهرير هنا انما هو القمر بقرينة مقابله الشمس ، وأنشدوا
مما يدل على كونه من أسماء القمر :

وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير مازهر

وعلى هذا فالمعنى ان الجنة ضياء لا حاجة فيها الى الشمس والقمر •
(٤) ويجوز عطفها على « جنة » فيكون المعنى وجزاهم جنة وحريرا وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها ، اذ أنهم وصفوا بالخوف من ربهم في قوله تعالى : « انا نخاف من ربنا » وقد وعد الله الخائفين من ربهم بجنتين فقال : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » ويجوز أن نجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات الجنة • وقرئ ودانية بالرفع على أن تكون خبرا مقدما والمبتدأ المؤخر ظلالها والجملة في محل الحال ، والتقدير لا يرون شمسا ولا زمهريرا والحال أن ظلالها دانية عليهم •

ثم لم يكتف سبجانه بهذا القدر من بيان كرامتهم حتى قال : « وذلت قطوفها تذليلا » والمعنى تدنو ظلالاتها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم ، اذ الجملة هنا حالية من الضمير في دانية ^(٥) ، والمراد من تذليل قطوفها جعلها ذللا لا تمتنع على قاطفها متى أراد وكيف شاء ، ويجوز ان تكون مأخوذة من الذل بمعنى الخضوع لسهولة قطفها كيف شاء قاطفها •

ولو اكتفى جل وعلا بهذا القدر من بيان فوزهم في دار كرامته لكفاهم شرفا وفضلا ، لكنه سبجانه أثر الاطناب فيما تحدى به من معجزات الكتاب ، ليشمل بذلك عنايته التامة فيهم تشيلا ، وليفضلهم على من سواهم تقضيا لقال : « ويظاف عليهم بآنية من فضة واكواب » خلقها الله تعالى بياهر قدرته واتقان صنعه ، فمقال كوني من جنس الفضة في صفاء القوارير وشفيفها ولذا « كانت قواريرا ^(٦) قوارير من فضة » فتبارك الله أحسن الخالقين ، كيف جمع فيها بين صفتي المعدنين المتباينين ثم لم يكتف سبجانه ببيان جنس تلك القوارير وباهر وصفها حتى وصفها أيضا بقوله : « قدروها » في أنفسهم « تقديرا » خاصا على كفايات مخصوصة تشتهيها نفوسهم وتلذ بها أعينهم ، فجاءت كما قدرها على حسب ما يتسنون •

ثم شرح تبارك وتعالى ما يقع استعماله منهم في تلك الاكواب فقال : « ويسقون فيها كأسا » أي خمرة موصوفة بقوله : « كان مزاجها » الذي ^(٥) ويجوز عطفها على دانية ، أي ودانية عليهم ظلالاتها ومذلة لهم قطوفها ، واذا جعلت متكئين ولا يرون ودانية صفات الجنة فلتكن هذه الجملة صفة لها أيضا • هذا كله مع نصب دانية ، أما مع رفعها على الاخبار بها عن ظلالاتها فتكون هي وظلالها جملة ابتدائية والجملة من وذلت معطوفة عليها • ^(٦) الالف هنا للاطلاق ، وهي فاصلة بين قوارير الاولى والثانية ، وهما لا ينصرفان لكونهما في صيغة منتهى الجموع •

تمزج به ماء من عين في الجنة تسمى « زنجيلا » ، ويدلك على أن زنجيلا اسم لعين في الجنة قوله تعالى : « عينا فيها » بالنصب على أنها عطف بيان أو بدل من زنجيلا ، ويجوز نصبها على الاختصاص أو على كونها بدلا من كأسا بتقدير حذف مضاف ، ويكون المعنى ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجيلا • كأس عين « تسمى سلسيلا » لكونها في منتهى السلسلة يقال « شراب سلسل وسلسال » اذا كان سلسا سائغا سهل الانحدار ، ويقال سلسيل اذا كان في غاية السلسلة •

لم يكتف عز وجل بقوله : « ويطاف عليهم » حتى ذكر الطائفين عليهم القائمين بخدمتهم بأحسن الذكر وأجمله ووصفهم بالطف الوصف وأفضله فقال : « ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم » لجمال منظرهم وكمال هيئتهم وصفاء ألوانهم وبهاء أشكالهم وما يروق العالمين من حسنهم ولطفهم وأنبأهم في أنديتهم « لؤلؤا منشورا » وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفة لحسنه وكثرة مائه •

لم يكتف جل وعلا بهذه التفاصيل كلها حتى أفاد سبحانه أن الاجمال فيما أعده الله لهم مما لا بد منه ولا مندوحة عنه لامتناع تفصيله بسبب قصور العبائر وعجز افهام الناس وقصر أدراكهم ، ولذا قال وهو أصدق القائلين : « واذا رأيت ثم » فلم يجعل مفعولا لرأيت لافظا هرا ولا مقدرا لتكون الرؤية عامة لجميع مائة ، والمعنى أنك اذا أوقعت رؤيتك هناك على أي شيء من الاشياء تجدك قد « رأيت نعيما » عظيما تضيق عنه الاوهام « وملكا كبيرا » تنقطع دونه الاماني ولا يمكن وصفه الا بهذا المقدار •

وهذه الآية أبلغ في كرامتهم من كل ما تقدم ، وقد تدبرها من تدبرها فاعلم أن فيها من فضلهم ما لا يحيط به الا الله تعالى ، ومع ذلك لم ينته ذكره سبحانه

لهم ووعدده اياهم بما هم اهل له بل قال : «عليهم^(٧) ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة» فهم مزدانون بحلي الكرامة رافلون في حلل دار المقامة «و» قد «سقاهم ربهم» جل وعلا هذا الساقى وتبارك ما أعظم عنايته فيهم وأجل اهتمامه ببيان كرامتهم ، اذ نسب الساقى على سبيل المجاز الى جلالته تعالى ، فما يقول الواصف بعدها وان أظن ، وما عسى أن يصف القائل فيهم وان أسهب ، وما ظنك بمن يسقيهم ربهم بكأسه الاوفى «شرايا طهورا» يرشح بعد ذلك من أبدانهم عرقا أطيب من ريح المسك ، لا كخمر الدنيا رجسا نجسا خبيثا منتنا سالبا للعقل متلفا للجسم مستقظا للمروءة معصورا بالايدي الوضرة ، مدوسا بالارجل القذرة موضوعا في دنان قد لاتسلم من الجرائم السامة وأباريق قد لايعني بتنظيفها مدارة بكؤوس تداولتها الايدي الاثيسة وولغت فيها الافواه البخرة •

وأنت هداك الله اذا أمعنت النظر فيما ألقاه عز وجل اليهم في ختام البشائر العظيمة والمواهب الجميسة تمثل لك عناية الله بهم قالبا حسيا ، وترى كرامتهم عليه وسمو منزلتهم لديه شخصا مرئيا ، وذلك أنه ختم كلامه في شؤونهم بقوله مخاطبا لهم (ع) : «ان هذا» الاكرام العظيم الذي فصلناه في محكم الذكر تفصيلا وفضلناكم على العالمين تفضيلا «كان لكم جزاء» على أعمالكم المقدسة التي أستوجببت هذا الاكرام الجميم لهم تناووه بشفاعاة أو بمجرد فضل ، وانما أخذتموه بالاستحقاق والعدل «وكان سعيكم» مع ذلك كله «مشكورا» ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم •

بقيت نكتة شريفة وحكمة من حكم الفرقان منيفة حاصلها : أن هذه

(٧) ينصب عليهم لكونه حالا من ضمير عليهم في قوله «ويطوف عليهم ولدان» • وقد يقال انها حال من ولدان ، وقرئ عليهم بالسكون على أنه مبتدأ وخبره ثياب سندس خضر واستبرق •

السورة المباركة كما بشرت هؤلاء الأبرار^(٨) فقد أُنذرت أعداءهم الظالمين الكفار بما أعد الله لهم من السلاسل والأغلال والعذاب الاليم وسعير النار ، فأمعن النظر إليها تجد التصريح بذلك في كل من طرفيها ، كما لا يخفى على الغواصين لعباب الذكر الحكيم ، الغواصين على كل سر من أسرار عظيم ، المتدبرين لمواقع كلمه ، والمستقصين في البحث والتنقيب عن حكمه الذين اذا قرأوا القرآن أو استمعوا له أصغوا اليه بسجام قلوبهم وخشعت لهيبته جميع جوارحهم ، فبضعوا لمعانيه ومراميه وخضعوا لأوامره ونواهيه ، جعلنا الله في جملة من منَّ عليهم بذلك انه أرحم الراحمين .

المطلب الثاني

في دلالة السنة المقدسة ، وفيها من الاحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة ما تضيق عنه هذه الرسالة ولا تحتمله هذه العجالة ، وانما نذكر منها اثني عشر حديثا تبركا بهذا العدد الميمون :

- (١) - قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران . أخرجه جماعة من المحدثين كثيرون كالامام احمد من حديث رواه
- (٨) يجب أن يعلم ان آيات الثناء والبشائر في سورة الدهر كلها لعلي وفاطمة والحسن والحسين ، وآيات الوعيد والذم والتهديد فيها لأعدائهم ، بقرينة أن السبب في نزول تلك السورة بتمامها انما هم عليهم السلام ، لكن الالفاظ في كل من المقامين عامة شاملة لكل من اتصف بتلك الاوصاف . وعلى هذا فالبشائر والمدايح في تلك السورة تتناول عليا وفاطمة والحسن والحسين أولا وبالذات ثم تتناول من اتصف بصفاتهم ثانيا وبواسطة دخولهم في تلك العمومات ، وكذلك القول في آيات الذم والوعيد فانها تتناول أولا وبالذات أعداء أولئك الأبرار الذين كانوا سببا في نزول السورة بأجمعها ثم تتناول غيرهم لدخوله في العموم حيث ان المورد لا يخص الوارد ، فاحفظ هذا فانه ينفعك في كثير من الآيات ان شاء الله تعالى .

عن ابن عباس في صفحة ٢٩٣ من الجزء الاول من مسنده ، وأبي داود كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب ، وقاسم بن محمد كما في ترجمة الزهراء من الاستيعاب وجماعة من حملة الآثار وحفظة الاخبار لايسع المقام استيفاءهم .

(٢) - قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خير نساء العالمين أربع : مريم بنت عمران ، وآسيا بنت مزاحم ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد . أخرجه أبو داود كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب بالاسناد الى أنس ، ورواه عبد الوارث بن سفيان كما في ترجمتي الزهراء وخديجة من الاستيعاب بالاسناد الى أبي هريرة ، ونقله غير واحد من ثقة المحدثين بطرقهم الى أنس وأبي هريرة .

(٣) - قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسيا امرأة فرعون . أخرجه الترمذي كما في الاربعين النباني ^(١) عن أنس ، ورواه عنه أيضا السراج كما في ترجمة الزهراء من الاستيعاب ، وأخرجه أبو داود كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب ، ونقله الشعبي كما في ترجمة الزهراء من الاصابة عن جابر ، ولا يسعنا استقصاء من أخرج هذا الحديث بطرقهم المختلفة الى أنس وجابر .

وأنت تعلم ان هذه الاحاديث الثلاثة ونحوها نصوص جلية في تفضيل الاربع على سائر نساء البرية ، ولا تعرض فيها لبيان الافضل من تلك الاربع لكن صحاحنا المتواترة عن أئمة العترة الطاهرة نصوص في تفضيل الزهراء صريحة لا تقبل التأويل ، كما يشهد به كل من أنعم الله عليه بالاستسلام لحكمها

(١) راجع صفحة ٢٢٠ من كتاب الاربعين . الاربعين من أحاديث سيد المرسلين .

وحسبك في تفضيل الزهراء أنها بضعة من سيد الانبياء ولا نعدل به ولا يضمنه أحدا من العالمين . وقد وافقنا في تفضيلها جمهور من المسلمين وصرح به كثير من المحققين نقل ذلك عنهم غير واحد من العلماء الباحثين المتبعين ، كالمعاصر النبهاني حيث قال في أحوال الزهراء من كتابه « الشرف المؤبد » ما هذا لفظه : وصرح بأفضليتها على سائر النساء حتى على السيدة مريم كثير من العلماء المحققين ، منهم التقي السبكي والجلال السيوطي والبدر الزركشي والتقي المقرزي . « قال » وعبارة السبكي حين سئل عن ذلك : الذي نختاره وندين به أن فاطمة بنت محمد أفضل . « قال » وسئل عن مثل ذلك ابن أبي داود فقال : ان رسول الله (ص) قال « فاطمة بضعة مني » ولا أعديل بضعة رسول الله أحدا ونقل المناوي هذا عن جمع من الخلف والسلف فراجع .

(٤) — ما أستخرجه أبو داود كسافي ترجمة خديجة من الاستيعاب بسنده الى ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) سيدة نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران فاطمة بنت محمد وخديجة وآسيا ه . وهذا كالأحاديث السابقة في الدلالة على تفضيل الاربع على من سواهن من نساء العالمين ، الا أنه ربما يستشعر منه تفضيل العذراء على الزهراء ، لكن الأدلة الاخر التي هي أكثر عددا وأصح سنداً وأصرح دلالة من هذا الحديث ونحوه توجب الاعراض عما يستشعر منه على أنه لا يروى من طريق أصحابنا كما لا يخفى .

(٥) — ما أخرجه البخاري (٢) ومسلم (٣) والترمذي في صحاحهم وصاحب الجمع بين الصحيحين وصاحب الجمع بين الصحاح الستة والامام (٢) راجع آخر صفحة ٦٤ من الجزء الرابع من صحيحه المطبوع بالمطبعة الملية سنة ١٣٣٢ .

(٣) راجع باب فضائل فاطمة من الجزء الثاني من صحيحه تجد طرقه في هذا الحديث الى عائشة متعددة .

أحمد من حديث الزهراء من مسنده ^(٤) وابن عبد البر في ترجمتها من استيعابه
ومحمد بن سعد في ترجمتها من الجزء الثامن من طبقاته وفي باب ما قاله النبي
في مرضه من المجلد الثاني من الطبقات أيضا ، واللفظ الذي تسمعه للبخاري
آخر ورقة من كتاب الاستئذان من الجزء الرابع من صحيحه قال : حدثنا موسى
عن أبي عوانة عن فراس عن عامر عن مسروق حدثني عائشة أم المؤمنين قالت :
أنا كنا أزواج النبي عنده جميعا لم تغادر منا واحدة ، فأقبلت فاطمة تمشي
لا والله ما تخفي مشيتها من مشية رسول الله (ص) فلما رآها رجب وقال :
مرحبا بأبنتي ، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارها فبكت بكاء شديدا
فلما رأى حزنها سارها الثانية إذا هي تضحك فقلت لها أنا من بين نسائه : خصك
رسول الله (ص) بالسر من بيننا ثم أنت تبكين ، فلما قام رسول الله (ص)
سألها عما سارك قالت : ما كنت لافشي على رسول الله سره ، فلما توفي قلت
لها : عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما أخبرني ؟ قالت : أما الآن فنعم ،
فأخبرتني قالت : أما حين سارني في الأمر الأول فانه أخبرني جبرائيل كان
يعارضه كل سنة مرة وأنه قد عارضني به العام مرتين ولا أرى الاجل الا قد
أقرب ، فأتقي الله واصبري فأني نعم السلف أنا لك ، قالت : فبكيت بكائي
الذي رأيت فلما رأى جزعي سارني الثانية قال : يافطمة ألا ترضين أن تكوني
سيدة نساء المؤمنين او سيدة نساء هذه الامة اه . ولفظه فيما ذكره ابن حجر
في ترجمتها من الاصابة وغير واحد من المحدثين « ألا ترضين أن تكوني سيدة
نساء العالمين » وكيف كان فالحديث صحيح والنص في تفضيلها صريح .

وأخرج ابن سعد في باب ما قاله النبي لها في مرضه من المجلد الثاني من
طبقاته بالاسناد الى أم سلمة قالت : لما حضر رسول الله (ص) دعا فاطمة
فناجاها فبكت ثم ناجاها فضحكت ، فلم أسألها حتى توفي رسول الله (ص)

فسألتها عن بكائها وضحكها فقالت : أخبرني انه يموت ثم أخبرني أنني سيدة نساء اهل الجنة - الحديث • وأخرجه أيضا أبو يعلي كما في ترجمة الزهراء من الاصابة بالاسناد الى أم سلسة ، ورواه عنها غير واحد من أهل الحديث •

(٦) - ما أخرجه جماعة من الحفظة وأهل الضبط ممن حملوا العلم بأسانيد وطرقه كأبن عبد البر في ترجمتها عليها السلام من الاستيعاب ان النبي (ص) عادها وهي مريضة فقال : كيف تجدنيك يابنية ؟ قالت : اني لوجعة وانه ليزيدني اني مالي طعام آكله • قال : يابنية أما ترضين انك سيدة نساء العالمين ؟ قالت : يا أبة فأين مريم بنت عمران • قال : تلك سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك ، وما والله لقد زوجتك سيدا في الدنيا والآخرة اه •

(٧) - ما أخرجه احمد والترمذي والنسائي وابن حبان « كما في في الفصل الثالث من الباب ١١ من الصواعق المحرقة لابن حجر » عن حذيفة أن النبي (ص) قال له : أما رأيت العارض الذي عرض لي قبل ذلك هو ملك لم يهبط الى الارض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه عز وجل ان يسلم علي ويبشرني ان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وان فاطمة سيدة نساء أهل الجنة اه •

وأخرج ابن حبان وغيره - كما في أحوال الزهراء من الشرف المؤبد وغيره - عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) ان ملكا من السماء لم يكن زارني فاستأذن ربي في زيارتي فبشرني ان فاطمة سيدة نساء امتي اه •

(٨) - ما أخرجه حفظة الاخبار وحملة الآثار كعبد الرحمن بن أبي نعيم - كما في ترجمة الزهراء من الاستيعاب والاصابة وغيرهما - عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (ص) فاطمة سيدة نساء اهل الجنة - الحديث

(٩) - ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما - كما في ترجمة الزهراء من الاصابة وغيرها - عن المسور قال : سمعت رسول الله (ص) يقول على

المنبر : فاطمة بضعة مني ، يؤذيني ما آذاها ويريني ما رابها •

ونقل النبهاني في أحوال الزهراء من الشرف المؤبد عن البخاري بسنده الى رسول الله (ص) قال : فاطمة بضعة مني ، يغضبني ما يغضبها • قال : وفي رواية فمن أغضبها أغضبني • قال : وفي الجامع الصغير : فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها • وقالت بأبي هي وامي لابي بكر وعمر - كما صرح به الامام ابن قتيبة في أوائل كتاب الامامة والسياسة - : نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله (ص) يقول : رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي ، فمن أحب ابنتي فاطمة فقد أحبني ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني ؟ قالوا : نعم سمعناه من رسول الله (ص) • وهذا من الاحاديث المتواترة عن أئمة العترة الطاهرة وكفى به حجة لتفضيلها على من سواها من نساء العالمين ، وهل يعدل مسلم ببضعة النبي (ص) وبقيته في أمته أحدا من الناس ؟ وقد تدبر هذا الحديث من تدبره من أولي الالباب فرآه يرمي الى عصمتها لدلالته على امتناع وقوع كل من أذيتها وريبتها وغضبها وسخطها ورضاها واقتباسها وانبساطها في غير محله ، كما هو الشأن في أذية النبي (ص) وريته ورضاه وسخطه واقتباضه وانبساطه وهذا كنه العصمة وحقيقتها كما لا يخفى •

(١٠) - ما أخرجه ابن أبي عاصم - كما في ترجمتها من الاصابة - بسنده الى علي عليه السلام قال : قال رسول الله (ص) لفاطمة : أن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضائك • وأخرجه الطبري وغيره بأسناد حسن كما في أحوالها من الشرف المؤبد وغيره ، وهو في الدلالة على تفضيلها وعصمتها كالحديث السابق •

(١١) - ما أخرجه جماعة من أثبات المحدثين وأعلامهم كالامام أحمد بن حنبل من حديث أبي هريرة في صفحة ٤٤٢ من الجزء الثاني من مسنده قال : نظر النبي (ص) الي علي والحسن والحسين وفاطمة فقال : أنا حرب لمن حاربكم

وسلم لمن سالمكم •

وأخرج الترمذي من حديث زيد بن أرقم كما في ترجمة الزهراء من الاصابة أن رسول الله قال : علي وفاطمة والحسن والحسين أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم ا ه • وهذا الحديث في الدلالة على تفضيلها وعصمتها كسابقه وفيه دلالة على كفر محاربيهم كما ترى •

(١٢) — ما أخرجه المحدثون بالاسناد الى علي واللفظ لاحمد في صفحة ١٠١ من الجزء الاول من مسنده عن عبد الرحمن الازرق عن علي قال : دخل عليّ رسول الله (ص) وأنا نائم على المنامة فأستسقى الحسن او الحسين قال : فقام النبي (ص) الى شاة لنا بكىء (٥) فحلبها فدرت فجاءه الحسن فنحاه النبي (ص) فقالت فاطمة : يا رسول الله كأن أخاه احبهما اليك • قال : لا ولكنه أستسقى قبله • ثم قال : اني واياك وهذين وهذا الراقد في مكان واحد يوم القيامة ا ه •

بخ بخ هذا هو الفضل الذي بخع له الاولون والآخرون ، فلا يلحقهم بعده لاحق ولا يطمع في أداركهم طامع ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم •

هذا آخر ما وسعته العجالة واحتملته هذه الرسالة وقد استقصينا في سبيل المؤمنين (٦) كل ما يدل على تفضيلهم عليهم السلام •

وحسبك في تفضيلها بالخصوص ما أخرجه الطبراني في ترجمة ابراهيم بن هاشم من معجمه الاوسط عن عائشة قالت : ما رأيت أحدا قط أفضل من فاطمة غير أبيها • وسند هذا القول الى عائشة صحيح على شرط البخاري ومسلم ، صرح بذلك ابن حجر في ترجمة الزهراء من أصابته والنبهاني في آخر صفحة (٥) أي قل لبنها وقيل اقطع ، وهذا الحديث أشار اليه صاحب لسان العرب في مادة بكأ •

(٦) نكتبنا في سبيل المؤمنين سنة ١٩٢٠ غربية وهي سنة ١٣٣٨ هجرية

٥٨ من الشرف المؤبد •

وأخرج ابن عبد البر في ترجمة الزهراء من استيعابه بالاسناد الى ابن عمير قال : دخلت على عائشة فسألتها أي الناس كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قالت • فاطمة • قلت : فمن الرجال ؟ قالت : زوجها •

وأخرج في ترجمتها (ع) من الاستيعاب أيضا عن بريدة قال : كان أحب الناس الى رسول الله من النساء فاطمة ومن الرجال علي • وقالت عائشة : ما رأيت

يوم رزئنا بجل ما ألقاه قبل تلك النازلة التي عمت أبناء عاملة واختصت بهذا الضعيف ، حيث أوغل الغاشمون في طغيانهم ولجوا في عدوانهم ومضوا في التكيل والتقتيل والتشريد على غلوائهم واطلقوا في البنادق والمشاق والنهب والضرب والتحريق والتزريق أعنة أهوائهم ، ركبوا في ذلك رؤوسهم متهافتين في أعمالهم لا يلون على أحد ، وكنت في طليعة من تبدد وتشرد • وليتهم كفوا عن تلك الكتب القيمة واكتفوا بما سواها • عند الله احتسب تلك المؤلفات التي أفنيت فيها عمري ورهقني بفقداهما نقض مرة صبري ، فانا لله وانا اليه راجعون انشد الله امرأ وقع في يده شيء منها الا اثلج به كبدي الحري فان لكل كبد حري أجرا ، واليك ضالتي المنشودة ونقائسي المفقودة ١ - شرح التبصرة على سبيل الاستدلال خرج منه كتاب الطهارة وكتاب القضاء والشهادات وكتاب الموارد في ثلاثة مجلدات ٢ - تعليقة على استصحاب رسائل الشيخ في مجلد واحد ٣ - رسالة في منجزات المريض استدلالية ، ٤ - سبيل المؤمنين ثلاثة مجلدات في إمامة أئمتنا الاثني عشر وأحوالهم ومناقبهم وهديهم (ع) لانظير له في موضوعه ٥ - النصوص الجلية في إمامة العترة الزكية يشتمل على ثمانين نصا أربعين مما أجمع على صحته المسلمون وأربعين مما انفردت به الإمامية وفيه وفي سبيل المؤمنين ما شئت من أدلة عقلية وتقنية وحكمة فلسفية - ٦ - تنزيل الآيات الباهرة في فضل العترة الطاهرة مجلد واحد يشتمل على مائة آية نزلت فيهم بحكم الصحاح المجمع على تصحيحها وقد تكلمنا فيه وفي سبيل المؤمنين بما يوجبه التحقيق في العلوم مجانبين فيها الاطناب الممل والايجاز المخل ٧ - تحفة المحدثين فيما أخرج عنه الستة من المضعفين وهذا هو المعجم الاول الذي لم يكتب قبله في هذا الموضوع ٨ - تحفة الاصحاب في حكم اهل الكتاب ٩ - الذريعة في نقض البديعة (أعني بديعة النبهاني) ١٠ - المجالس الفاخرة

أحدا أصدق لهجة من فاطمة الا أن يكون الذي ولدها (ص) • أخرجه ابن عبد البر في ترجمة الزهراء من استيعابه • والحمد لله أولا وآخرا ، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما كثيرا •

وكان الفراغ من تأليفها في مدينة صور مستهل رجب سنة ألف وثلاث ومائة وست وأربعين هجرية بقلم مؤلفها الال عبدالحسين بن الشريف يوسف ابن الجواد بن اسماعيل بن محمد بن محمد ^(٧) بن ابراهيم ويلقب شرف الدين ابن زيد العابدين بن علي نور الدين بن نور الدين علي بن الحسين بن محمد طاعة الله الرضا بما صنع الله فيما أحب العبد وفيما كره الا وهو خير له •

في مآتم العترة الطاهرة أربعة مجلدات المجلد الاول في السيرة النبوية الدالة بمجردھا على نبوته صلى الله عليه وآله وسلم الثاني في سيرة أمير المؤمنين والزهراء والحسن المجتبى ذكرنا منها ما يدل بحكم الفلسفة العقلية على نضمتهم الثالث خاص بسيد الشهداء على وتيرة الاول والثاني ، الرابع في سيرة التسعة اقتصرنا منها على ما يدل بمجردہ على أمانتهم وعصمتهم وفي هذه المجالس من الفلسفة ما يحكم العقل والنقل بصحته — وقد طبعت مقدمتها فكانت رسالة لها السبق في موضوعها ١١ — المناظرات الازهرية والمباحثات المصرية كتاب يشتمل على مهمات المسائل الخلافية متكفلا بأثبتات الحق من طريق مخالفه ١٢ — مختصر الكلام في مؤلفي الشيعة من صدر الاسلام خرج منه مجلد واحد نشر عنه العرفان في مجلداته الاول والثاني والثالث ، تراجم كثير من الاعاظم — ١٣ — بغية الفائز في قتل الجنائز نشرت العرفان جلها ١٤ — بغية السائل عن لثم الايدي والانامل رسالة فيها أربعون حديثا من طريقنا وأربعون من طريق غيرنا أدلة على الموضوع وتكلمنا فيها بهذه المناسبة في مطلق التقبيل فكانت رسالة علمية أدبية فكاهية ١٥ — زكاة الاخلاق رسالة شريفة نشرت مجلة العرفان الغراء لمعا منها — ١٦ — الفوائد والفرائد يعرف موضوعها من اسمها ١٧ — تعلية على صحيح البخاري ١٨ — تعلية على صحيح مسلم ١٩ — الاساليب البديعة في رجحان مآتم الشيعة كتاب لم يسبق له في أدلته العقلية والنقلية نظير « ودع عنك نهبا صحيح في حجراته » •

(٧) الى محمد هذا ينتهي نسب والدته المؤلف أيضا فانها كريمة الهادي بن محمد علي بن صالح بن محمد المذكور •

ابن الحسين بن علي بن محمد بن تاج الدين المعروف بأبي الحسن بن محمد
ابن عبد الله بن أحمد بن حمزة بن سعد الله بن حمزة بن محمد بن محمد بن عبد الله
ابن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن طاهر بن الحسين بن موسى بن
ابراهيم المرتضى بن الامام أبي الحسن موسى ^(٨) الكاظم بن الامام أبي عبد الله
الصادق بن الامام أبي جعفر الباقر بن الامام زين العابدين علي بن الامام أبي
عبد الله الحسين سيد الشهداء وسبط سيد الانبياء وخاتم المرسلين صلى الله عليه
 وآله وسلم وعليهم أجمعين *

(٨) يقال للسؤلف « موسوي » نسبة الى هذا الامام كما يقال ذلك لكل
حسيني تفرع عن شجرة موسى الكاظم عليه السلام . تمت التعليقة بقلم مؤلفها
الاقل عبد الحسين شرف الدين الموسوي سنة ١٣٤٦ والحمد لله *

فهرس مطالب الفصول المهمة

صفحة

٣ - الخطبة *

٥ - « فصل ١ » فيما جاء في الكتاب والسنة من الحض على الاجتماع
والتنديد بأهل التفريق والنزاع *

٨ - « فصل ٢ » في بيان معنى الاسلام والايمان وفيه ما يوجب القطع بأن
جميع أهل الشهادتين والصوم والصلاة والحج والزكاة أخوان *

١١ - « فصل ٣ » في صحاح أهل السنة الحاكمة بأحترام أهل الاركان
الخمسة كافة وحرمة دمائهم وأعراضهم وأموالهم وفيه من الاحاديث الصحيحة
والنصوص الصريحة . ما يقطع شغب المشاغب ولا يبقى معه أثر لهذين
النواصب *

١٨ - « فصل ٤ » في يسير من نصوص أئمتنا عليهم السلام في الحكم
بأسلام أهل السنة وانهم كالثيعة في جميع الآثار التي تترتب على مطلق من
كان مسلماً *

١٩ - « فصل ٥ » في صحاح السنة الحاكمة على أهل الاركان الخمسة
بدخول الجنة وفيه من البشائر ما تقر به النواظر *

٢٢ - تنبيه مهم يدود العصاة عن التشبث بما في ذلك الفصل من المباشرات

٢٥ - الاشارة الى صحاحنا وكونها مخصصة العمومات السابقة *

٢٦ - «فصل ٦» في لمعة من فتاوي علماء أهل السنة بأيمان أهل الاركان الخمسة كافة واحترامهم ونجاتهم جميعا وفيه فتاوي كثير من أعلام الامة .

٢٧ - فتوى الامام السبكي بذلك .

٢٨ - فتوى الشيخ ابن العربي بذلك .

٢٩ - فتوى صاحب المنار . وفتوى النبهاني . وفتوى العارف الشعرائي بذلك .

٣٠ - فتوى كل من الروياني والقزويني وعلماء بغداد قاطبة وجمهور العلماء والخلفاء من الصحابة ومن بعدهم .

٣١ - الاجماع الذي نقله ابن تيمية وفتوى ابن أبي ليلى وأبي حنيفة والشافعي والثوري وداود بن علي والصحابة .

٣٢ - فتوى الامامين الاشعري والشافعي .

٣٣ - اجماع الشافعية على عدم كفر الخوارج .

٣٤ - قول ابن المنذر لا أعلم أحدا وافق على تكفير الخوارج وكلام ابن عابدين في أن سب الصحابة ليس بكفر .

٣٥ - قول ابن حزم بعدم كفر المتأولين بسب الصحابة .

٣٦ - ما نقله ابن حزم عن الاشاعرة من القول بعدم كفر الساب لله ولرسوله مطلقا

٣٧ - الاوزاعي لا يكفر أحدا من أهل الشهادة وابن سيرين والحسن البصري والزهري والثوري يحكمون بنجاتهم مطلقا .

٣٨ - كلمة لابن المسيب وأخرى لابن عيينة في هذا المعنى . وكلمة في ختام الفصل للمصنف تأخذ بالاعتناق الى الوفاق .

٣٨ - « فصل ٧ » في بشائر السنة للشيعة وبالشأن من بشائر تحكم بفلاحهم في الدنيا وسعادتهم في اليوم الآخر .

٤١ - تنبيه لبيان معنى الشيعة المختصين بتلك البشائر أردنا به الرد على ابن حجر وأمثاله اذ زعموا أنهم هم الشيعة لا نحن .

٤٤ - « فصل ٨ » فيمن تأولوا من السلف فخالقوا الجمهور ولم يقدح ذلك في عدالتهم والغرض اثبات معذرة المتأولين .

٤٥ - تخلف سعد وحباب عن بيعة السقيفة متأولين .

٤٦ - تخلف علي وأهل بيته وشيعته عنها .

٤٧ - أثبات أن عليا مع الحق والحق معه لا يفرقان .

٤٨ - تخلف أبي سفيان وقوله لعلي أبسط يدك أباعك . . . الخ .

- ٤٩ - ما كان بين الزهراء وأبي بكر اذ هجرته فلم تكلمه حتى ماتت .
- ٤٩ - قتل خالد المالك بن نويرة ونكاح زوجته .
- ٥٠ - قتل خالد لبني جذيمة وتبرى النبي (ص) من عمله يومئذ .
- ٥١ - تأولهم في الطلاق الثلاث وحكمهم فيه بخلاف ما كان عليه زمن النبي (ص)
- ٥٢ - بيان مذهبنا في الطلاق الثلاث والاستدلال عليه من طريق غيرنا راجعه تجده كرسالة (في هذه المسألة) حافلة .
- ٥٣ - تأولهم في المتعتين راجع ما كتبناه هنا فانه حقيق بالمراجعة وهو كرسالة في هذا الموضوع على حده وفيما المقام حقه وعقدنا هناك مباحث : الاول في أصل مشروعية المتعتين واثبات ذلك بالاجماع والكتاب والسنة .
- ٥٤ - تحرير محل النزاع في متعة النساء والرد على الالوسي فيما بهت به الامامية .
- ٥٨ - المبحث الثاني في دوام حل المتعتين واستمرار حكمهما .
- ٦٠ - المبحث الثالث فيما زعموه ناسخا لمتعة النساء وبيان خطاهم في ذلك .
- ٦٢ - المبحث الرابع في اثبات كون المحرم انما هو عمر .
- ٦٣ - المبحث الخامس في الاشارة الى المنكرين من الصحابة على تحريم المتعة
- ٦٦ - النداء بتحليل المتعة أيام المأمون .
- ٦٦ - خاتمة في الاشارة الى من صرح من الاعلام بأن عمر أول من حرم المتعة
- ٦٧ - تأولهم في أذان الصبح حيث زادوا فيه (الصلاة خير من النوم) واثبات انها لم تكن .
- ٦٩ - تأولهم في إسقاط حي على خير العمل مع كونها جزءا من الاذان والاقامة وقد أثبتنا ذلك بالبرهان فجدير بأهل التحقيق والتحديق أن يقفوا عليه .
- ٧٠ - تأولهم في صلاة التراويح وبيان أنها لم تكن أيام رسول الله واهي بكر .
- ٧٢ - تأولهم آية الزكاة اذا أسقطوا سهم المؤلفه قلوبهم .
- ٧٣ - تأولهم آية الخمس حيث صرفوها الى خلاف منطوقها ويليق بما كتبناه هنا في الخمس والزكاة أن يكون رسالة على حدة .
- ٧٥ - تأولهم في صلاة الجنائز حيث جمعوا الناس على اربع تكبيرات .
- ٧٦ - تأولهم في البكاء على الميت حيث حرمه الخليفة الثاني وبيان عدم حرمة راجع ذلك فانه من (الاساليب البديعة) في رجحان ماتم الشيعة .
- ٧٩ - تأولات للسلف عديدة نلفت اليها كل باحث .

٨١ - تنبيه الى أن بعض الصحابة كانوا لا يتعبدون بالنصوص المتعلقة بالسياسة بل كانوا يتأولونها ولذلك تأولوا النص بالخلافة على علي ومن راجع هذا البحث رأي الحقيقة بأجلى مظاهرها .

٨٢ - بيان الأسباب التي دعتهم الى تأول ذلك النص فمنها أنه غلب على ظنهم أن العرب لا تخضع لعلي حيث أنه وترها وسفك دمائها ومنها أن العرب كانت تنقم منه عدله ومساواته ولم يكن لها فيه مطمع ومنها أنهم كانوا يحسدونه على ما آتاه الله من فضله .

٨٣ - ومنها أنهم كانوا قد تشرفوا الى تداول الخلافة بينهم وقدرأوانعبدهم بالنص مانعاهم من ذلك ومنها أنهم كرهوا أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم .

٨٤ - الأسباب التي منعت عليا وشيعته من المقاومة واضطرته الى عدم القيام بأمر الناس والسري في قعوده في بيته حتى أخرجه كرها . ودلالة ذلك على أصالة رأيه وشدة احتياظه على الاسلام .

٨٥ - تأول الخليفة الاول وأتباعه للنصوص الصريحة بالخلافة على أمير المؤمنين عليه السلام كما تأولوا من غيرها نصوصا كثيرا .

٨٥ - منها تأولهم في سرية أسامة فراجع ذلك تجد فيه من الفوائد الجمة ما لا غنى لك عنه .

٩١ - ومنها تأولهم في رزية يوم الخميس حيث قالوا هجر رسول الله (ص) فراجعها لتقف على أبحاث هناك مهمة ولتعلم الحكمة في ترك النبي (ص) يومئذ لكتابة ذلك الكتاب .

٩٦ - ومنها تأولهم يوم تبوك .

٩٦ - ومنها تأولهم يوم الحديبية فراجعه وحق لمثله أن يراجع .

٩٨ - ومنها تأولاتهم يوم بدر فراجعها فانها مما يجب أن تراجع وقد الهنا الله تعالى هناك الى تفسير الآية بما لم نسبق اليه وله الحمد .

١٠٢ - تأولاتهم يوم أحد وهي عديدة فراجعها وحق لها أن تراجع وقد أستطردنا مواقف أمير المؤمنين يومئذ التي عجبت منها ملائكة السماء .

١٠٧ - تأولهم يوم مات ابن أبي المنافق .

١٠٨ - تأولهم يوم ضربوا أبا هريرة منعاه عن تبليغ ما أمره النبي يومئذ بتبليغه .

صفحة

- ١٠٨ — تأولهم اذ تركوا قتل من أمروا بقتله من أهل الفتن والفساد في الارض
- ١١٠ — تأولهم اذ خالفوا رأي النبي (ص) ووافقوا رأي المشركين في رد بعض المؤمنين اليهم ليقتلوه عن دينهم •
- ١١٠ — تأولهم اذ لمزوه صلى الله عليه وآله وسلم في الصدقات •
- ١١١ — تأولهم اذ تنزهوا عن الشيء يرخص فيه رسول الله (ص) •
- ١١٢ — تأولهم في شأن حاطب اذ كذبوه وشتموه بعد شهادة النبي (ص) بصدقه وقوله لهم لا تقولوا له الا خيرا •
- ١١٣ — موارد تأول عثمان وهي كثيرة فراجعها لتعلم بمعذرة المتأولين •
- ١١٤ — والا بلغ في معذرة المتأولين من كل ما سبق اجسامهم على عدالة عثمان وعدالة المجلبين عليه كعائشة وطلحة وغيرهما •
- ١١٤ — تأول عائشة وطلحة والزبير فيما فعلوه يوم الجمل الاصغر مع عثمان ابن حنيف وشيعة علي من القتل والنهب والمثلة وتأولهم يوم الجمل الاكبر فيما فعلوه مع أمير المؤمنين (ع) •
- ١١٥ — الحاق معاوية لزياد بأبي سفيان •
- ١١٦ — عهده بالخلافة الى شريره المتهتك وسكيره يزيد المفضوح والاشارة الى بعض ما قد ترتب على ذلك يوم الطف ويوم الحرة •
- ١١٨ — نصب المجانيق على مكة وهدم الكعبة وحرقتها وفظائع آخر ليزيد وكون أبيه يعلم بأنه ممن لا يؤتمن على تقير ولا يولى أمر قطمير ومع ذلك فقد غش الامة وسلطه عليها •
- ١١٩ — الاخبار الدالة بأن معاوية ملعون لمحabbاته وأنه من أهل جهنم •
- ١١٩ — قتله عمر بن الحمق الخزاعي •
- ١٢٠ — قتله حجرا وأصحابه ودسه السم الى الحسن (ع) •
- ١٢١ — الاشارة الى يسير من بوائق معاوية وجرائم عماله •
- ١٢٢ — سبى المسلمات من نساء همدان وذبح طفلي عبيد الله بن العباس وأمهات تنظر اليهما •
- ١٢٣ — فظائع سمرة بن جندب أيام معاوية •
- ١٢٤ — الاشارة الى فظائع زياد حين ولاد معاوية على الكوفة والبصرة والمشرق كله وسجستان وفارس والسند والهند •
- ١٢٥ — حرب معاوية لآخي النبي (ص) ووحيه ونفسه في آية المباهلة ووليه

١٢٦ - لعنه بقنوت الصلاة رجالا أذهب الرجم عنهم محكم التنزيل وهبط بتطهيرهم جبرائيل وباهل بهم النبي بأمر ربه الجليل وما أكتفى حتى أمر الناس بلعن أمير المؤمنين •

١٢٨ - النصوص الدالة على كفر من سبه أو عاداه أو آذاه •
 ١٣٠ - اذا صح أجتهد معاوية في ذلك فأجتهدنا في جواز سبه أولى بالصحة
 ١٣١ - «فصل ٩» فيمن أفتى بكفر الشيعة وتفصيل ما أستدل به على ذلك •
 ١٣١ - نص الفتوى بذلك نقلا من كتاب الفتاوى الحامدية •
 ١٣٢ - استقطاع تلك الفتوى والانكار على المفتي بها •
 ١٣٤ - الرد عليه أجبالا وتزييف قوله ببغيتهم وكفرهم •
 ١٣٥ - الوجه الاول في تزييف قوله بأن الشيعة تستخف بالدين وتهزأ بالشرع المبين وأثبتات كونهم أحوط الناس على الدين وأعظمهم تقديسا للشرع المبين •

١٣٧ - الوجه الثاني في تزييف قوله بأنهم يهينون العلم والعلماء وأثبتات أنهم أشد الناس للعلماء تعظيما •

١٣٩ - الوجه الثالث في تزييف قوله أنهم يستحلون المحرمات ويهتكون الحرمات وأثبتات أنهم أبعد الناس عن المحرمات وأحوطهم على الحرمات وقد استطرطنا ذكر الحدود الشرعية على رأي الامامية •

١٤٣ - الوجه الرابع في تزييف قوله بأنهم كفروا بأنكارهم خلافة الشيخين وبيان أن لاوجه لتكفير المسلمين بأنكار سياسة خالية وخلافة ماضية هي ليست من أصول الدين بأجماع المسلمين وقد تكلمنا هناك بما يوجب العلم وتقتضيه الادلة العقلية والنقلية فلا يمكن جحوده فليراجع بتدبر وأمعان •

١٤٥ - الوجه الخامس في تزييف قوله بأنهم يتكلمون في حق السيدة عائشة بما لايليق من أمر الافك ولياذ بالله وبيان أن هذا مما لا صحة له وأن مضمون مسألة الافك محال مستنع عند الشيعة عقلا وأنهم لا يجوزونه على جميع نساء الانبياء حتى امرأة نوح وامرأة لوط •

١٤٦ - نعم ننتقد من أفعال أم المؤمنين خروجها من بيتها وركوبها الجمل وسائر سيرتها مع أهل البيت •

١٤٧ - تزييف قوله بأنهم كفروا بسبب الشيخين •
 ١٤٧ - الادلة على عدم حصول الكفر بذلك وهي ستة - الاول الاصل مع

صفحة

عدم ما يدل على التكفير - الثاني أن الصحابة كانوا يتشائمون على عهد النبي (ص) فلم يكفر أحدا منهم بذلك •

١٤٨ - الثالث عموم الاحاديث الحاكمة بالاسلام على مطلق أهل الاركان الخمسة كافة - الرابع أن رجلا من المسلمين سب الصديق فلم يعامله رضي الله عنه معاملة المرتد بل عامله معاملة غيره من المسلمين •

١٥٠ - الخامس اجماع فقهاءهم ان مجرد السب لا يوجب الكفر وقد ذكرنا كلماتهم في ذلك •

١٥٢ - السادس أنه لا يفتي بالتكفير عندهم الا أن يكون الموجب للكفر مجمعا على ايجابه لذلك وبناء على هذا فلا يمكن التكفير في هذه المسألة مع انعقاد أجماعهم على عدم الكفر بها ولو أنكر الخصم ذلك فحسبه وجود القائل بعدم التكفير فإنه مما لا يمكن انكاره •

١٥٤ - « فصل ١٠ » في الإشارة الى يسير ما نسبته الكذابون الى الشيعة وبيان براءتهم منه وقد ذكرنا أن الرامين لهم على أربعة اقسام - القسم الاول طائفة تزلفوا بذلك الى ملوك بني أمية وبني العباس •

١٥٥ - القسم الثاني طائفة حملهم على ذلك الخوف من ميل الناس الى الشيعة فبهتوهم بما بهتوهم به تنفيرا للناس عنهم •

١٥٥ - القسم الثالث طائفة التبس الامر عليهم لاشتراك اسم الشيعة بين الامامية وغيرهم •

١٥٦ - القسم الرابع جماعة اعتمدوا على من تقدمهم فأروهم ينقلون شيئا فنقلوا •

١٥٦ - زعم ابن حزم ان من الامامية من يجيز نكاح تسع نسوة ومنهم من يحرم الكرنب وبيان افتراءه واعتدائه بذلك •

١٥٩ - ارجاف الشهرستاني بالامامية والرد عليه فيما نسبته اليهم عامة والى زرارة والهشامين ومؤمن الطاق بالخصوص •

١٦٠ - وقد بلغت القحة بجودت باشا الى رمي الشيعة بأنكار الصوم والصلاة والحج والزكاة فراجع ما نقلناه عنه وما قلناه في رده •

١٦١ - الرد على من نسب اليها تحريم لحم الابل وعدم العدة على النساء

١٦٢ - « فصل ١١ » في الرد على نواصب هذا العصر •

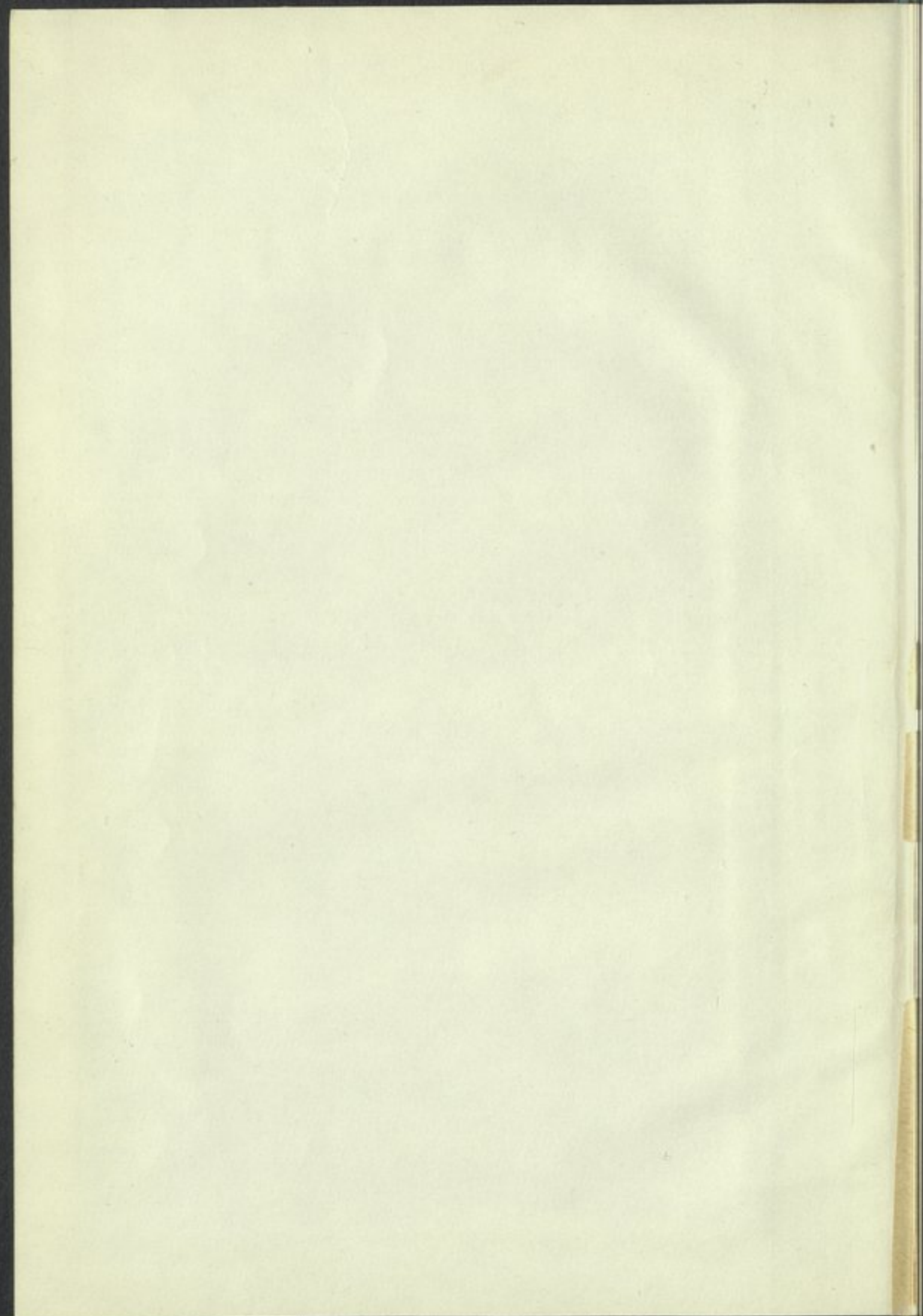
- ١٦٤ - معاتبة الفاضل الرافي حيث نبذ الشيعة بالرفض ونسب اليهم القول بتحريف القرآن الحكيم وبيان خطاه في ذلك بما لا مزيد عليه .
- ١٧٠ - « فصل ١٢ » في سبب التباعد بين الطائفتين وفيه مقصدان - المقصد الاول فيما ينفر منه الشيعي وهو أمران - الاول التحقير والتكفير - والثاني الاعراض عن مذهب أهل البيت في أصول الدين وفروعه وفي تفسير القرآن وفي الحديث وفي سائر الامور وانكى من ذلك عدم احتجاجة بأكثر أئمة اهل البيت (ع) .
- ١٧١ - مع احتجاجة بداعية الخوارج عمران بن حطان .
- ١٧٢ - قول ابن خلدون وشذ اهل البيت بمذاهب ابتدعوها والرد عليه في ذلك بما يصلح لان يكون رسالة حافلة بالادلة على وجوب اتباعهم وضلال من خالفهم فراجع .
- ١٧٨ - المقصد الثاني في الامور التي ينفر منها السني وبيان أنها مما بهتت بها المبطلون وأبداء رأينا في الصحابة رضي الله عنهم وكونه أوسط الآراء .
- ١٧٩ - فهرس اسماء الشيعة من الصحابة مرتبا على حروف الهجاء .
- ١٩٠ - هناك جماعة نافقوا في صحبة الرسول (ص) وظهر تفاقهم بما أحدثوه بعده وقد أخبر النبي بأنهم سيرتدون على اعقابهم القهقري .
- ١٩٢ - تصريح القرآن بنفاقهم .
- ١٩٤ - وجوب مودة الذين استقاموا على ما أمرهم به الله تعالى ورسوله (ص) وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون .

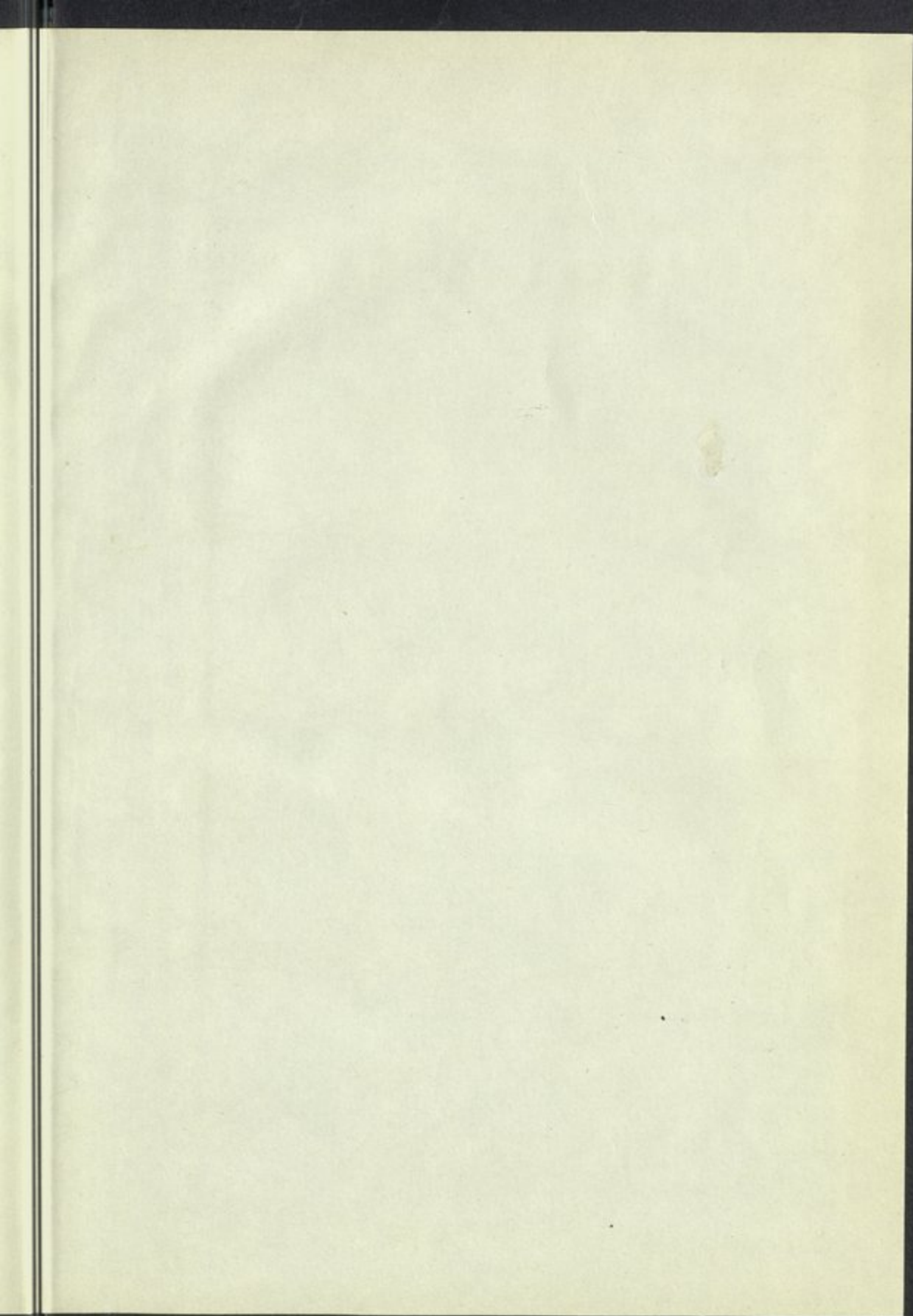
فهرس الكلمة الغراء

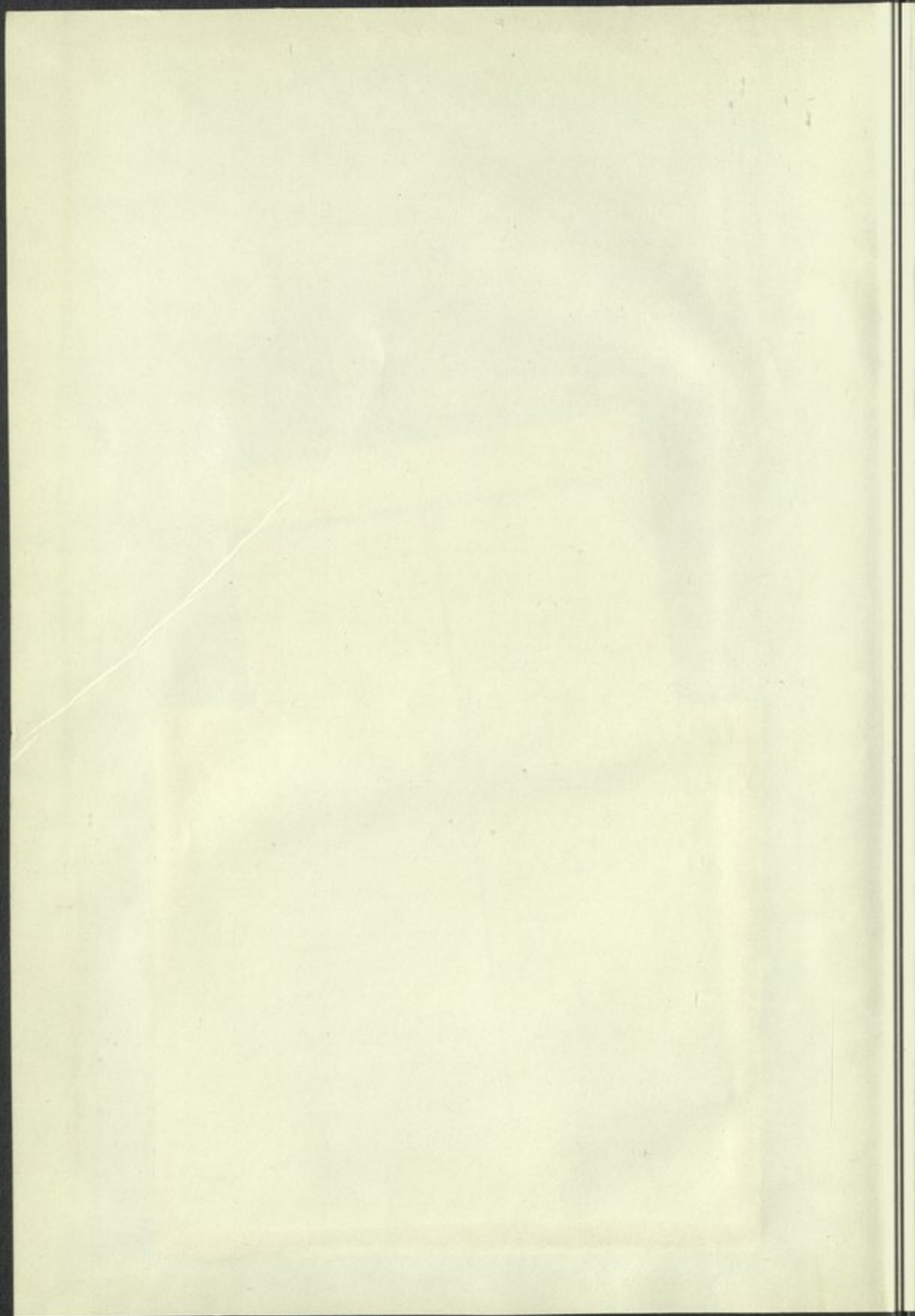
في تفضيل فاطمة الزهراء (ع)

- وهي عبارة عن مطلبين - المطلب الاول في دلالة الكتاب - وقد ذكرنا منه اربع آيات في أربعة فصول .
- ١٩٧ - « الفصل الاول » في آية المباهلة ووجه دلالتها وبيان نكاتها البيانية .
- ١٩٩ - روعة زعماء نجران حين برز أصحاب الكساء لمباهلتهم .
- ٢٠١ - دلالة الآية على كون علي بمنزلة نفس النبي (ص) وكلام الرازي في ذلك .

- ٢٠٣ - « الفصل الثاني » في آية التطهير ونزولها في الخمسة (ع) .
- ٢٠٤ - بيان السر في حجه (ص) اياهم بذلك الكساء .
- ٢٠٧ - البرهان على اختصاص الآية بالخمسة .
- ٢٠٩ - قول عكرمة ومقاتل بأختصاص الآية بالنساء تشبيها بالسياق .
- ٢٠٩ - كون عكرمة من دعاة الخوارج وكذبة المحدثين .
- ٢١٢ - كون مقاتل من أعداء علي وأهل البيت وكونه كذابا مرجئا مشبها .
- ساقطا .
- ٢١٣ - الرد على عكرمة ومقاتل فيما زعماه من تخصيص الآية بالنساء وتزييف دليهما بأربعة وجوه .
- ٢١٤ - قول بعضهم بأن المراد من أهل البيت في الآية كل من حرمت عليهم الصدقة وبيان دليله على ذلك وأبطال دليله من وجهين .
- ٢١٦ - قول قوم بأن الآية شاملة للزوجات ولا صحاب الكساء جمعا بين الأدلة والسياق ورده بوجوه ثلاثة .
- ٢١٧ - « تنبيهان » أحدهما ان الآية دلت على عصمة الخمسة ، ثانيهما انها دلت على امامة أمير المؤمنين (ع) .
- ٢١٨ - « الفصل الثالث » في آية المودة والاختبار المأثورة في نزولها بعلي وفاطمة وابنائهما .
- ٢٢٢ - التعجب من حسدة آل محمد (ص) وصرفهم الآية عنهم والذي عرفناه من أقوالهم أربعة أقوال .
- ٢٢٣ - القول الاول ان الله تعالى أمر نبيه ان يقول لمشركي قريش لا أسألكم أجرا الا أن تودوني في قرابتي منكم وقد زيفناه بخمسة وجوه .
- ٢٢٤ - القول الثاني أن معناها لا أسألكم عليه أجرا الا أن تودوا القريب من الله بالاعمال الصالحة - والثالث ان معناها لا أن تودوا قرابتكم - والرابع أن الآية منسوخة وقد بينا بطلان هذه الاضاليل بما لا مزيد عليه .
- ٢٢٥ - بقى للقوم اعتراض ذكرناهما وزيفناهما .
- ٢٢٩ - قطع أكابر أهل السنة بنزول آية المودة في أهل البيت .
- ٢٣٠ - « الفصل الرابع » في آيات الابرار ونزولها فيهم عليهم السلام .
- ٢٣٢ - شرح آيات الابرار ، والاشارة الى ما تضمنته من الاسرار .
- ٢٣٩ - المطلب الثاني في دلالة السنة وفيها من الاحاديث الصحيحة ما تضييق عنه هذه الرسالة وقد آكتفينا بأثني عشر حديثا فراجعها .







✓
297.8: [redacted] [redacted]
شرق الدين
الفصول المهمة في تأليف الامة.
JUN 14 73
70-2328

297.8

[redacted]
[redacted]

28 JUL 1987

28 JUN 1987

19 SEP 1987



297.8:

شرف الدين، عبد الحسين
الفصول المهمة في تأليف الأئمة

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01011647

